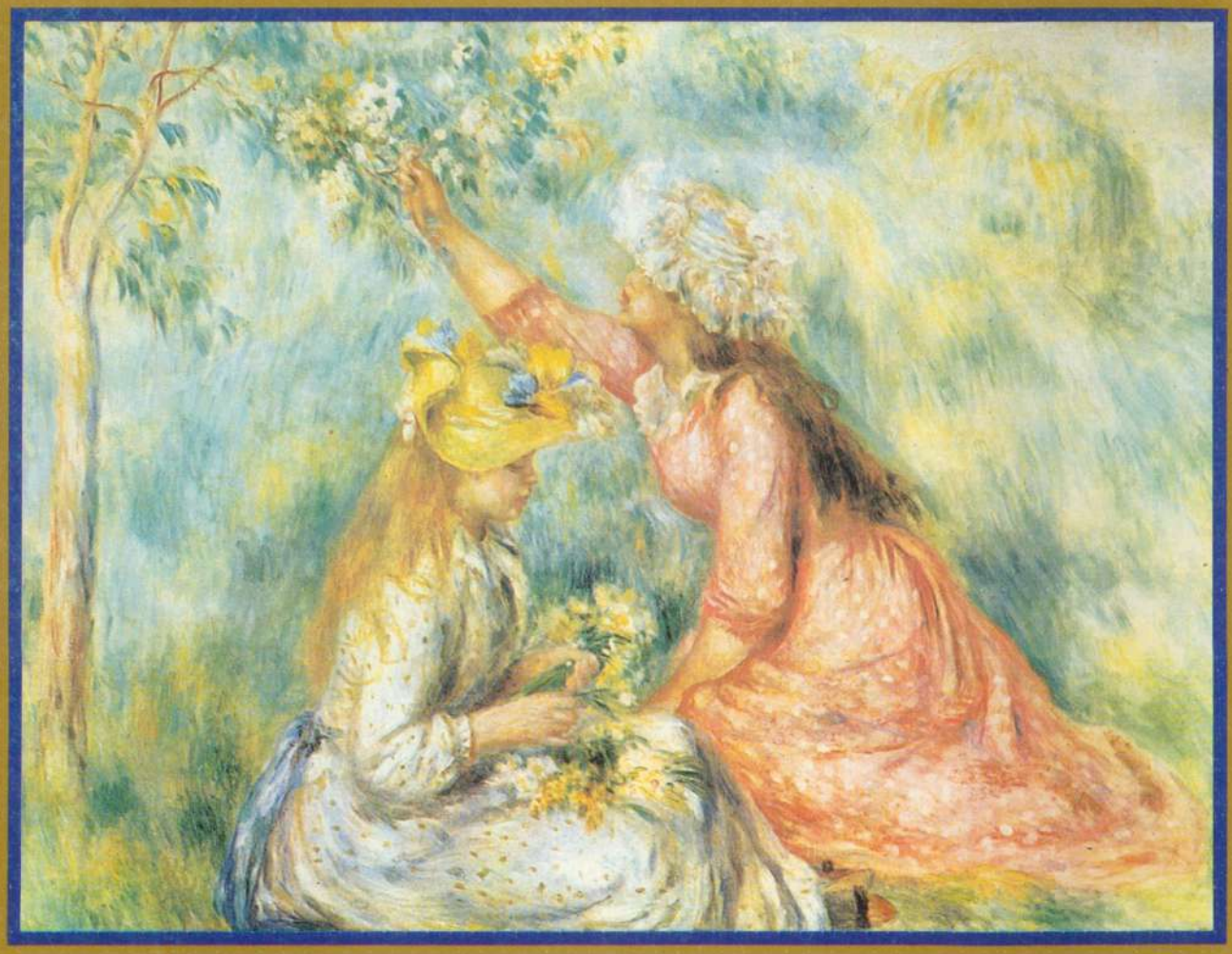
مسيرة الخير
جزء خاص
بمناسبة ٢٢ فبراير

العدد ٩٩ - جمادى الأولى ١٤٠٤هـ - مارس ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



أجمل لغة في الدنيا.. لغة الزهور!

● المعالم الأولى في عَظَمَة محمد

بقلم: محمد الغزالي

● مَن المسئول عن هذه الظاهرة الخطيرة في الجامعات العربية؟

بقلم: د. عيسى الناعوري

● قصة جديدة: بقلم: كلثم جبر


بيبسى
PEPSI


تيم
TEEM
TRADEMARK REG'D

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **السودان :**
  دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .
- **مصر :**
  مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة .
- **سوريا :**
  المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .
- **العراق :**
  الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة .
  ص . ب ٦٢٤ - بغداد .
- **ليبيا :**
  المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازي - ص . ب ٣٢١ - بنغازي .
- **الأردن :**
  وكالة التوزيع الاردنية :
  ص . ب ٣٧٥ - عمان .
- **البحرين :**
  مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع
  ص . ب ٢٢٤ - المنامة .
- **السعودية :**
  مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان - ص . ب ١٤٠٥ - الرياض .

  مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة .
- **الكويت :**
  شركة دار الكويت للصحافة
  ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .
- **لبنان :**
  الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :**
  الوكالة اليمنية للتوزيع
  ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :**
  مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧
  المحافظة الأولى - عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :**
  مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد - ص . ب ٧٩١ ابو ظبي
- **سلطنة عمان :**
  المؤسسة العربية للتوزيع والنشر - ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .
- **تونس :**
  الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .
- **المغرب :**
  الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :**
  الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٩ - جمادى الأولى ١٤٠٤هـ - مارس ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

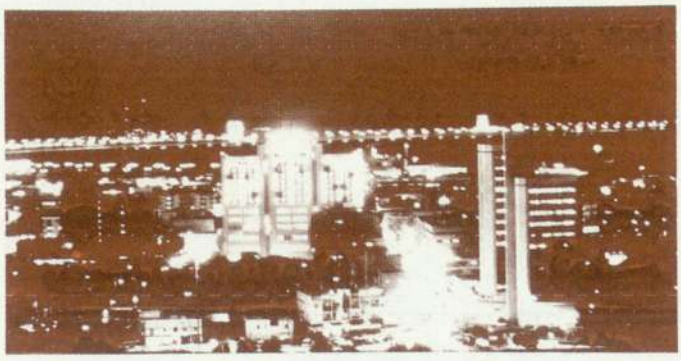
داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين



مسيرة الخير فى قطـــر
(جـــزء خاص ص ٦٧)



لوحة الغلاف : قاطفات الزهور للفنان العالمى رينوار
(المقال : لغة الزهور فى الأدب والأساطير ص ١٠٨)

● دراسات ومقالات ●

● هذا التحزب التاريخي .. نظرة غير علمية ومخادعة للنفس ...
د . محمد جابر الانصاري ٦

● المعالم الأولى فى عظمة محمد « صلى الله عليه وسلم » .....
محمد الغزالى ١٠

● مكرم عبيد .. ليس رائداً للفكرة العربية فى مصر .....
د . السيد فهمى الشناوى ١٤

● نصائح من صوت التاريخ .....
عبد الرزاق البصير ١٨

● آرثر كوستلر : الغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ليسوا من أصل فلسطيني وانما من أصل قوقازى .....
عصام شريح ٢٠

● كيف نؤرخ لعظمائنا ؟ .....
فتحي رضوان ٢٤

● ثورة المعلومات والاتصالات .....
د . علي الدين هلال ٢٦

● من المسئول عن هذه الظاهرة الخطيرة فى الجامعات العربية ؟
د . عيسى الناعوري ٤٨

● التنويم المغناطيسي والأسرار الخفية فى عالم الحرب والسياسة !
محمد العزب موسى ٥٤

● وحش البحيرة المنقرض : هل عاد وظهر ؟ .....
د . عبد المحسن صالح ٨٨

● الحياة في الغابات .....
د . عز الدين فراج ٩٦

● أنماط من الحياة نراها غريبة .. ولكنها حقيقة واقعة
حسام جميل مدانات ١١٤

● شؤون الخليج ●

● مسيرة الخير فى قطر : جزء خاص بمناسبة ٢٢ فبراير .. ذكرى تولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمـــد آل ثاني مقاليد الحكم فى البلاد ٦٧

● فنان كويتي يحاول انقاذ البيت الخليجي .....
يوسف احمد ٨٤

● الكتاب الخليجي في خطر ، وهذه هي الأسباب .....
محمد المنصور الشقحاء ١١٧

● أدب وفنون ●

● معين بسيسو .. القنديل الذى لم ينطفىء .....
حمدي الكحلوت ٢٩

● حوار مع الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني : من أزمة الشعر إلى أزمة الانسان .....
اجرى الحوار : يوسف الحرمي ٣٢

● كاتب كبير .. ورحلة بلا متاع ! .....
محمود السعدني ٣٦

● الكجور الكبير « قصة » .....
علي حمد ابراهيم ٤٠

● حكايات عربية تهاجر إلى أوربا ! .....
د . الطاهر احمد مكي ٤٢

● اخطاء لغوية معاصرة .....
د . عبد الله العبادي ٤٧

● أسماء البلاد .. أساور الدم « شعر » .....
محمد الظاهر ٥١

● اللمسات الانسانية فى الأدب الشعبي العربى .....
عباس خضر ٥٢

● الانكسار « قصة » .....
كلثم جبر ٦٠



معين بسيسو .. القنديل الذى لم ينطفىء
(ص ٢٩)

- مشكلات فى ترجمة شكسبير الى العربية ..... الدكتورة امل امين زكي ٦٢
- لماذا لم نعد نغني ؟ ..... محمد فتحي ٩٤
- متحف «رعاية النمر» للفنون الشعبية العربية ..... صبحي الشاروني ٩٩
- لغة الزهور فى الأدب والأساطير وعادات الشعوب ..... حسني شحادة ١٠٨
- ثلاث نساء .. وبيت واحد « قصة » ..... عبد الله عيسى ١١٨
- العجوز والسينما ..... رءوف توفيق ١٣٢
- رحلة صعبة .. رحلة جبلية .. قصة حياة فدوى طوقان « الحلقة السادسة » ١٢٠

● أبواب ●

- دائرة المعارف القرانية : الحكمة ..... د . محمد البهي ٨٣
- من روائع الفن العالمي : بين الحرية والابداع ..... جمال قطب ١٠٦
- اوراق خضراء : ذكريات مدرسية بقلم عبد القادر المازنى ـ شكسبير العاشق بقلم يوسف روشا ١٢٥
- العلم هو المستقبل ..... اعداد : لبنى الريدى ١٣٠
- رسائل الى المحرر ..... تقديم : نبيل خالد الاغا ١٣٨
- دوحة القراء ١٤٠
- استراحة الدوحة ..... بريشة رءوف عبده ١٤٤
- الورقة الأخيرة : قالت .. وقلت (شعر) ..... هارون هاشم رشيد ١٤٦

الدوحة

مجلة شهرية
ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام
بدولة قطر

● جميع المراسلات
ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة
تعبر عن رأي أصحابها
ولا تعبر بالضرورة
عن رأي وزارة الإعلام
أو رأي المجلة

● المواد لا تعاد إلى مرسليها
نشرت أو لم تنشر

بمناسبة النزعة العثمانية الجديدة

هذا التحزب التاريخي نظرة غير علمية ومخادعة للنفس

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

شهدت الثقافة العربية فى الآونة الأخيرة محاولات عدة لاعادة الاعتبار للتاريخ العثماني ولسياسة السلاطين الأتراك فى البلاد العربية ..

وقبل ذلك شهدنا محاولات من نوع آخر لاعادة الاعتبار لتاريخ الفرق والحركات المعارضة فى الاسلام من باطنية وخوارج وقرامطة ..

وقبل هذه وتلك شهد تاريخنا الفكرى المعاصر محاولات لاعادة الاعتبار للتاريخ الأموى ولسياسة الخلفاء الأمويين رداً على روايات خصومهم عنهم فى كتب التاريخ الموالية للعباسيين وغيرهم .

وقد نشهد فى القريب محاولات لاعادة الاعتبار للتاريخ المغولي والتترى ولحروب جنكيزخان وتخريبه لمراكز الحضارة العربية !

ونحن لا نقول ذلك من قبيل الافتراض او التندر والمبالغة .. فموجة اعادة الاعتبار للتاريخ المغولي والتترى قد بدات على يد المستشرق اليهودى الصهيوني « برنارد لويس » فى كتابه الجديد (الاسلام فى التاريخ) الذى اعلن فيه ان ما قيل عن الدمار المغولي فى العالم العربى امر مبالغ فيه جداً وان العرب المعاصرين هم الذين يبالغون فى التهويل من امر الخراب المغوولي فى بلادهم لتبرير عجزهم وقصورهم وفشلهم ! .. وذلك بالقاء اللوم كله على ما فعله المغول وما اقترفوه فى حق الحضارة العربية ومسارها ، وما وجهوه من ضربة موجعة قاتلة لمستقبلها . (راجع كتـــابه Islam In History الصفحات ١٧٩ ـ ١٩٨) .

ونحن لا يهمنا امر هذه المحاولة الاخيرة على يد برنارد لويس وامثاله من اعلام الموجة الجديدة المعادية للوجود العربى كله ، وفى مختلف جذوره وفروعه ومظاهره فهذه المحاولة تدخل فى خانة الثقافة المضادة التى لن يتقبلها اي عربي ايا كانت اتجاهاته وميوله ، ولكن يهمنا ان نتحاور مع اخوتنا المثقفين العرب داخل الاطار الثقافى العربى الاسلامى العام ، ايا كانت مواقعهم الفكريـــة وميـــولهم واتجاهاتهم .

لهؤلاء الاخوة نقول : ان التاريخ هو التاريخ بخيره وشره ، وبايجابيـــاته وسلبياته ، وبامجاده وهزائمه وانه لا يمكن التغيير من حقائق الاشياء وواقع الامور اذا صورنا التاريخ الاموي صفحة ناصعة للقومية العربية ، وصورنا تاريخ الخوارج والقرامطة صفحة ناصعة للحركات الثورية وصورنا تاريخ السلاطين العثمانيين صورة ناصعة للجامعة الاسلامية والدولـــة الاسلامية الواحدة ..

لا القومية العربية ستكسب من تبييض صحائف الامويين باعتبارهم ملوكا لاعظم دولة عربية قومية فى التاريخ (إن صح هذا الاعتبار) ..

ولا الحركات الثورية ستستفيد من اخراج تاريخ القرامطة والخوارج كنموذج للنضال التحرري (إن صح هذا الاخراج)

ولا الفكرة الاسلامية المعاصرة ستزداد تالقا من إعادة الاعتبار لتاريخ السلاطين من بني عثمان إن امكنت الاعادة ..

لكل مجد ظروفه

ان الافكار والدعوات المعـــاصرة لن تستطيع أن تصمد فى التحليل النهائي ، وفى نهاية المطاف ، إلا بما فيها من مضمون واقعي حي معاش قادر على البقـــاء والاستمرار ومواجهة التحديات الماثلة واستيعاب مستلزمات العصر ومتطلبات الحضارة ، لا بما تحاول الاستناد إليه من خلفيات تاريخية ماضية ونماذج منتهية عاشت عصورها واستنفذت مضامينها وانتهت إلى ما انتهت إليه من خير وشر ، ونجاح واخفاق .

فلا القومية العربية تمكنت من الصمود فى وجه التحدي الاسرائيلى باستنكار فتوحات عبد الملك بن مروان ..

ولا الحركات الثورية انقذتها ذكريات القرامطة ..

ولا الدعوة الدينية ستهب لنجدتهـا جيوش سليمان القانونى والســـلطان عبد الحميد ..

هذا من ناحية ..

ومن ناحية اخرى فقد اثبتت تجارب الامم فى الماضى والحاضر انه لا يمكن استعادة عصر من العصور فى عصر آخر وزمن آخر ومرحلة تاريخية وحضارية اخرى مهما كانت طبيعة ذلك العصر وجاذبيتـه العاطفية لقلوب المعاصرين وشدة تاثيره عليهم ، وقوة انتمائهم المذهبى إليه ..

فاليونانى المعـــاصر دائم الحنين والتشوق الى عصر اثينا وامجادها وزمن قائدها الديمقراطى الفذ بركليس وصحائف فلاسفتها وفلاسفة اليونان الآخرين .. ولكن اليونان الحديثة شيء .. واليونان القديمة شيء آخر مختلف .. وقد يتمكن اليونانيون المحدثون من تحقيق منجزات تاريخية جديدة ، عظيمة او متواضعة ، لكنهم لا ولن يتمكنوا من استعادة التاريخ الاغريقى والهليني بصورته الاصلية مهما حاولوا وفعلوا .. وان اصروا على استعادته فستكون الصورة التى يحققونها صـــورة تقليدية باهتة للصورة الاصل لسبب اساسي وهو ان اى عمل تاريخى عظيـم لا يمكن تحقيقه بالاعتماد على التقليد .. تقليد عمل عظيم سابق .. او تقليد عظماء سابقين .

العمل التاريخي العظيم يستوحي الروح والجوهر فيما سبقه من اعمال وتجارب لكن عظمته تكمن فى انه ليس تقليداً لاى عمل سابق بعينه .

عظمة صدر الاسلام انه كان عصراً جديداً وتحولا نوعياً فى التاريخ ليس كمثله عصر فيما سبق من ازمان .

وعظمة الفجر الاغريقى ايام بركليس وارسطو والاسكندر انه كان صفحة جديدة كل الجدة فى التاريخ الاوربي والعالمى ..

اما محاولات التقليد التاريخية فلا تنتج إلا صوراً باهتة هزيلة لا تلبث أن تنمحي من سجل الوجود ..

لقد اغرم الايطاليون المحدثون فى عصر موسوليني بالتاريخ الروماني القديم المجيد وعصر الاباطرة الرومان الكبار . ولقد بذلت الدولة الايطالية الفاشية جهوداً مستميتة للسير على خط الدولة الرومانية القديمة واستعادة امجادها وصحائفها سطراً سطراً .. ولكن تلك الجهود باءت بالاخفاق وتبديد الجهد فيما لا طائل وراءه ..

هذا التحزب التاريخي
نظرة غير علمية ومخادعة للنفس



السلطان عبد الحميد



تيودور هرتزل

لقد احتل الايطاليون المحدثون ليبيا بالقوة والدم والجبروت .. كما فعلت روما القديمة أيام توسعها .. ولقد هجم الايطاليون المحدثون على استقلال الحبشة فى ضوء العصر الحديث لتقليد اجدادهم الرومان .. ونالوا فى ذلك ما نالوه من إدانات واخفاق ومتاعب ..

وللقارىء الكريم ان يتامل اليوم : ماذا حققت ايطاليا الحديثة من صورة الامبراطورية الرومانية القديمة ؟ وإلام قادتها الفاشية المقلدة للنموذج الرومانى ؟

صحيح ان ايطاليا استوحت المجد الرومانى فى توحيد كيانها وتحديث ذاتها .. ولكن هل الدولة الايطالية الحديثة صورة مستعادة ، صحيحة وحية ، للامبراطورية الرومانية ؟ وهل كان الطليان المحدثون محقين فى التقليد ؟

بالمقابل فان أمما جديدة ، كالأمة الامريكية ، انطلقت بلا تاريخ سابق ، ولا تقليد لأى عصر قديم من عصور التاريخ ، فحققت لنفسها ، بالاعتماد على طاقاتها الحية المعاصرة مالم تحققه أمم أخرى لنفسها وهى تحاول وتحاول تقليد صورها التاريخية القديمة المتوارثة ..

من هذا المنطلق نقول للقوميين العرب لن تحققوا ذاتكم بالرجوع للتاريخ الاموي أو بمحاولة احياء التاريخ الاموى .. فهذا جهد ضائع .. لان المجد الاموي مرتبط بعصره وظروفه وطاقات أهله .. ثم انكم اذا افتخرتم بامجاد الوليد وتعريب عبد الملك للدولة ، فهل يشرفكم الانتماء الى يزيد والى الوليد بن يزيد وما اقترفاه من أعمال ؟

ونقول للمعجبين بثورات الخوارج والقرامطة : تلك أمة سلفت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، واذا اعجبتكم ثورات هؤلاء واولئك ، فهل تمدكم ببرامج عملية وقدرات حية لمواجهة مستلزمات العصر الحديث ، وما يفرضه على أهله من تحديات لم تجابه ثوار الأمس ، ثم هل يمكن لاعجابكم ان يشمل ما سيطر على الخوارج من تمرد عقيم لم يثمر ، وما اتصف به القرامطة من تطرف وصل حد الاعتداء على الحرم ونقل الحجر الأسود من مكانه ؟

والمعجبون بالدولة الفاطمية ـ التى كانت فى بداية أمرها دعوة مهدية شعبية معارضة ـ ماذا يستطيعون ان يجدوا فيها عندما استلمت السلطة غير البذخ والترف والتحالف فى نهاية الأمر مع العدو الافرنجى ضد بقية العرب والمسلمين ؟

أما آخر المحاولات واعجبها فهى محاولة اعادة الاعتبار للتاريخ العثمانى ولتاريخ السلاطين الأتراك فى العالم العربى الاسلامى باعتبارهم رموزاً للجامعة الاسلامية وللكيان الاسلامي الواحد ! .

وهذا المنحى التاريخي الجديد فى الثقافة العربية الاسلامية المعاصرة مرده الى اخفاق الحركات القومية والتقدمية التى ثارت على الدولة العثمانية وانفصلت عنها لاقامة كيان عربى عصرى جديد .

وهو منحى يرتبط ببعض مفكري الاتجاه الاسلامى الجديد وفصائله للدفاع عن تاريخ الخلفاء العثمانيين وتقديم صورة اخرى مختلفة عما ساد بين العرب عن مظالم الحكام الاتراك وطبيعتهم وشكل تصرفاتهم .

والحقبة التركية الحديثة العهد .. والناس مازالوا يتذكرونها ويتذكرون طعمها فى ماضيهم القريب ومازالت بعض الأنظمة والقوانين والعادات والعقليات ذات الطابع العثماني قائمة فى بعض البلاد العربية أو أكثرها مهما اختلفت أشكالها واسماؤها .

ونحن لا نريد أن ندخل فى جدل حول صلاحية الحكم العثمانى أو عدم صلاحيته .. فتلك أمه سلفت ايضاً .

والحكم العثمانى ، كغيره من ظواهر التاريخ ، كائن عضوي تترابط اجزاؤه واعضاؤه فى حقيقة كلية واحدة لابد من النظر اليها فى مجموعها وعدم انتقاء اجزاء مقتطعة منها دفاعاً أو هجوماً .

فالحكم العثماني وحد المسلمين لفترة ، ونشر الاسلام وثبت كيان المنطقة لبعض الوقت ، لكنه من الناحية الحضارية كان متخلف العقلية ولم يستوعب تحولات العصر الحديث ، كما كان استبدادياً من الناحية السياسية والفكرية .

تلك أمة سلفت !

وخلاصة ما يمكن ان نقوله عنه انه لم يستطع الصمود أمام التحديات الجديدة ، فتجاوزه التاريخ ، واسقطه . ولو كان يحمل مقومات البقاء والاستمرار لصمد وبقي رغم محاولات خصومه واعدائه . فكل قوة فى التاريخ يواجهها الاعداء والخصوم .. وما يحسم أمر بقائها أو فنائها مدى قوتها الذاتية ومناعتها الداخلية . ولا يمكن ان نفسر كل سقوط فى تاريخنا بانه ـ فقط ـ من مؤامرات الاستعمار والامبريالية ... فمن

الطبيعي أن يتآمر الاستعمار ضد كل قوة قديمة أو جديدة تحاول توحيد المنطقة وتكتيلها ضده ..

وكل حركة عربية أو اسلامية تقول اننا فشلنا في جهدنا بسبب مؤامرات الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، يحق لنا ان نسألها : هل كنتم تنتظرون ان يرسل لكم الاستعمار والامبريالية والصهيونية باقات من الورد لجهودكم التوحيدية والاصلاحية والتحررية ؟!

فالدولة العثمانية سقطت لانحلال داخلي عميق تأصل فيها ولم تستطع تجاوزه ، والعودة اليوم لبعض الصحائف العثمانية البيضاء ـ والتي كانت بيضاء حقاً في زمنها وسياقها التاريخي ـ لن يغير من واقع الأمر شيئاً ولن يعيد الروح لعصر مضى وانقضى . ونعتقد باخلاص ان الصحوة الاسلامية المعاصرة لن تكسب شيئاً من ربط اسمها بالدولة العثمانية أو استيحاء تاريخها ، لأن ذلك يعني الارتباط بالمظالم ومظاهر التخلف بمثل ما يعني من تعلق بفتوحاتها وامجادها العسكرية . والواقع ان الدولة العثمانية لم يكن لها غير المجد العسكري أما سجلها الحضاري والفكري فمتواضع جداً ويكفي اننا لا نعثر على مفكر واحد ، عربي أو مسلم ، له وزن يذكر من طراز الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون .. في التاريخ العثماني كله !!

فماذا يضيف هذا التاريخ لصحوة اسلامية احوج ما تحتاج إليه في هذا العصر هو الفكر الحضاري المبدع الخلاق ، والقدرة على استيعاب تقنية العصر والانفتاح على الآفاق الانسانية الرحيبة ؟

أما محاولة تبييض صحائف السلطان التركي عبد الحميد بتكرار القول في كتابات بعض الاسلاميين اليوم : من انه رفض رفضاً باتاً عروض اليهود واغراءاتهم مقابل السماح لهم باقامة مستوطنات صهيونية في فلسطين .. فهذه مسألة تحتاج إلى تدقيق واعادة نظر لأن الأمر لم يكن بمثل هذا الحسم والوضوح . ولا داعي ان ننسب للسلطان عبد الحميد مجداً غير مؤكد من أجل احياء النزعة العثمانية الجديدة في فكرنا التاريخي المعاصر !

مسألة بحاجة إلى تدقيق !

وهذه مسألة تحتاج الى بحث تاريخي كما قلت ، ولكني اضع تحت نظر القارىء القراءة التاريخية التالية بمناسبة طرح المسألة في سياق بحثنا هذا .

تقول هذه القراءة التاريخية : « في ١١ أيار (مايو) ١٩٠١ استقبل السلطان عبد الحميد الزعيم الصهيوني هرتزل الذي يعد بحق مؤسس الحركة الصهيونية .. وفي المقابلة قال السلطان لهرتزل : « كنت دائماً ولا أزال صديقاً لليهود واني اعتمد في تصريف شئون السلطنة ورعاية مصالحها على اخلاص رعاياي من مسلمين ويهود ، أما سائر رعاياي فثقتي باخلاصهم ضعيفة » . فاجاب هرتزل : « نحن مستعدون لمساعدة تركيا في شتى الحقول ، لاننا مقتنعون بانها قادرة على تجديد قواها الحيوية » .

« وهنا طلب السلطان من زائره أن يدعو اليهود الى المساهمة في تحسين مالية الامبراطورية العثمانية في مقابل السماح لهم بانشاء مستعمرات ضمن المناطق التي يقع عليها اختيارهم . وقيل ان هرتزل وعد بتقديم مليوني ليرة استرلينية ، ولكنه عجز عن تامينها . وهكذا اخفقت أولى المحاولات السلمية لتحقيق حلم صهيون بالاتفاق مع عبد الحميد الذي كان ضعيف الثقة بالعرب » ـ (راجع : كتاب المسلمون في المتوسط الشرقي للجنرال بوهرر ، والجنرال اندري ، منشورات دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ١٣٢) .

هذا توقف هامشي فقط لنقول لدعاة احياء النزعة العثمانية في فكرنا الجديد .. رويدكم .. وكفانا ما نحن فيه من جمود .. ولسنا بحاجة إلى جرعة عثمانية لانعاشنا .. كما لم تفدنا الجرعات الاموية أو القرمطية !

وخلاصة القول في علاقتنا بالتاريخ هي ان نستوحي جوهره ودروسه ، في سياقه العام وعبر عصوره المختلفة ، وان نبصر ما يحمله من امجاد وانحطاط في نفس الوقت ، وألا نجتزىء عصوراً معينة من التاريخ لننتمي اليها ، أو نختار حركات تاريخية بعينها لنتوحد معها ، فهذا لا طائل وراءه . فالتاريخ سياق واحد متصل الحلقات ، والأطراف المتصارعة وجوه لحقيقة تاريخية واحدة . والمهم هو حقيقة الأمة وجوهرها عبر التاريخ .

نحن ننتمي لتاريخنا العربي الاسلامي العام منذ أقدم عصوره الى اليوم في جوهره ، وفي قوانينه العامة ، لكننا نخطىء إذا نزعنا اليوم منزعاً اموياً أو فاطمياً أو عثمانياً ، وركزنا على عصر واحد وأسدلنا الظلام والستار على العصور الأخرى أو الحركات الأخرى . فهذه نظرة غير علمية وفيها مخادعة للنفس ، فضلا عن كونها غير مجدية في خلق نهضة موحدة تشمل كل عناصر الأمة وطوائفها بلا استثناء ، وتتطلع الى الأمام والى المستقبل.

فعندما يميل البعض الى الامويين يرد البعض الآخر بالميل الى الفاطميين . وعندما يتجه البعض للعثمانيين يتوجه البعض الآخر الى الصفويين .. وهكذا ندخل في سلسلة من إعادة صراعات التاريخ ، وربما حماقاته ، بدل ان نبذل الجهد لخوض صراع المصير والمستقبل .

فمن يعيد كتابة التاريخ العربي الاسلامي من جديد بلا هوى اموي أو فاطمي أو عثماني ؟

بل من يستعد لصنع المستقبل العربي وفي حسبانه ان يتخذ التاريخ كحافز لا كعبء ؟!

محمد جابر الأنصاري

لم ينزع إلى التسلط والجبروت ولم ينتقم لنفسه قط ، ولا طلب لها علواً في الأرض ....

المعالم الأولى في عظمة محمد

بقلم: محمد الغزالي

لست أزعم ولا زعم غيري أن الصحابة معصومون ولا أنهم في الفضل سواء ، وانما اقرر انهم صناعة سماوية عالية وقد نجحوا في تبليغ رسالة غيرت تاريخ العالم ، وان نظامهم الأخلاقي يضارع في دقته القوانين العلمية ، وان محمداً لا غير هو الذي قدر ـ بفضل الله ـ على إحكام هذا الجيل ، وابداعه على هذا النحو .

ملكتني الدهشة وانا اقرأ كيف أسلم عكرمة بن ابي جهل ، وصفوان بن امية ، وكيف استقبل النبي الكريم بمشاعر الحفاوة والفرحة هذا الاسلام الذي تاخر كثيراً ، وسبقته عداوات رهيبة .

اما صفوان فابوه امية بن خلف الذي تولى تعذيب بلال وكاد يزهق روحه تحت وطأة الصخر واللهب ، والذي لم يدع باباً لايذاء الاسلام ونبيه إلا ولجه ! ولذلك لما رآه بلال في « بدر » أسيراً صاح : امية رأس الكفر ! لا نجوت ان نجا .. ! واجهز عليه .

ولم يكن ابنه ـ حتى فتح مكة ـ خيراً منه ..

واما عكرمة فابوه فرعون الوثنية ، وموقد العداوة والبغضاء ضد عقيدة التوحيد ومعتنقيها ، وقد سماه المسلمون أبا جهل بدل اسمه القديم ـ أبي الحكم لشدة ما يلقون من بطشه !

ولم يكن ابنه حتى فتح مكة خيراً منه ! بل أن عكرمة وصفوان وآخرين من ذوي الشراسة والتعصب رفضوا السلام الممنوح لأهل مكة وقرروا المقاومة لآخر رمق !

فلما يئسوا من النتيجة تركوا جزيرة العرب فارين بكفرهم إلى أرض أخرى.
ولكن لله قدراً آخر ، وهو أعلم بخلقه !

إن النبى المنتصر لم يكن طالب ثـار ، ولا ناشد قصاص ! كانت الرغبة المستولية عليه أن يفتح اقفال القلوب ، وأن ينقـذ التائهين الحيارى ، وأن يعالج الأخطاء القديمة بالرفق ، وأن يلقى الاحقاد بالعفو ، وأن يحبب الناس فى الاسلام ، وأن تقر عيناه برؤيتهم يدخلون فيه أفراداً أو افواجاً !

إنه رحمة مهداة ، إنه رسول يقود العباد إلى ربهم وليس بشراً ينزع إلى التسلط والجبروت ، ما انتقم لنفسه قط ، ولا طلب لها علواً فى الأرض ..

● ●

ولنسرد الشواهد على ذلك من احداث التاريخ .. جاء عمير بن وهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له : يا رسول الله ، صفوان بن امية سيد قومى خرج هارباً ليقذف بنفسه فى البحر وخاف ألا تؤمنه ! فامنه فداك ابى وامى ، فقال رسول الله قد أمنته .!

لكن صفوان لم يطمئن ، وطلب من عمير علامة تشعره بالأمان ! فقال رسول الله لعمير : خذ عمامتى ـ التى كانت على راسه يوم الفتح ـ فاره إياها . !!

ورجع صفوان ! وحضر معركة حنين مع المسلمين ، وراه النبى عليه الصـــلاة والسلام عند توزيع الغنائم يرمق باعجاب وادياً مليئاً بالابل والغنم ! فقال له النبى الكريم : يعجبك ذلك ؟ قال : نعم ! قال : هو لك !

فقال صفوان : ما تطيب نفس احد بمثل هذا العطاء إلا نفس نبى « أشهد أن لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله » .

كان الرجل فى ريبة من أمره ، ولعله كان يحسب محمداً طالب ملك ، أو عاشق مال وجاه ! فلما راى نفس النبى صلى الله عليه وسلم لا تطلع فيها ولا تعلق لها بشيء جل أو هان من هذا الحطام ، أدرك انها النبوة فاعلن للفور تصديقه بها ..

يقول بعض المستشرقين : لم لم يعامل زعماء اليهود بهذه السماحة ؟ ونجيب : بان صفوان وأشباهه كانوا فى عماية من أمرهم وما انشرحت صدورهم للايمان إلا بعد فترة طويلة أو قصيرة ، أما زعماء يهود ، فكانوا يعرفون النبى كما يعرفون ابناءهم ، ومـع ذلك فقد ظاهروا عليه الوثنيين مفضلين الشرك على التوحيد ، ومرجحين مصالحهم الجنسية على الأرض والسماء ، فكيف يترك هؤلاء ؟

أما قصة إيمان عكرمة فهى أجدر بالتامل الطويل ، جاءت امراته « أم حكيم » ـ وكانت قد أسلمت يوم الفتح ـ فقـالت : يا رسول الله هرب عكرمة ، خائفاً أن تقتله فامنه ! فقال : هو آمن ..

وأدركت المراة زوجها عند الساحل ، وقد ركب سفينة يريد الابحار بها بعيداً فنادته قائلة : جئتك من عند أوصل الناس ، وأبر الناس ، وخير الناس ، لا تهلك نفسك ، وعد معى ، فقد استامنت لك رسول الله ..

قال ابن عساكر : فلما دنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ياتيكم عكرمة بن ابى جهل مؤمناً ، فلا تسبوا اباه ! فان سب الميت يؤذى الحى ولا يبلغ الميت ..

ولما أقبل عكرمة وثب إليه النبى صلى الله عليه وسلم ، متعجلا ليس عليه رداء ، من فرحه بمقدمه ! وعرض عليه الاسلام ، فقال عكرمة : والله ما دعوت إلا إلى الحق ، وإلى كل امر حسن جميل ، قد كنت والله فينا ـ قبل دعوتك هذه ـ أصدقنا حديثاً وأبرنا براً ..

وأعلن الرجل اسلامه فى مشهد نابض بالصدق ، كاشف عن مستقبل عامر بحب الله ورسوله .

وكان مطاطئاً راسه حياء من النبى صلى الله عليه وسلم ! ثم قال : يا رسول الله استغفر لى كل عداوة عاديتكها ، أو مركب أوضعت فيه أريد إظهار الشرك والصد عن سبيلك !

فدعا رسول الله له .. فقال عكرمة : أما والله لا ادع نفقة كنت انفقتها فى الصد عن سبيل الله إلا انفقت ضعفها فى سبيل الله ولا قتالا قاتلت فى الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه فى سبيل الله ..

● ●

بهذا الخلق العظيم كان صاحب الرسالة الخاتمة يصنع السلف الأول ، إنه لم يصنعهم على هذا الغرار ليؤمنوا به وحسب ! لا ، إنه يريد أن يؤمنوا وأن يحملوا إلى غيرهم الايمان وأن يزيحوا من أمامه العوائق ، إنهم بناة تاريخ مديد ، ودعائم رسالة تستوعب الزمن كله !

إن صحابة محمد تشدهم إليه جاذبية معنوية كهذه الجاذبية المادية التى تربط الشمس بكواكبها واقمارها ، وتنظم ما أودع الله فيها من طاقة وضوء !

فلننظر كيف وفى عكرمة بعهده لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال التاريخ : عندما التقى الروم والعرب فى معركة اليرموك وضع خالد خطته على أن يتحمل قلب الجيش الاسلامى عبء المعركة ، وأن يحتفظ هو بالجناحين ليلتف بهما حول الروم فى الوقت المناسب ..

والروم اضعاف المسلمين أربع مرات فكيف اذا تصدى لهجمتهم القلب وحده ؟ كان الموقف صعباً جداً ، وتهشمت صفوف أمام وطاة الرومان ، وزلزلت أقدام البعض .

وهنا صاح عكرمة : قاتلت رسول الله فى مواطن كثيرة وافر اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فانضم إليه اربعمائة من طلاب الشهادة ، من وجوه المســلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتل منهم خلق كثير .

بيد أن قلب الجيش صد المهاجمين حتى مكن خالداً من الاطباق عليهم بجناحيه فهزموا هزيمة محت دولة الروم من الشام كله ..

ألا ترى التربية النبوية فى موقف عكرمة والرجال الذين آزروه ؟

المعالم الأولى في عظمة محمد

وانظر اثر هذه التربية فى موقف آخر ، روى الطبرانى ان ابا بكر استنفر المسلمين لقتال اهل الردة ، فساروا إلى اليمامة وكذابها مسيلمة ، وكانوا فى منعة وعدد واهبة ، فهزموا المسلمين ثلاث مرات .

فقال ثابت بن قيس ، وسالم مولى أبى حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا لانفسهما حفرة فدخلا فيها ، وكان ثابت يحمل راية المهاجرين ، ولم يترك الصاحبان العظيمان مكانها حتى قتلا فيه .

أما عباد بن بشر من الأنصار فقد نادى فى قومه : احطموا جفون السيوف ـ اكسروا اغمادها ـ وتميزوا عن الناس ، وأخذ يصيح اخلصونا اخلصونا .

فاحاط به اربعمائة من الأنصار ما يخالطهم غيرهم ، وزحفوا إلى الحديقة التى تحصن بها مسيلمة واتباعه واقتحموا بابها ، وتتابع أهل الفداء حتى احتلوها ، وقتلوا الكذاب الذى اثار هذه الفتنة ، ثم غسلوا الجزيرة غسلا من كل هذه الاقذار . !!

إن اعداداً كبيرة من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ذهبوا شهداء فى معارك الجهاد ضد الوثنيين والكتابيين ، ولكن فناء فى الحق هو عين البقاء !

• •

والدارس المحايد يرى آثار النبوة فى شمائل أولئك الرجال الشجعان ، إن محمداً مات يقيناً ، غير ان روحه بقيت يتحرك بها أصحابه ، فما غرسه فى دمائهم لم يذهب سدى !

لقد اشربوا منه حب الله ، وطلب رضاه والتمهيد للقائه ، والشوق إلى جنته ، فاقدرتهم هذه العواطف الجياشه على تهديم أسوار الباطل وكانت عالية .

وتلاشت امبراطوريات استعصت على الفناء قرونا متطاولة .. !

• •

وتميز اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بامرين لم يعرفا فى تاريخ النبوات الأولى ..

لقد نقلوا الوحى السماوى كله فما سقط منه حرف ، ونقلوا السنة المحمدية كذلك ، وربوا من الأتباع من عمل عملهم . فاذا الاسلام يبقى فى اصوله النظرية مصونا من كل شائبة .

وظل هذا التواتر للقرآن الكريم كلمة كلمة ، وللسنة فى الجملة ، فتوفرت للرسالة الخاتمة عناصر الخلود ، وظلت وسوف تظل كلمة الله الاخيرة للخلائق اجمعين حتى انتهاء الدنيا .

أما الأمر الآخر ، فان الصحابة رضى الله عنهم هم الذين جعلوا عالمية الرسالة حقيقة واقعة، فان النبى عليه الصلاة والسلام لحق بالرفيق الأعلى ودينه لم يتجاوز حدود جزيرة العرب ، وقد علم الاصحاب الكرام انه مبعوث للعالم كله ، فشرعوا ينساحون فى الأرض مبشرين ومنذرين !

ولم يكن الطريق سهلا ، فان رعاع العرب داخل الجزيرة حاولوا إعادة الليل المدبر وإحياء الجاهلية المسحوقة ، كما ان مجوس فارس وصليبيى الرومان اعترضوا بالعنف مسار الدعوة ! غير ان الجيل الذى رباه محمد كان صلب المعدن ، شديد البأس جمع بين الصرامة والكرامة ، فلم تلن قناته ولم يضرع امام قوى الباطل ! إنه نازلها كلها حتى كسر شوكتها واسقط دولتها !

ان تربية محمد لهذا الجيل معجزته الكبرى بعد القرآن الكريم ، وإنى احس فى أولئك الأصحاب ذوب نفسه عليه الصلاة والسلام ، ونبل شمائله ، وعمق عبادته ، وحبه الجارف لذات الله واستعلاءه الفذ على مارب الدنيا ..

وصحبة العظماء نعمة جليلة .. إن ساعة مع جليس صالح تنفحك من خلائقه ما ينفحك حامل المسك ، كما ذكر ذلك النبى الكريم ، نعم قد تستفيد فكرة نيرة ، او خلة طيبة ، أو قدوة حسنة ذاك فى لقاء عابر ، فكيف إذا طال اللقاء ودامت العشرة ؟

ذكر مطعم بن جبير ان قلبه كاد يطير من الرغبة والرهبة والخشوع وهو يسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فى صلاة المغرب !

فكيف بمن صلى وراءه بالقرآن كله آلاف الركعات ؟ وخالطه فى شئون حياته وتقلبه بين الناس ؟

إنه جيل لا نظير له فى تاريخ الرسالات ، وتعرف ذلك بالموازنة العادلة !

فبطرس احد الحواريين الكبار ، وقد صحب عيسى بن مريم طويلا ، ومع ذلك فعندما تعرض هذا النبى الكريم للاضطهاد وشرع خصومه من اليهود والرومان يقاومون تعاليمه بغضب ، وصدرت الأوامر للشرطة بمصادرة النصرانية واعتقال اتباعها وتعرض عيسى لحرج شديد .. فى هذه الأونة القى القبض على بطرس وسئل:

اتعرف عيسى بن مريم .

قال : لا ! وانكر عدة مرات ان له به صلة .. لقد آثر النجاة بنفسه !

اذكر هذا الموقف الغريب واقرأ هذه القصة ، اسر للشركون زيد بن الدثنة ، وساقوه إلى ساحة القتل ، واحاطوا به فى لحظاته الاخيرة ليشمتوا ويشتفوا ! قال له ابو سفيان ـ والرمح موجه إلى بطن زيد ليغرس فى احشائه ـ انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمداً الآن عندنا مكانك ، نضرب عنقه ، وانك سالم فى اهلك ؟

قال زيد : والله ما احب ان محمداً صلى الله عليه وسلم الآن فى مكانه الذى هو فيه ، تصيبه شوكة تؤذيه ، وإنى جالس فى اهلى ... !!

قال ابو سفيان : ما رأيت من الناس احداً يحب احداً كما يحب اصحاب محمد محمداً .. !!

وقتل الصحابى الوفى المحب لله ورسوله ، وهو الآن يمرح فى بحبوحة الجنة ! جمعنا الله به ، منة وكرما ..

الفرق بين بطرس وزيد ، هو الفرق بين

أصحاب محمد وسائر الناس ، إنهم طراز آخر من البشرية الزاكية ، ومن ثم قلنا : إنهم جزء من حياة محمد وجهاده وزكاته ، ومجلى لأمجاد انسان ضخم شاء الله أن يخرج العالم على يديه من الظلمات إلى النور ..

● ●

والرجولة الجادة التى تميز بهـا أصحاب محمد حصنت دينه من التحريف ، إن حاخاما مثل شاول تظاهر بالنصرانية ، واستطاع أن يجعل التوحيد تثليثا ، وأعجز الأتباع الذاهلين عن الاحتفاظ بما لديهم ، فضاع ولم يعثر له على أثر !

أما الصحابة فقد يئس الشيطان أن يعبد فى أرضهم ، أو يغير كلمة من وحيهم ! كانوا أشداء فى صون الحق ودمغ الباطل ! كانوا تلامذة أذكياء النبي المرحمة ونبى الملحمة ، بث فيهم روحه فاضحوا وكأنهم صور مصغرة له ..

من أجل ذلك غار عليهم ودفع عنهم ، وحمى أعراضهم ، روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضاً بعدى ! فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضـهم فببغضى أبغضهم ! ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ! ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه .. » .

والتعبير بالإيذاء ناضح بفظاعة الجريمة .. قال تعالى « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا » .

ولست ازعم ولا زعم غيري ان الصحابة معصومون ولا انهم في الفضل سواء ، وانما اقرر انهم صناعة سماوية عالية ، وقد نجحوا في تبليغ رسالـة غيرت تـاريخ العالم ، وان نظامهم الاخلاقي يضارع في دقته القوانين العلمية ، وان محمداً لا غير هو الذي قدر ـ بفضل الله ـ على احكام هذا الجيل ، وابداعه على هذا النحو ...

والآيات الأخيرة من سورة الفتح أوضحت هذه المعاني بايجاز : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » ، والاظهار المذكور يقوم على البرهان ، وتجلية الحقائق وكشف الشبهات ، قبل أي شيء آخر ..

فاذا استنسر الضلال ، واحتقر البرهان قامت الحرب .

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجـدى على الدنيا من السلم !

ثم يقول تبارك اسمه « محمد رسول الله ، والـذين معه أشداء على الكفـار رحمـاء بينهم .. » لابد من الشدة فى وجه محاولات التحريف والكيد واذلال الدعاة ! لا عزة للفرعنة والافساد ! من الخير ألا تبقي جراثيم الحيات القاتلة حرة في الفتك والاغتيال !

والى جانب هذا المسلك يجب أن يكون المرء حلو الشمائل دميث الأخلاق مع البراء ، والاخيار ، وقد كان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها فاذا انتهكت لله حرمة لم يقم لغضبه شيء .. ، وكذلك ربى أمته !

ويطرد وصف المؤمنين فيقول تعـالى : « .. تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من اثر السجود » الانسان الصادق الشريف تبدو في أساريره سيماء الصدق والشرف ، وتنطبع في وجهه مسحة من أدب وخشوع ، وتدبر قول الشاعر :

وابيض يستسقي الغمام بوجهه
ثمال اليتامى ، عصمة للأرامل !

وبياض الوجوه وسوادها ليس انتماء الى جنس أبيض أو أسود ، وإنما هو نضح الطوايا الطيبة أو الخبيثة ، وما يكسوها من تهلل أو خزى .

والأمة الاسلامية أمة عبادة لله ، ودعوة إلى هذه العبادة ، وانشغال بتكاليفها بالغدو والآصال ، وتوكل على الله ، ورجاء فى بره ، وارتقاب دائم لفضله ورضاه .

قال تعالى « ذلك مثلهم فى التـوراة ومثلهم فى الانجيل .. » لا مكان هنا لذكر ماورد من إرهاصات عن النبوة الخاتمة فى الكتب السابقة ، بل نحن لا نعول عليها فى شيء ! وإنما نتامل فى ختام الآية ، وكيف بدأت الامـة الاسلامية ضعيفة العود كالنبتة الخضراء الطرية لو داسها حيوان بظلفه لأماتها ، ثم كيف نما هذا الزرع ، وتحولت الساق الغضة إلى شجرة باسقة وانضم إليها غيرها فاذا الحقل المتموج يتحول الى غابة من الأشجار الباسقة ، لو صعد الرجال على أغصانها لحملتهم .

هكذا كنا وهكذا صرنا « كزرع أخرج شطئه ـ فسائله وسلالاته ـ فآزره ـ انضم إلى جواره مثيله فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع .. » .

فى صحراء الجزيرة المنقطعة عن الحضارات كلها صنع محمد عليه الصلاة والسلام أمة عجباً ، قال العدو فى وصف مقاتليها : إنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار .

هذه الكلمة تشير الى طبيعة البناء الذى قامت عليه أمتنا .. إنه من الداخل تعاون على البر والتقوى ، وتآخ فى السراء والضراء ، ومن الخارج رباط مستديم لمؤازرة الخير ومدافعة الشر ..

وميزة الرسالة التى اضطلعت بها امتنا انها لا تسكت عن معروف ولا تسكت على منكر ، وانها تشتبك باسم الله مع شياطين الانس والجن لتكف بأسهم وتكسر عدوانهم ..

ولو لا ظهور الاسلام لبادت حقائق وفضائل ، ولصارت الانسانية قطيعاً آخر من الوحوش الضارية لا تتحرك إلا بغرائز السوء ..

ان الأمة التى رفعت علم التوحيد هى وحدها التى قلمت أظافر القياصرة والأكاسرة والفراعنة ، واحتضنت سواد الجماهير وقال نبيها لمن يريد طلبه : « ابغـونى فى ضعائفكم هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم ؟ » .

أين هذه الأمة الآن ؟ وأين صوتها فى المجامع العالمية ؟ وأين النماذج التى تقدمها لدينها العظيم ؟ .

لا أقدر على الجواب ! إننا نحاول بشق الأنفس جمع الشتات وإحياء الموات .. وما ندرك سهماً من نجاح إلا اذا أرينا الله من أنفسنا الصدق .. !

محمد الغزالى

مكرم عبيد
ليس رائداً للفكرة العربية في مصر

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

- حوار مثير بين مكرم عبيد وأحمد الشقيري
- مكرم يطرد المجاهد الفلسطيني محمد علي الطاهر .. ومصطفى النحاس يسانده ويتبنّى قضيته
- صحفي كبير يجعل من مكتبه في جريدة الأهرام وكالة فلسطينية قبل ١٩٤٨

خرجت علينا إحدى الرسائل الجامعية التى نالت درجة الامتياز فى جامعة عربية محترمة برأى محدد تقول فيه : إن مكرم عبيد باشا ، السياسى المصرى المعروف وسكرتير حزب الوفد السابق ورئيس حزب الكتلة الوفدية بعد ذلك ، كان أول رائد للدعوة إلى الوحدة العربية فى مصر .

فهل يستقيم هذا الرأى مع حقائق التاريخ الثابتة ؟ ... هذا ما نناقشه فى المقال التالى ، ونلقى عليه الضوء ، لنرى مدى ما فيه من صحة واستقامة علمية .

إذا كان لكل قضية شكل ومضمون ، فان فكرة الوحدة العربية كانت قائمة مضموناً وغائبة شكلا حتى نهاية الدولة العثمانية .. وبعد استقلال الدول العربية أصبحت الفكرة قائمة شكلا بعد ان نصت عليها كافة الدساتير ، وان كانت غائبة موضوعاً بسبب الافتتان بقضايا ما بعد الاستقلال الوطنى الذى شغل كل دولة إلى حد ما عن تعميق الارتباط العربى ، وان كانت قضية فلسطين المعاصرة هى وحدها التى حافظت على الانتماء العربى .

وشواهد التاريخ تؤكد عمق العلاقة العربية بين كافة الدول العربية وارتباطها بالمصير الواحد ، ففى عهد الظاهر بيبرس كان البريد ينتقل على ظهور الخيل من القاهرة إلى دمشق فى اربعة ايام بصفة منتظمة يومياً وبلا رقابة .. كما ان رحلات ابن بطوطة ما هى إلا تسجيل لرحلات من آلاف الرحلات التى كان يقوم بها ابناء الأمة العربية فى عصره ، عابرين كافة الحدود العربية بلا جمارك او جوازات سفر !

وإذا ما تاملنا اللحظات الأخيرة اللاهثة من حياة الدولة العثمانية ، لوجدنا فى طرابلس ليبيا ان صالح حرب المصرى الذى هرب بجنوده من جيش الاحتلال البريطانى وحكم عليه بالاعدام ، يحارب جنباً إلى جنب مع جعفر العسكرى وهو كردى عراقى ومع عبد الرحمن عزام الذى ضحى بدراسة الطب ليكافح فى سبيل الوحدة العربية ..

وفى تلك الفترة ، كان هناك إلى حد ما تمثيل للعرب فى (مجلس المبعوثان) وكان يصل إلى منصب الصدر الأعظم تونسى (خير الدين باشا) او مصرى (اسعد حليم) .. كما ان ابا الهدى الصيادى الذى ينسب إليه الكثير من النقد كمستشار سيطر على السلطان عبد الحميد كان عربياً خالصاً فى فكره وسلوكه .

إلا ان كل ذلك وغيره الكثير ، تبدد فى مرحلة تالية ، عندما دخل الاستعمار الغربى إلى كل شبر - تقريباً - من أوطان العرب متجاوزا ذلك حتى أسوار اسطنبول نفسها ، وسقطت القدس أمام جيش الجنرال اللبنى ، ووقتها استيقظ العرب ليجدوا انفسهم فريسة للاحتلال البريطانى والفرنسى والايطالى ، واستمات الاستعمار من اجل ضرب الفكرة العربية بكل الوسائل ففى شمال إفريقيا عمد إلى محو اللغة العربية محواً تاماً واحلال الفكر الغربى محل الفكر العربى ، وفى الشام لجأ إلى تفتيت الوطن الواحد إلى كيانات صغرى يسهل السيطرة عليها ، وفى وادى النيل كان لابد ان يسعى بكل قواه لايجاد الكيانات المتخاصمة وان شربت من ماء واحد وارتبطت بمصير عربى واحد .

وجاءت فترة ما بين الحربين لتنشغل الدول العربية انشغالا كاملا بقضية الاستقلال الوطنى ، فكان شعار كل دولة هو محاولة تحقيق استقلاله الوطنى والذود عن هذا الاستقلال بكافة الوسائل والسبل .

وظل الحال على ما هو عليه ، حتى برزت



مكرم عبيد



احمد الشقيري



مصطفى النحاس



محمد علي الطاهر

قضية فلسطين ، وهى وحدها التى يعود إليها الفضل فى تذكير العرب جميعاً - رغم انشغالهم بقضية الاستقلال الوطنى - بأن هناك رابطة لغة واحدة وتراث واحد وأصل واحد وآمال واحدة لابد ان تجمع صفوفهم فى مواجهة هذا الخطر الجديد الذى يهددهم جميعـــاً وهـــو الخطر الصهيونى .

وإلى جوار ذلك كان هناك رجال اللغة من أدباء العروبة ورجال الصحافة والفن والفكر وأساتذة الجامعات ، ممن كان لهم فضل الحفاظ على الانتماء العربى رغم الانشغال بالقضية الوطنية ، فطه حسين والعقاد وغيرهم من أبناء جيلهم فى كافة البلاد العربية كانت كتبهم سفيراً عربياً غير رسمى فى كل شبر من أرض العرب المحتلة ، وتلاوة الشيخ محمد رفعت وغيره من مشاهير المقرئين كانت فيضاً عظيماً يتلهف العرب على سماعه فى كل مكان ، والصحف المصرية كانت تصل لكل البـــلاد العربية وكانت فى معظمها من إنشاء الشوام الذين هاجروا إلى مصر ، وحتى الأغنية العربية فى مصر أو الشام أو العراق كانت نهراً يرتوى منه العربى اينما كان !

ولطالما بذلت محاولات عديدة من اجل الوحدة السياسية بين العديد من البلاد العربية ، ولكن الاستعمار كان يقف لتلك المحاولات بالمرصاد ، فقضى بمؤامرته على بعضها بمجرد ظهوره ، واجهض البعض الآخر قبل أن يرى النور !

هذه الرسالة الجامعية

ومنذ أيام اطلعت على رسالة دكتوراه (اجيزت بامتياز) من جامعة عربية ، وتوقفت عند ما قاله صاحب الرسالة من أن محاولات الوحدة العربية كان رائدها هو مكرم عبيد ، ووجدت أن الباحث استدل على ذلك بمقال نشره مكرم عبيد فى الهلال الشهرية داعياً إلى الوحدة العربية ، وهذا حكم لا يمكن أن نطلقه ببساطة خاصة إذا ما صدر فى بحث أكاديمى ، المفروض الا تصدر فيه أى أحكام دون دراستها من كافة الجوانب ، خاصة وان كل الذين اهتموا بتاريخنا المعاصر يدركون أن هناك العديد من المحاولات الرامية إلى الوحدة العربية كانت قبل مكرم عبيد ، بل واحب أن اذكر أن مكرم عبيد - نفسه - كان يستغرب وجود هذه الوحدة ويدافع عن قناعته بذلك فى استماتة !

وفى مذكرات احمد الشقيرى (مقابلات مع الملوك والرؤساء العرب) قال أن مكرم باشا وفد على فلسطين كسكرتير عام لحزب الوفد لاستطلاع كفاح شعب فلسطين وليستطيع حزبه أن يكون رأياً فى هذا الموضوع ، وانهم استقبلوه فى عكا ، وخطب لهم وخطبوا له ، وفى السيارة وأثناء العودة دار الحوار التالى بين احمد

مكرم عبيد
ليس رائداً للفكرة العربية في مصر

الشقيرى ومكرم عبيد :

« مكرم : بلادكم جميلة خالص .. إنها أجمل من مصر .

الشقيرى : استغفر الله .. مصر أم الدنيا .. يكفيكم النيل .. مصر بستان العالم كما يقول ابن خلدون ولكن ..

مكرم : لكن ماذا ؟

الشقيرى : الانجليز واليهود أفسدوا علينا جمال بلادنا هذه ..

مكرم : الانجليز موضوع مفهوم .. ولكن اليهود .. اليسوا أولاد عمكم .

الشقيرى مازحاً : أولاد عمكم انتم .. فقد كان اليهود فى مصر فى عهد موسى قبل أن ياتوا إلى فلسطين !

مكرم : وما هو الحل ؟

الشقيرى : الاستقلال لفلسطين فى اطار وحدة عربية .

مكرم : والوحـــدة العربيـــة .. « يعنى إيه ؟ » (رائد الوحدة العربية هل يسال هذا السؤال ؟) .

الشقيرى : يعنى نريد أن ندخل فى وحدة مع الأردن وسوريا ولبنان والعراق .

مكرم : يعنى إذن انتم « موش عاوزين الاستقلال » !

الشقيرى : الاستقلال عندنا هو بداية الوحدة .

مكرم : معنى هذا ان تكون فلسطين مجرد « مديرية » فى دولة المشرق هذه !!!

الشقيرى : بالضبط » .

هذا هو الحوار الذى دار بين مكرم عبيد واحمد الشقيرى ، وهو حوار ينفى ما قاله الباحث الذى لم يتحر امانة ودقة البحث فى نفس الوقت الذى لا يعفى الذين ناقشوه فى هذا الكلام واجازوه !

ولكن ، لننتقل بعد هذا الحوار ، إلى مذكرات اميل الغورى (٦٠ سنة فى خدمة فلسطين) لنرى انه يسجل للتاريخ أن عدداً غير قليل من زعماء الأحزاب السياسية المصرية لم يبدوا اى اهتمام جدى بثورة فلسطين وكفاحها ، بل وكانوا لا يصدقون أن الفلسطينيين يهاجمون الانجليز فعلا أو يطلقون عليهم الرصاص ..

وقال فى هذه المذكرات بوضوح وصراحة « من واجبى أن اقرر ايضاً أن مكرم عبيد والنقراشى واحمد ماهر ونجيب الهلالى لم يكونوا متحمسين ابداً لفلسطين .. ومن حزب الاحرار لم يكن لطفى السيد ولا حسين هيكل ولا محمود عزمى يبدون عطفاً بل ان آراء بعضهم كانت مخالفة لرأى العرب ، وان حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى (القديم) لم يبد أى اهتمـــام بالقضية » ..

ويحدد اميل الغورى اسماء الزعمـاء السياسيين الذين كانوا يبدون عطفاً وتفهماً للكفاح الفلسطينى بانهم فى حزب الوفد لا يخرجون عن : مصطفى النحاس . حمد الباسل ، عبد الستار الباسل ، عبد الرحمن عزام ، محمود بسيونى ، محمود لطيف ، حافظ عوض ، فتح الله بركات .. اما من خارج حزب الوفد فكان المؤيدون للقضـــية الفلسطينية : محمد محمود ، ومحمد على علوبة ، ومنصور فهمى وحافظ محمود (من الأحرار الدستوريين) واحمد حسين ومصطفى الوكيل ومحمد صبيح (من مصر الفتاة) .

لا خطب ولا حتى كلمات

وهكذا نرى ان تلك الوثائق وغيرها تنفى ما ورد فى رسالة الدكتوراه ، التى اعتمدت فى اصدار هذا القرار التاريخى الخطير على ما ورد فى مقال لمكرم عبيد فى مجلة الهلال ..

فهذا القرار يسقط قيمة الرسالة ، ويعتبر فى نفس الوقت شهادة لمجلة الهلال ولصحف دار الهلال التى دأبت على مناصرة القضايا العربية والوحدة بين البلاد العربية ، ولازالت تصدر سنوياً عدداً بعنوان « نحن العرب » .

ولعل ذلك المقـــال كان مجرد استكتاب من المجلة لمكرم عبيد باعتباره احـــدى الشخصيات الأدبية السياسية اللامعة ، وللأسف فاننا ـ خارج نطاق ذلك المقـــال ـ لا نجد لرائد القومية العربية خطبة ولا حتى كلمة فى هذا الموضوع !

وقد كانت الصحف المصرية فى ذلك الوقت وقبله اكثر تفهماً واسبق اهتماماً وعناية بقضية فلسطين وكانت هناك باستمرار كلمات ملتهبة عن فلسطين وكفاح شعبها العـــربى فى « كـوكب الشرق » و « البلاغ » و « مصر الفتاة » وحتى جريدة « المقطم » كانت لا تخلو بين الحين والآخر من مقالات تشرح ابعـــاد القضـــية الفلسطينية .

لقد كان من مؤيدى قضية فلسطين من كبار الصحفيين في ذلك الوقت : حافظ عوض ، وتوفيق دياب ، وعبد القادر حمزة ، واحمد حسين ، وحافظ محمود ، وخليل ثابت ، وفؤاد صروف ، وداود بركات ، وأسعد داغر ، ومحمود ابو الفتح ، ومحمود صبيح ، والبير عمون .

وكان الصحفى اسعد داغر يحول مكتبه فى جريدة الأهرام إلى وكالة فلسطينية ، بل إلى مركز « عروبة » ، ويجتمع فيه مؤيدو العروبة والمناصرون للقضية الفلسطينية من مصريين وغيرهم مثل خير الدين الزركلى وحبيب جاماتى وموريس أرقش وعبد العزيز العلى وصبحى الشوربجى ويعقوب خورى ومحمد علي الطاهر .

شهادة أخرى

ويذكر محمد على الطاهر فى كتـــابه « ظلام السجن » انه بعد أن كان متخفياً عن الانجليز فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية بسبب صدور حكم ضده ، ظهر فجاة امام مكرم عبيد عندما كان وزيراً للمالية فى حكومة مصطفى النحاس ، فنهره مكرم وطرده ، وحاول محمد على الطاهر أن يذكر مكرم بما كان يقوله له من قبل ، فقـــال له « اسمع يا محمـــد .. هذا لما كنـــا فى المعارضة ، ولكننا الآن فى الحكم .. اذهب عنى » .. وذهب محمد على الطاهر إلى مصطفى النحاس ، فافرج عنه ، وحصل له على العفو ، وسهل له اقامته ونشـــاطه السياسى فى مصر .

ونحن لا نستغرب تلك الشهادة او غيرها ، لأن الفكرة العربية نفسها لم تكن متبلورة فى اذهان اغلب الســـياسيين المصريين فى ذلك الوقت ، ولم تتبلور إلا بعد ظهور الخطر الصهيونى واشتعال النزاع العربى الاسرائيلى وكشف المخططات الصهيونية الرامية الى الاستيلاء على معظم اراضى الوطن العربى .

كما أن الفكرة العربية نفسها كانت عدواً لدوداً للاستعمار الذى غذى الاقليمية حتى يضمن بقاءه ، وغذاها بكل الوسائل ، بما فى ذلك التشجيع على الاغتراف من علوم الغرب ، حتى وجدنا رجلا ذكياً ونابها وعبقرياً مثل طه حسين يفاجئنا بمقالة فى مجلة « المكشوف الشامية » يقول فيها:



ابراهيم باشا



عبد الرحمن عزام



عبد القادر حمزه



احمد لطفى السيد

« ان الفرعونية متاصلة فى نفوس المصريين ، وانها ستبقى كذلك ، بل يجب ان تبقى كذلك ، ولا تطلبوا من مصر ان تتخلى عن مصريتها وإلا كان معنى طلبكم ان أهدمى يا مصر ابا الهول والاهرام وتغاضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ومتاحف العالم وانسى نفسك واتبعينا » ..

لقد نسى طه حسين نفسه فى هـذه الكلمة .. ونسى ان عشاقه فى كل العالم العربى يقراونه بالعربية ولا يقراونـه بالهيروغليفية !

محاولات نحو الوحدة العربية

من كل ذلك وغيره ، نصل إلى القول باننا نريد ان نوضح حقيقة تقول بان الراى العام المتوهج للفكرة العربية لم ينضج إلا بعد تطور القضية الفلسطينية وتحولها إلى نزاع عربى اسرائيلى شامل ..

ولهذا فمن الخطا - على الاقـل - اكاديميا ان نقول ان مقال مكرم عبيد فى الهلال عام ١٩٣٩ كـان اول بادرة نحو الوحدة العربية فى العصر الحديث ، فقد كانت هناك محاولات عديدة ، لقد ذهب عبد الحميد سعيد رئيس جماعة الشبان المسلمين وانشا فروعا لجمعيته فى فلسطين وخطب فى الساحات والنوادى والمساجد داعيا الى الاخوة الاسلامية .

وقبل ذلك دعا خريجو كلية بيروت الى الوحدة العربية فى كتابات البستانى والشدياق وعشرات غيرهم .

ومن قبل كل هؤلاء دعا ابراهيم باشا ابن محمد علي الى الوحدة العربية ايضا .

بل انه تكونت فى القاهرة رسميا عـام ١٩٢٢ (قبل مقال مكرم عبيد بسبعة عشر عاما) « جمعية الرابطة الشرقية » ، نشات فكرتها لدى ميرزا مهدى رفيع مشلى بك واسـندت رئاسـتها الى السـيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، واتخذت لها مقرا فى دار البكرى بالخرنفش بالقاهرة . وكان من بين اعضائها بعض امراء الاسرة المالكة مثل الامير يوسف كمال والنبيل اسماعيل داود ، وكان فيها ايضا الشيخ التفتازانى وصالح جودت « عم الشاعر صالح جودت وكان يعمل بالمحاماة ويحمل نفس الاسـم » والدكتور محجوب ثابت ، والشـيخ عبد المحسن الكاظمى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، واحمد شفيق باشا ، والامير حبيب لطف الله وهو سورى نال لقب الامارة هو واخوه وعملا سفيرين للثورة العربية ضد الاتراك ١٩١٦ فى لندن وباريس ، وانضم الى الجمعيـة بعـد تكوينها الامير عمر طوسون ، وقد انشات هذه الرابطة فرعا فى تركيا ضم احمد جودت بك الصحفى صاحب اقلام وعمر رضا بك صاحب جريدة الاخبار ومعلم اللغة الانجليزية للسلطان .

وكانت هذه « الرابطة الشرقية » بصدد انشاء فروع لها فى سائر دول الشرق وان تبدا حملة لجمع اعانات لتجديد المسجد الاقصى المبارك .

• • •

ورغم ان هناك جمعية بهذا النشاط ، وتضم هذه الشخصيات البارزة ، وتسبق مكرم عبيد بعقدين من الزمان ، ورغم شهادات اهل فلسطين انفسهم وعلى راسهم الشقيرى واميل الغورى ومحمد على الطاهر وغيرهم .. رغم كل ذلك تاتى رسالة اكاديمية مجازة لتقول ان مكرم عبيد كان رائدا لفكرة القومية العربية فى العصر الحديث ..

لا .....

السيد فهمى الشناوى

فى الدوحـــة
العـدد القـادم

يلتقى القـراء بالناقـد الكبير الدكتور علي الراعي

المؤرخون يخطئون .. فمتى يعتدل الميزان ؟

نصائح من صوت التاريخ

بقلم : عبد الرزاق البصير

أظلت منطقة خليجنا العربي على مدى تاريخه العريق الطويل ، الذى يمتد الى أكثر من عشرين قرناً من الزمن ، أظلته سحب داكنة كان مطرها حروباً طاحنة سفكت فيها أنهار من الدماء وأزهقت فيها آلاف من الأرواح . كما أن هذه المنطقة الهامة قد انجبت مصابيح نيرة أضاءت عالم الفلسفة ودنيا التاريخ ورياض الأدب . وما تزال سحب داكنة تكمن فيها نيران متوقدة تهب عليه وتشتعل حوله .

ومن المحقق ان رياحا عاتية لابد ان تهب على تلك السحب فتبددها كما بددت سحباً جاءته فى عصور قديمة وعصور حديثة . وتتالف عناصر هذه الرياح من وحدة شعب هذه المنطقة واعطائه الحرية لتتفجر مواهبه وطاقاته . وستستمر هذه المنطقة فى انجاب المصابيح النيرة التى ستضيء عالم الفلسفة ودنيا التاريخ ورياض الأدب .

لقد هتفت بتلك القرون الكثيرة التى مرت على هذه المنطقة بصوت رفيع مدة طويلة . لكن استجابتها كانت ضعيفة فى كثير من الأحيان . وكانت تعتذر إلى قائلة : ان المؤرخين ظلموني اذ انهم لم يسطروا الا القليل مما شهدته هذه المنطقة بل ربما تجد قروناً قد تظنها خالية من نشاط انسان هذه المنطقة ، وليست فى الواقع كذلك . ولكن وهج تاريخ مناطق اخرى كان قوياً اغرى كتاب التاريخ الأدبي والسياسي بالوقوف طويلا حوله ، أما أنا ، والكلام ما يزال للمنطقة ، فاني فى نظرهم لا استحق جهد المؤرخين !

لقد كان صوت هذه المنطقة الذى سمعته من دمار التاريخ قوياً الا انه مشوب بالحزن والألم فقد قال لي من جملة ما قـــال :

لا يجوز أن تتركوا منطقتكم هذه مهمـلة لا يعرف تاريخها الا القليل من العلماء ، وحتى هؤلاء فانهم كثيراً ما يضجرهم تعب البحث فى بطون كتب التاريخ ، مما يجعلهم يكتفون بمزق من هنا وهناك لا تكاد تنقع غليلا او تروي ظمأ .

وحتى تتاكد مما اقول اذكرك بما كابدناه نحن سكان هذه المنطقة من البرتغاليين الذين جاءوا الينا حين كانت كلمتنا هى الكلمة العليا وكانت شجرة الاستقرار فينانة تهب علينا نسائمها العطرة ، وكنا تحتها مطمئنين ، نمخر مياه هذا الخليج ذاهبين الى آسيا وافريقيا نحمل اليهـا ما تدره هذه المنطقة من خيرات وعائدين من تلك البلاد بما تدره تلك المناطق من توابل تضفى على الطعام اطيب الروائـــح والصعوم ، وبما تحمله اشجارها من اخشاب نصنع منها السفن والابـــواب وما نحتاج اليه من امور لتيسير الحياة .

كنا آمنين مطمئنين واذ بالبرتغاليين ياتون الينا بسفن مزودة بادوات تنفث نيرانا حامية . وقد راعنا انهم لا يراعون حرمة للمساكن ، ولا يحملون فى قلوبهم شفقة لطفل أو شيخ ضعيف .ولم يكن لنا علم او تصور بان الانسان يحمل قلبه مثل هذه القسوة ، ولكننا مع ذلك لم نضعف او نستكن وانما وقف الرجال منا يحاولون صد تلك النيران بادوات ضعيفة بسيطة ، لان الدفاع عن الشرف ممتزج بدمائنا .

فلما سقط المدافعون منا اقبل اولئك المستعمرون على البقية الباقية يجدعون انوفهم ويصلمون آذانهم ويفقاون عيونهم .

فصابرنا ورابطنا مدة من الزمن . واتفق عرب هذه المنطقة على مقاومة الغزو كل على قدر امكاناته ، مما جعل حيـــاة اولئك المستعمرين حياة قلقة غير آمنه ،ولو فتشتم فيما كتبه « البوكيرك » وهو اعنف رجالهم واعتاهم من رسائل الى اسياده ، لوجدتم فيها شهادات تملأ نفس كل عربى بالفخر والاعتزاز . ولكن العثور على هذه الرسائل يقتضي منكم جهداً متواصلا ، كذلك عليكم أن تبحثوا عما جاءت به قرائح الشعراء والادباء والمفكرين من آثار ادبية لتكون الصورة كاملة تامة .

● ●

ثم قالت القرون فى اجابتها ان علي أن اشكر الاستاذ احمد بوشرب احد الباحثين المغاربة على هذا البحث القيم الذى نشره فى العدد السادس والعشرين السنة العاشرة من مجلة « المناهل » المغربية ، فانه بحث نافع فيه تبيين لاكثر من مئة وعشرين وثيقة ، منها ما يمس احتـــلال البرتغاليين للمغرب ، ومنها ما يمس احتلال البرتغاليين لهذه المنطقة .

ولقد كان هذا الباحث موفقا فيما توصل اليه من فهم لتلك الوثائق ، فقد قال فى جملة ما قال : ان ردود الفعل العربيـــة الاسلامية لم تعط نتائج فورية وسريعة نظراً لتفوق البرتغاليين فى ميدان الاسلحة النارية وخصوصاً لافتقار المناطق المعرضة للغزو لقوة عسكرية وسياسية قادرة على الرد على التحدي البرتغالي . وقال ايضا عن هذه الوثائق البرتغالية بانها تشهد على افشال ردود الفعل العربية الاسلامية للمخططات البرتغالية ، فاذا كان الغزو البرتغالى يهدف اولا وقبل كل شيء الى حرمان العرب من دور الوساطة ما بين اوروبا والسودان الغربي من جهة ، والشرق الاقصى من جهة اخرى ، فان تعامل العرب مع هذه المناطق لم يتوقف ابداً ، وان تضرر من الحصار البرتغالى . ولقد اشترك الشعب كله فى مقاومة المستعمرين مما نسف مكتسبات البرتغاليين السياسية والاقتصادية ، لأن الشعب ادرك خطورة المخططات البرتغالية .

● ●

والحق ان حديث صوت التاريخ لم يكن كله حزيناً ذليلا ، وانما كان حديثا يتخلله الرضا فى اواخره لما يجده التاريخ من ادراك شعبي وحكومي واهتمام بالبحث فى تاريخ هذه المنطقة . غير ان الطـــريق ما يزال طويلا ، ومازال البحث فى اوله .

فلابد من بذل جهود مادية ومعنوية ، فان قضية تاريخ هذه المنطقة مهمة تستحق كل ما يبذل فيها من جهود . ولقد كان حديث صوت التاريخ مفصلا يجعلني غير قادر على روايته بكامله . وقد خص الكثير منه حول ما نشرته مجلة « المناهل » من وثائق تاريخية لها اهميتها ، وينصح صوت التاريخ بان نحاول تصويرها ، كما ينبغي علينا أن نسعى الى ترجمتها ونشرها وان نسعى الى كل وثيقة عن هذه المنطقة لما للماضي من صلة بالحاضر ، وان معرفة الانسان بماضيه تزيد فى قدرته على فهم حاضره . ولقد سالت صوت التاريخ عن سبب تسمية هذه القناة « بمضيق هرمز » فاجابني ان عليكم ان تبحثوا فى هذه التسمية وفى غيرها لتستبين لكم الحقائق ولا تكتفوا بما ذكره القدماء من تسميات .

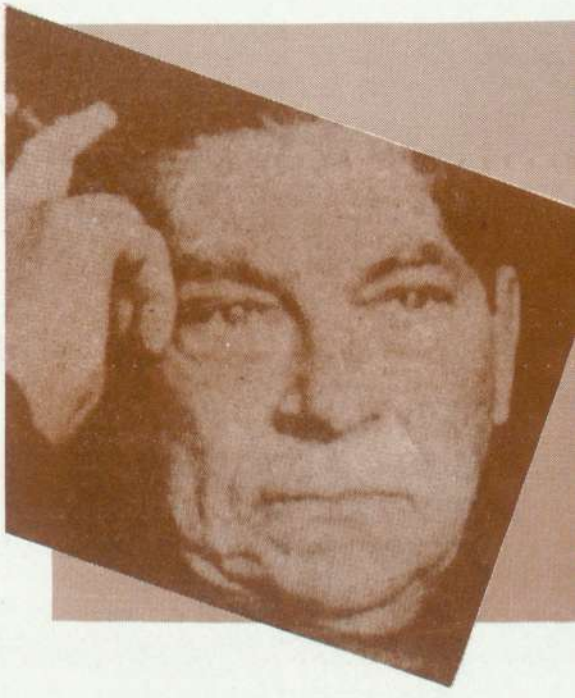
ولقد كنت اشعر فى نبرات صوت التاريخ رنة من الفرح مصدرها هـــذه الترجمات التى قامت بها حكومة دولة قطر لذلك السفر القيم واعني به دليل الخليج لمؤلفه لوريمر فانه سفر ضخم يتالف من سبعة اجزاء تتحدث عن تاريخ المنطقة وسبعة اجزاء اخرى تتحدث عن جغرافيتها على أن صوت التاريخ يرى بان يكون طريق اقتنائه سهلا ميسوراً للباحثين وذلك بان يوضع له ثمن وان يوزع على كل مكتبة تطلبه ليتمكن كل راغب من شرائه .كما ان هناك مصدراً آخر زاد فى فرح التاريخ وهو ان دولا اخرى فى هذه المنطقة اخذت تعنى بكل ما تعنيه لفظة التراث من جانب ديني وشعبي وادبي وفكري .ويتمثل ذلك كله فى هذه الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية والتى تعالج شتى فنون المعرفة وفى هذه الكتب التى تصدر بين حين وآخر والتى تفتح نوافذ الفكر فان الانسان المتسلح بالمعرفة هو الذى يستطيع ان يتلاءم مع هذا العصر .

عبد الرزاق البصير ـ الكويت

عصام شريح

آرثر كوستلر:

الغالبيّة العظمى من اليهود المعاصرين ليسوا من أصل فلسطيني وإنما من أصل قوقازي



أحد الاخطاء الفادحة ، التى وقع الاعلام العربى فى حبائلها ، وما يزال ، هو هذا الخلط غير المنطقي فى التعريف بحقيقة اليهود ، وتعرية أصول المستوطنين منهم فى فلسطين المحتلة ، إذ هذه المسالة ، خطيرة ، لأنها أساسية فى التوجهات الاعلامية العربية لو كنا ندري .. حيث ان العقيدة الصهيونية ، تقوم أصلا على جمع يهود العالم فى فلسطين الموسعة « اسرائيل الكبرى » من الفرات الى النيل ، بزعم ان جميع اليهود اليوم هم أحفاد العبريين الذين مروا فى بلاد كنعان فى التاريخ القديم ، واقاموا دويلة صغيرة فيها لم تعمر عملياً أكثر من سبعين عاماً . ومن هنا كان علينا ، ان نركز على فضح الكذبة الصهيونية الكبرى ، والقائلة بأن اليهود القادمين الى بلادنا من روسيا أو بولندا ، أو كافة أقطار أوروبا الشرقية والوسطى ، هم أحفاد العبريين القدماء ، حيث ان هذه الخديعة الكبرى ، ومثلها الخديعة القائلة بأن اليهود الحاليين من أصل سامي ، « أولاد عم العرب » ، كانت السلاح الأكثر مضاء فى يد الحركة الصهيونية لتضليل العالم ، وتصوير عملية غزو فلسطين ، على أنها « عودة الأحفاد الى أرض الميعاد » .

خزاريا .. السلاح البتّار الذي نسيه الإعلام العربي!

وفى الواقع ، فان الأسلحة الاعلامية التى تساعدنا فى تعـرية الدعـــاية الصهيونية المضللة كثيرة ، ولعل أهمهـا الدراسات التى تثبت ان اليهود الذين هاجروا الى فلسطين من روسيا ودول أوروبا الشرقية بل ودول الغرب عموماً ، هم من أصل قوقازى ، لا يمت باى صلة للعبرانيين القدماء ، وتقول « الموسوعة اليهودية » فى هذا الصدد : « الخزر : شعب تركى الاصل ، تمتزج حياته وتاريخه بالبداية الأولى لتاريخ يهود روسيا .. وقد أكرهته القبائل البدوية فى السهول من جهة ، ودفعه توقه الى السلب والانتقام من جهة أخرى ، الى توطيد أسس مملكة الخزر فى معظم أجزاء روسيا الجنوبية ، قبل قيام (قبائل) الفرنجة فى عام ٨٥٥ م ، بتأسيس الملكية فى روسيا .. وفى هذا الوقت كانت مملكة الخزر فى أوج قوتها ، تخوض غمار حروب متلاحقة .. وعند نهاية القرن الثامن ، تحول ملك الخزر ونبلاؤه واعداد كبيرة من شعبه الوثني ، الى الديانة اليهودية .. وكان عدد اليهود ضخماً فى جميع انحاء مقاطعة الخزر ، خلال الفترة الواقعة ما بين القرنين السابع والعاشر .. وقد بدا فى حوالي القرن التاسع

ان جميع الخزر قد اصبحوا يهوداً ، وانهم اعتنقوا اليهودية قبل وقت قصير فقط » .

ولعل افضل الوثائق التى يمكن للاعلام العربى استخدامها بنجاح فى فضح الخداع الصهيونى ، ذلك الكتاب القيم حول دولة الخزر القديمة المتهودة ، لمؤلفه اليهودى آرثر كوستلر ، والذى اصدر طبعته الأولى فى لندن فى عام ١٩٧٦ تحت عنـوان :

« القبيلة الثالثة عشرة : امبراطورية الخزر وميراثها » ، ولأهمية الكتاب نفدت الطبعة الأولى منه بسرعة ، مما دفع المؤلف الى اعادة طباعته فى نفس العام . لكن .. ماذا فى هذا الكتاب ؟ ؟ .

ينقض كوستلر فى كتابه ، المفـاهيم المغلوطة ، والمضللة التى روجها اليهود عبر عصور طويلة ، من انهم احفـاد العبريين كما قلنا انفاً ويقول : ان اليهود المعاصرين هم فى غالبيتهم احفاد شعب الخزر الذى ينحدر من أصل تركى ، والذى اقام دولة عرفت الأزدهار ، ولعبت دوراً حاسماً فى التاريخ خلال الفترة الممتدة من القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلادى .

وقد شغلت دولة الخزر هذه ، موقعاً استراتيجياً هاماً على المعبر الحيـوي الممتد ما بين البحر الأسود وبحر قزوين (او بحر الخزر) ، وفى رأي كوستلر ، فان الدور التاريخي الذى لعبته دولة الخزر هذه ، انما تمثل فى وقف الفتوحات العربية الأموية ، مما حال دون العرب وفتح أوروبا الشرقية ، وقد امتدت حروب العرب مع الخزر لأكثر من مائة سنة ، ويقول كوستلر انه « لولا وجود الخزر فى المنطقة الواقعة الى شمال جبال القوقاز (او القفقاس) ، لكانت بيزنطة ، حصن « الحضـارة » الأوروبية فى الشرق ، ستجد نفسها محاصرة من قبل العرب ، ولكان من الممكن جداً أن يتغير تاريخ المسيحية والاسلام كثيراً عما نعرفه » ويبالغ كوستلر فى إضفاء صفة المنقذين على شعب الخزر ، بقوله : « ان حركة التطويق الاسلامية الضخمة عبر جبال البرانس من الغرب ، وعبر جبال القوقاز فى أوروبا الشرقية ، كانت قد وهنت .. ومثلما انقذ شارل مارتل بعناصره الجرمانية بلاد الغال (فرنسا) وأوربا الغربية ، فقد انقذ الخزر التخوم الشرقية لنهرى الفولجا - والدانـوب ، والامبراطورية الرومانية الشرقية نفسها » .

شعب الخزر

تتفق الروايات التاريخية ، على ان شعب الخزر كان يعيش حياة بدوية متخلفة ، اقرب إلى الهمجية ، ولم تقتصر حروب الخزر على العرب فقط ، فقد دخلوا فى حروب متلاحقة مع قبائل الهون التى اندفعت من حدود الصين الى أوروبـا الشرقية ، كما دخلوا فى حروب مع الدولة البيزنطية ومع شعوب روسيا والمجر وغيرها ، والتى قاست الأمرين من وحشية الخزر وتخلفهم الحضارى . وتشير المصادر العربية (الرحالة والزوار) الى ان شعب الخزر كان يعيش غالباً فى الخيام المقببة ، حتى اذا اقبل الشتاء حزموا خيامهم ، او منازلهم المشيدة بشكل دائرى ، وانطلقوا مع أغنامهم او ماشيتهم الى السـهول والمراعى ، او نصبوا خيامهم فى حقول الحنطة وكروم العنب التى كانوا يزرعونها.

ويقول الرحالة العربى (الاندلسي) ابن سعيد المغربى فى وصفه لشعب الخـزر: « ولما كانت بلادهم باردة ورطبـة ، فان بشرتهم بيضاء ، وعيونهم زرقاء ، وشعرهم غزير وضارب للحمرة غالباً ، وابدانهم ضخمة ، وامزجتهم لا مبالية ، ومظهرهم العام همجي » .

اما مبعوث الخليفة العباسي المقتدر بالله - وهو أحمد بن فضلان - الى بلاد الترك والخزر والروس والبلغار والبشكير وغيرهم ، فقد وصف الخزر بقوله : « .. وكل الخزر ، وكذلك ملكهم ، يهود ، ويخضع له البلغار وكل جيرانهم ، وهم يعاملونه باذعان شبيه بالعبادة ، ويظن البعض أن ياجوج وماجوج هم الخزر » .

لكن من الواضح هنا المبالغة فى اطلاق التعريف بالخزر ووصفهم بانهم جميعـاً من اليهـود ، إذ أن من الثابت أن بـلاد الخزر كانت تضم فئات أخرى من غير اليهود ومن غير الخزر ايضا ، ومنهم المسلمون الذين كان لهم مسجد فى العاصمة .

وعلى أية حال ، فان هناك اتفاقاً بين المؤرخين والرحالة العرب ، والكتـاب الجيورجيون (الروس) والأرمن الـذين تعرضت شعوبهم لغزوات خزرية ، على تخلف الخزر حضارياً ، ويردد مؤرخ جيورجى اعتقاداً قديماً ، يعرف الخزر بانهم جيوش ياجوج وماجوج ،ولهم طبائع الوحوش الضارية ، وهم سفاكو دماء » . ويشير مؤلف أرمنى الى « حشود الخزر الرهيبـة المتغطرسة بغير حدود » . ويصفهم بانهم « ذوو وجوه خالية من الاهداب ، وشعرهم طويل منساب كشعر النساء » .

أسباب التهود

اما تهود قبيلة الخزر ، فيعود فى المقام الأول والأهم ، لأسباب سياسية ، كما يقول كوستلر ، حيث رأى ملك الخزر (الكاجان او الخاقان) ، ان الموقع الجغرافى لبلاد الخزر يضعها بين فكي رحى قوتين دينيتين عالميتين : أى الاسلام والمسيحية ، او بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية ، وقد رأى ملك الخزران اعتناقه لاحدى الديانتين الاسلامية او المسيحية ، سوف يعني ذوبان شعب الخزر فى شعوب هاتين الدولتين ، وبالنسبة له شخصياً ، فسوف يصبح مجرد حاكم اقليم تابع للخليفة المسـلم او للامبراطور البيزنطي المسيحي .

ويشير كوستلر الى ان هناك سبباً آخر وراء تحول الخزر الى اليهودية ،وهو يعود الى عقيدتهم الدينية المتخلفة ، حيث كشفت لهم صلاتهم الوثيقة ببيزنطة وبغداد ، ان عقيدتهم الشامانية البدائية لم تكن همجية فحسب ، وانما كانت عاجزة ايضا عن ان تضفى على رجال الحكم والقادة تلك الهيبة الروحية والشرعية التى كان يتمتع بها كل من خليفة المسلمين وامبراطور المسيحيين . وكانت الشامانية عبارة عن دين بدائي ، انتشر فى شمال آسيا وأوروبا وبين بعض هنود امريكا الحمر ، وكانت هذه الديانة الوثنية تقول بوجود عالم محجوب يتكون من الآلهة والشياطين وارواح السلف ، وبأن هذا العالم المخفي ، لا يستجيب إلا للكاهن (الشامان) ، الذى يستخدم السحر لمعالجة المرضى وكشف الغيب والسيطرة على الأحداث .

وفى الواقع فان عملية تهود ملك الخزر الذى فرض الدين الجديد على اتباعه ، لم تحدث فجاة ، وانما جاءت من خلال اطلاع الخزر على الدين اليهودى من اصحابه من اليهود الذين تركوا اراضي الدولـة البيزنطية ، او بعض الأقطار الآسيوية التى فتحها العرب ونشروا فيها الدين الاسلامي ، ولجأوا الى خزاريا . وكان اضطهاد اليهود فى الدولة البيزنطية قد بدأ فى عهد يوستنيان الأول (٥٤٧ - ٥٦٥ م)

آرثر كوستلر:

الغالبيّة العظمى من اليهود المعاصرين ليسوا من أصل فلسطيني وإنما من أصل قوقازي

واتخذ اشكالا مبالغا فيها فى عهد هرقل فى القرن السابع الميلادي ، واستمر كذلك حتى عهد الامبراطور رومانوس فى القرن العاشر الميلادى . ويصف لنا المؤرخ العـــربى « المسعودى » وضع اليهود اللاجئين الى عاصمة الخزر فى هذه الفترة ، فيقـــول « .. ويعيش فى هذه المدينة (خـــازرا ن إثل) ، المسلمون والمسيحيون واليهـــود والوثنيون ، اما اليهود ، فيضمون الملك وحاشيته والخزر الذين على شاكلته ، وكان ملك الخزر قد صار لتوه يهودياً فى عصر هارون الرشيد ، وانضم اليه اليهود من كافة امصار الاسلام ، ومن دولة اليونـــان (بيزنطة) وقد قـــام ملك اليونـــان (الامبراطور البيزنطي) باكراه يهود مملكته على الدخول فى المسيحية .. وهكذا فر عدد كبير من دولة اليونان الى بلاد الخزر » .

العرب .. والخزر

تشير المصادر التاريخية الى ان العرب الذين وصلت فتوحاتهم الى الهند والسند والأطـــراف الجنوبيـــة للصين ، كانوا يعتزمون المضي قدماً ، حتى قلب اوروبا ، عبر جبال القفقاس ، ولهذا رايناهم فيما بين ٦١٢ ـ ٦٥٢ م ، يقتحمون أوروبا عبر جبال البرانس من الغرب ، ويحاولون اقتحام بلاد الخزر بهدف الاستيلاء على مدينة بالانغار لكي يؤمنوا قاعدة عسكرية متقدمة على الجانب الأوروبى من القوقاز ، وبعض المصادر تشير الى ان آخر معركة وقعت بين العرب والخزر كانت فى عام ٦٥٢ م ، وانتهت بمقتل القائد العربى عبد الرحمن ابن ربيع ، وإخفاق الحملة العربية فى الوصول الى هدفها .

وكانت الحرب سجالا خلال فترة الف سنة بين الطرفين ، وان كانت حرباً متقطعة وكان الخزر يتوغلون احياناً داخل اراضي الدولة العربية الاسلامية ، ويلي ذلك هجمات عربية مضادة باتجاه الفولجا ، وتقول الروايات التاريخية فى هذا المجال ، ان الخزر اجتازوا جورجيا وارمينيا ، حتى وصلوا الى ديار بكر والموصل ، ولكن جيشا عربيا جرى تشكيله على جناح السرعـــة ، تمكن من كبح الهجوم الخزري ، ودفع المهاجمين الى الوراء والتقهقر الى مواطنهم الأصلية . ثم قام الخليفة الأموى « مسلمة ابن عبد الملك » ، بحملة شهيرة ضد الخزر ، تمكن خلالها من الاستيلاء على بالانغار ، وتجاوزها حتى سمندر ، وهى مدينة خزرية كبيرة ، وعلى الرغم من ان جيش مسلمة لم يبق طويلا فى بلاد الخزر ، فان هذه الحملة بعثت الخوف فى نفوس الخزر والبيزنطيين معاً ، مما دفع بولي العهد البيزنطي الى الزواج من اميرة خزرية ، وهما اللذان حكم ابنهما بيزنطة باســـم « ليو الخزري » .

اما آخر الحملات العربية على بلاد الخزر ، فقد قادها الخليفة مروان الثاني ، او مروان بن محمد ، وهو آخر الخلفاء الأمويين ، وقد تمكن مروان من التغلغل فى قلب دولة الخزر ، الذى تقهقر جيشه حتى نهر الفولجا داخل الأراضي الروسية ، وقد اضطر خاقان الخزر الى الرضوخ لمطالب مروان ، الذى طلب من الخاقان اعتناق الدين الاسلامي ، ومع ان ملك الخزر اذعن لهذا المطلب ، الا انه تراجع عنه كما يبدو ، بعد مغادرة الجيش العربى لأراضي خزاريا ، ومع انتهاء هذه الحملة العربية على بلاد الخزر توقفت الحروب بين الطرفين .

السقوط

تدل الأحداث التاريخية التى تلت ذلك ، على أن دولة الخزر قد تبددت وانتهت ، عندما هاجمها الروس ، ولم يكن من آثار الحملة الروسية ضد خزاريا سقوط الدولة فحسب ، بل وتشرد أهلها وتشتتهم فى روسيا ودول أوروبا الشرقية ، ويقـــول « ابن حوقل » الذى أورد خبر هذه الحملة ، ان سقوط خزاريا فى ايدى الروس تم فى عام ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) . وفى الواقع فان روسيا ما تزال تعتبر الموطن الأهم لليهود ، بعد الولايات المتحدة الامريكية ، وقد بلغ تعداد اليهود فى روسيا فى عام ١٨٩٧ ، حوالى خمسة ملايين و ٨٩٤ الف يهودى ، من مجموع احد عشر مليون يهودى فى العالم ، وفى تقرير رسمي يرجع الى عام ١٨٤٢ ، ما يدل على ان عدد معابد اليهود فى روسيا قد بلغ ٦٠٤ معبداً ، و ٢٣٤٠ بيتاً للصلاة ، و ٣٩٤٤ مدرسة ، و ٩٥٤ حاخاماً .

وكان أكبر تجمع لليهود الخزر بعـــد روسيا ، فى بولندا ، فقد اتخذت المملكة البولندية منذ بداياتها المبكرة تحت حكم عائلة بياست اتجاها واضحاً يتلاءم مع اوضاعها الخاصة ، فضلا عن اعتناقها للكاثوليكية الرومانية ، حيث اتبعت سياسة اجتذاب المهاجرين بسبب تخلفها اقتصادياً وحضارياً عن جيرانها الغربيين ، وقد قدمت بولندا لهؤلاء المهاجرين ، وفى مقدمتهم اليهود الخزر ، جميع الضمانات التى تحفظ لهم حـــرية اســـتخدام استثماراتهم وأموالهم فى البلاد . وكان من هذه الامتيازات التى حصل عليها اليهود الخزر فى بولندا ، منحهم حق تملك معابدهم ومدارسهم ومحاكمهم الخاصة ، وحق حيازة الأراضي ، وحق العمل فيما شاؤوا من التجارة والأعمال الحرة ، وفى احدى الفترات كان لليهود فى بولندا برلمانهم الخاص ، الذى كان يجتمع مرتين كل عام ، وكان لهذا البرلمان حق فرض الضرائب على اليهود . وقد كانت هذه الامتيازات سبباً فى امتعاض البابا كليمنت الرابع ، الذى لم يخف انزعاجه لأحد الأمراء البولنديين ، من كثرة المعابد اليهودية فى مختلف المدن البولندية ، حتى ان مدينة واحدة منها فقط ، كانت تضم مالا يقل عن خمسة معابد ، كما ابدى البابا أسفه العميق ، لكون المعابد اليهودية أكثر ارتفاعاً وفخامة وزينة من الكنـــائس المسيحية ، حيث كانت مسقوفة بالواح الرصاص المنقوشة والملونة ، مما جعل ما جاورها من كنائس كاثوليكية ، تبـــدو قميئة بالمقارنة معها .

وبالنظر الى القدرة الفائقة التى يتمتع بها اليهود فى ضرب نطاق كثيف من العزلة حول تجمعاتهم ، فانهم فى الواقـــع لم يفقدوا الكثير بين حياتهم فى خزاريا وحياتهم فى « الشتات » فى بولندا وروسيا وغيرها من دول أوروبا الشرقية ، فقـــد اصطنعوا ما يسمى ب الشتتل

وهى نوع من المستوطنات اليهودية عرفته كل من بولندا وليتوانيا ، والشتتل عبارة عن مدينة ريفية الطابع ، وتتمتع باستقلال ذاتي ، وجميع سكانها أو اغلبهم من اليهود. كما ابتدع اليهود ، شكلا آخر من العزلة عرف باسم « الجيتو » ، وهو عبارة عن شارع أو حي ، ينزوي فيه اليهود ، بعد أن يحيطوه باسوار ذات بوابات تغلق ليلا ، وكانت مشاعر التميز عن السكان الآخرين ، والشعور بالحاجة الى الأمن ، وراء فكـرة الشتتل والجيتو

اليهود المعاصرون .. وفلسطين

بعد كل هذا العرض « الموجز » لتاريخ يهود الخزر ، نصل الى الغاية من وراء كل ذلك ، الا وهى ان يهود اليوم ، لا علاقة لهم بيهود الأمس ، وبالتالى ، فلا علاقة لهم بفلسطين من قريب أو بعيد ، فالغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ، ليسوا من سلالة اليهود القدماء الذين اغتصـبوا فلسطين لفترة زمنية قصيرة لا تزيد على سبعين عاماً ، وانما هم من أصل خازاري .

يقول آرثر كوستلر فى كتابه الأنف الذكر « .. ان الغالبية العظمى من اليهود الباقين فى العالم ، هم من أصل أوروبى شرقي ، ومن ثم من أصل خزري ، واذا كان الأمر كذلك ، فان هذا قد يعنى ، أن اسلافهم لم ياتوا من وادي الأردن ، وانما من الفولجا ، ولم ينحدروا من كنعان ، وانما من القوقاز ، ويصير من المعتقد فجاة ، انهم يمثلون بدايات الجنس الآري ، وانهم أوفق انتماء من الناحية الوراثية ، الى قبائل الهون والبوجر والمجر ، منهم الى ذرية ابراهيم واسحق ويعقوب » .

ثم يضيف كوستلر مسالة فى غايـة الاهمية ، وهى انه اذا كان يهود اليوم هم فى معظمهم من أصل خازاري ، الا يصبح مصطلح « معاداة السامية » أو «اللاسامية» الذى يشهره يهود اليوم فى وجه كل من يعارضهم ، مصطلحاً كاذباً وخالياً من أى مضمون فعلي لاضطهاد اليهود بسبب كونهم احفاد اليهود القدماء .

وهناك دليل آخر على انتفاء أى صلة دموية أو عـرقية بين اليهود الخزر (أو يهود شرق اوروبا) وفلسطين ، حيث يقول ملك الخزر اليهودي يوسف ، فى رسالة رد بها على رسالة حسداي بن شبروط ـ الطبيب اليهودي الذى قدمه الخليفة الأموى الأندلسي عبد الرحمن الناصر ، فى بلاطه ، حيث يقول يوسف هذا إن قومه « يهود خزاريا » ليسوا من أصل سامي ، بل انهم ينحدرون من القبائل التركية القديمة ، ويؤكد يوسف باعتزاز : « لقد وجدنا فى السجلات العائلية لآبائنا ، أن توجرمه ، كان له عشرة ابناء ، وان اسماء ذريتهم هى كما يلي : يوجار ، دورسو ، أفار ، هون ، باسيلي ، تارنياخ ، خزر ، زاجورا ، بلغار ، سابر .. ونحن ابناء « خزر » سابعهم » .

وفى النهاية ، لابد أن نؤكد مرة أخرى ، ان خزاريا ـ مملكة اليهود ، هى دولة شذاذ الآفاق الذين غزوا بلادنا فلسطين وان فلسطين هى أرض عربية منذ عصور التاريخ الأولى ، ولا هوية أخرى لفلسطين مهما كابر الادعياء ومزورو التاريخ . وازاء هذه الحقيقة الاساسية ، فان مسالة اليهود الخزر ، الذين يشكلون الغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ، تصبح سلاحاً بتاراً فى يد الاعلام العربي ، لو عرف هذا الاعلام كيف يستفيد من هذه الحقيقة قبل فوات الأوان .

عصام شريح

من هـو :



آرثر كوستلر كاتب يهودي . ولد فى المجر (هنغاريا) فى عام ١٩٠٥ وتلقى تعليمه فى كل من النمسا والمانيا ، وفى سن السابعة عشرة اقبل على تعلم اللغـة الالمانية حتى اتقنها ، ثم تعلم اللغـة الانكليزية فى سن الخامسة والثلاثين ، وكان كوستلر مؤيد اللحركة الصهيونية فى مطلع شبابه ، حيث كتب قصة « اللصوص فى الليل » التى وصف فيها الصراع بين العرب والمستوطنين الصهيانة على ارض فلسطين العربية فى عهد الانتداب البريطانى على البلاد ، بيد أن كوستلر ، عاد فكتب رواية أخرى بعد قيام الكيـان الصهيونى على أرض فلسطين المغتصبة تحت عنوان « الوعد والانجاز : فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٩ » ، وصف فيها الأوضاع فى فلسطين إبان حكم الانتداب البريطانى ثم بعد جلاء البريطانيين ، وقيام الكيان الصهيونى فى عام ١٩٤٨ ، وخلص كوستلر فى هذه الرّواية إلى وضع خيارين امام يهود العالم لا ثالث لهما وهما : الهجرة الى « اسرائيل » . أو الاندمـاج الكامل ، وقد اختار هو نفسه خيار الاندماج .. وعلى الرغم من أنه احسن الخيار ، إلا انه لم يدن اغتصاب فلسطين ، وسـمح لنفسه بوضع خيار هجرة اليهـود إلى فلسطين المحتلة ، كاحد الحلول المقبولة منه لما يسمى بالمسالة اليهودية مما يشكك فى مصداقية آرائه وتفكيره .

ويبدو ان كوستلر فشل فى الحل الذى ارتضاه لنفسه : عملية الاندماج فى العالم الغربى ـ وبالتحديد فى بريطانيا ، إذ انه انضم فى عام ١٩٦٩ إلى جمعية تطلق على نفسها اسم « جمعية من اجل موت كريم » وفى العام ١٩٨١ ، اصبح نائبا لرئيس هذه الجمعية ، وقد اسهم كوستلر فى كتابة مقدمة لكراس اصدرته الجمعية تحت عنوان : « دليل الخلاص الذاتى » .

وهو يحوي خمسة دروس تعلم الناس كيف ينتحرون « بكرامة .. ومن غير الم » .. ومن المدهش حقا ، ان كوستلر انتحر فعلا وزوجته « سينثيا » ، فى أواسط اذار (مارس) من العام الماضى (١٩٨٣) ، وذلك باطلاق النار على نفسيهما فى منزلهما بالعاصمة البريطانية .

ويرى بعض النقاد ، ان آرثر كوستلر ، لم يكن كاتبا المعيا وخلاقا وان شهرته ، انما قامت بسبب الدعاية المركزة من قبل اجهزة الاعلام والصحافة فى الغرب ، حول روايته « ظلام فى النهار » ، التى وجه فيها نقداً لاذعا للنظام الشيوعي .

لكن .. اهمية هذا الكاتب اليهودى تبقى فى نظرنا فى كتابه « امبراطورية الخزر وميراثها : القبيلة الثالثة عشرة » .

كيف نؤرخ لعظمائنا؟

لماذا نخاف من النقد والكشف عن الجوانب السلبية؟

بقلم: فتحي رضوان

التقطت كتاب « شخصيات حقيقية » تاليف ادوين ويلر ستاربك واعوانه » لاتصفحه ، مع انه كتاب قديم صدر سنة ١٩٣٦ عن دار نشر لا اعرف ما إذا كانت قائمة فى الوجود أو اغلقت ابوابها ، تدعى « كتاب العالم » ، وكان مقرها فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة ، ولكن لى عادة تصفح الكتب القديمة ، وربما قراءتها من جديد ، وهذه العادة من قبيل زيارة الأصدقاء القدامى الذين تراخت علاقتنا بهم ، وقَلّتْ او انعدمت زيارتنا لهم .

وهذه القراءة الجديدة لكتب قديمة تثير فى النفس مئات،وربما آلاف الخواطر ، فقد يعجب الانسان من انه قرا هذا الكتاب او ذاك ، وترك على هامشه تعليقات وتاشيرات،ولكنه اليوم لا يتذكر شيئا واحدا مما قرا ، بل يتصور انه لم يقرا هذا الكتاب ، ولم يطل الوقوف امام صفحاته ، وجمل من هذه الصفحات .

وهكذا كان حالى مع هذا الكتاب ، وخصوصا بما جاء فى مقدمة الكتاب اذ ورد فيها ما اترجم نصه فيما يلى :

« إن الصور القلمية فى هذا المجلد وفى المجلدات الاخرى التى تكمله ، هى ثمرة حكم جماعى . وهذا هو منهجنا العلمى ، فجماعات من نقاد ادبيين متمرسين ، يعملون فى مجموعات من ثلاثة او اربعة افراد ، يقرا كل منهم على استقلال ، وكل منهم يسجل ما يظنه او ما تظنه حسب الاحوال فى جوانب تلك الشخصية الخاصة بها ، وعن قيمة تلك الشخصية ككل ، وهذه التقديرات تجمع بعد ذلك وتلخص . واذا حدث ان اتفق فى الراى الثلاثة الأوائل القراء من الادباء ، لم تعد حاجة بعد ذلك الى مزيد من القراءة . اما اذا وقع الخلاف بين القراء الأوائل ، فان قراءة عدد آخر من النقاد تصبح واجبة ..

ونحن نعمل مخلصين فى محاولة حل الاجابة على السؤال : ماذا تعنى عند الانسان عبارة « الأدب الجيد » ، ثم ما هى المعايير التى يمكن للانسان ان يحكم بمقتضاها عند الاجابة على هذا السؤال ؟ ولقد حاول ادباء من مستوى رفيع مناقشة هذه المشكلة خلال اكثر من الفي سنة ، ونحن نريد ان ندرس ما قالوه ، وما انتهوا إليه من احكام ، عسانا نحصل على نقط ذات اهمية فى نظرنا بالنسبة لهذا الموضوع ، إذ لا يكفى ان نقول إننا نحب او نكره كتابا بعينه ، فانه من المحتم ان نهتدى الى معايير موضوعية تقودنا الى وضع قاعدة صحيحة تقوم عليها احكامنا الأدبية . من هذه المعايير : الاتساق ، الحرفية ، النبرة العاطفية ، الكفاءة او الفاعلية ، القدرة على التاثير فى الآخرين ، الصدق ، رقة وصفاء المواقف الانسانية ، والتوجيه الصحيح ..كما نجحنا فى تحديد معنى كل من هذه المعايير على وجه قاطع .

ولقد تبنينا برنامجا دقيقا ومتميزا من التذوق ، وقد التمسنا العون من خبراء خارج مجموعتنا ، وقد جاء لمعونتنا على وجه عظيم ، المكتبيون وموظفو المدارس والمدرسون ، والتلاميذ فى منطقة لوس انجلوس وما حولها .وقد تلقينا ما يزيد عن الفي تقرير من اداريين وباحثين تقدموا بعدد ضخم من عينات الدراسة والفحص من تراجم العظماء والتى جمعت ودرست ، اى حللت » ..

انتهت العبارة المنقولة من المقدمة ولست اريد ان اكمل هذه الفقرات لان ما اعنيه من ترجمتها ونقلها ، المنهج الذى اتبعته هذه المجموعات من الدارسين الذين استخدمهم معهد « ابحاث التراجم » التابع لجامعة جنوب كاليفورنيا ، الذى يصدر

سلسلة « الحياة من خلال التراجم – التراجم الحية » .

وهدف هذا المعهد ، والاسلوب الذى فصلته لك ، هو مقصور على التراجم ، ووضع اسس ادبية ، لتقويم ما يوجد بين ايدى القراء من التراجم ، وإعانة القارىء ، والناقد الادبى المبتدىء ، وكل الادباء غير المشتغلين بالنقد ، على إصدار احكام صحيحة ، على ما يطالعونه من التراجم .

وقد بدا لى اننا – نحن العرب – فى اشد الحاجة إلى وضع معايير كهذه لتراجم عظمائنا ، ذلك اولا: لان تراجم عظمائنا ، لقيت لفترة طويلة الاهمال والتقصير ، وقد امتدت هذه الفترات قرونا ، اذ بعد كتاب معجم الادباء ، ووفيات الاعيان وبعض كتب الخطط ، التى كانت تحدثنا عن شخصيات مجتمعنا العربى ، من ادباء وقضاة وولاة ورجال حكم ، قد توقفت صلاتنا بعظمائنا فى القديم الموغل فى القدم وفى القديم القريب منه ، وحتى فى الحاضر المعاصر . فما اقل ما جمعنا لعظمائنا ، من مذكرات تركوها ، او رسائل تبادلوها ، او اوراق تحمل خواطر قصيرة ، ولكنها تكشف عن العالم الداخلى والباطنى للعظيم ، من هموم يومية ، وخواطر نفسية وتعليقات سريعة على شؤون الحياة ومتاعبها ومشكلاتها .

ولما طالت المدة التى تراخت فيها صلاتنا بتاريخنا بعامة ، وتاريخ عظمائنا اصبنا – كتاباً وقراء – بحساسية شديدة كلما قرانا دراسة لشخصية من شخصياتنا ، ولم نعد نطيق ان نسمع فى حق هؤلاء العظماء إلا المديح الخالص . فاذا شاب المديح نقد او مساءلة ، غضبنا غضباً عنيفاً واعتبرنا النقد تجنياً على العظيم ، او خصومة لا لشخص العظيم موضوع الدراسة ، بل لما يمثله هذا العظيم من معان،سواء كانت وطنية او اجتماعية او ادبية . وإذا اشتد النقد اعتبر هذا النقد تامراً صريحاً على وطننا او لغتنا ،وضقنا بكل ما جاء فى هذا النقد من امور قد تكون حقائق لاشك فيها .

وليس ثمة شك فى ان من الظواهر الداعية الى الارتياح والسرور ، ان نتعصب لتاريخنا ، وان نقف بالمرصاد ، لكل من يريد ان ينتقص رجالاتنا ،او يحجب فضلهم ، او يقلل من اياديهم التى طوقوا بها اعناق وطننا ، او لغتنا، او تلويث ماضينا .

ولا ننكر ان بعض من طويت صدورهم على كره للعرب او للعروبة ، او للاسلام او المسلمين ، او لمصر والمصريين ، يتزيون فى زي العلماء ، ليسددوا سهامهم الى صميم تاريخنا ، فيلوثوه ، فيسدلوا على جوانب مشرقة منه ، استاراً ، حتى يختفى عن الاعين . ولقد انتهز المستشرقون ، ومن تتلمذ على ايديهم من العرب والمسلمين ، فرصة خلو الميدان من دارسين متمكنين لتاريخنا ، فكثر عدد المتطفلين والادعياء ، واثخنوا تاريخنا جراحا .ولكن بعد اعتبار كل هذه الملابسات ، فتاريخنا القومى ، وتاريخ عظمائنا مهما علا مقدارهم وسمت مكانتهم ليسا مواطن محرمة لا يجوز الدوس خلالها بل هى اماكن للدرس واعادة النظر فى كل العناصر التى سلمنا بها ، واعتبرناها حقائق ، لا يجوز أن تتعرض للمناقشة والتحليل ، فاذا جرؤ كاتب او دارس ، على شيء من ذلك اعتبرنا ما يقوله تجديفاً ، يقارب الكفر ، او الخيانة ، او المساس بمقدس يجب ان نتكاتف جميعاً فى رده .

والواقع ان هذا للسلك ، ولاسيما اذا اقترن بالمغالاة ، ضار بنا ، ويسيء الى الحركة الفكرية فى بلادنا ، وحسبنا ان نتطلب من الدارس ان يكون مؤهلا لما يتعرض له من الدرس والتمحيص ، وان يكون ما ينشره على الناس ، موثقا يساق ومعه دليله ، وان تكون مراجعه ومصادره محققة . فاذ توفرت للكاتب هذه الضمانات واختلفنا معه في التقدير الذي ذهب اليه ، وجب ان نعترف ان الامر امر اختلاف في وجهات النظر . ومن حق اصحابها ان يتناقشوا ، ويقرعوا الحجة بالحجة ويقيموا الدليل المستمد من الكتب ، والدراسات السابقة .

لقد ثار عدد من الكتاب ضدي ، واطلقوا السنتهم في ، حينما تعرضت في بعض ما كتبته لسعد زغلول ، مستنداً الى مذكرات هذا الزعيم التي خطها بقلمه ، ورفضوا ان يراجعوا انفسهم ، ولست ادعي لنفسي العصمة ولم ازعم قط اني من انصار سعد زغلول ، وقد يكون بعض الذي كتبته مؤلماً ولكن كونه كذلك ، لا ينفى انه يستند الى وثائق منشورة ، لم تعد سراً . ولحرصي على الشعور العام ، ورغبتي في الا يظن ان ما اكتبه دعوة حزبية ، توقفت عن تناول هذا الموضوع ، حتى ولو جاء في سياق الحديث وكان الموقف يقتضيه .

ومثل هذا حدث مع غيري بالنسبة للامام محمد عبده ، وظن بعضهم ان المقصود من تناوله وتناول تاريخه ، هو الغض من الاتجاه الديني الذي يمثله . وهذا امر غير صحيح ولم يفكر فيه احد . ودعا الداعون الى الكف عن تناول هذا كله وكانت لهم حجة غير مقبولة: جملتها ان الكتابات التي من هذا القبيل ستهز ثقتنا بتاريخنا ، وستهز ثقة شبابنا بامتهم ووطنهم ، وهى حجة داحضة لان ثقتنا بتاريخنا ونقده يجب ان يقوما على اساس من الدرس الصحيح ، لا المجاملة التي تخفي الحقائق .

ولقد سمعنا كثيراً ما يمس حسن سياسة مصطفى كامل ، بل وما ينسب الى وطنيته الشوائب ، حتى رماه بعضهم بانه كان يدعو الى تبعية مصر لتركيا ، وبانه كان من اعوان مخابرات فرنسا او المانيا ، ولم نغضب لشيء من ذلك ، ولم نطلب اصدار صك حرمان ضد الذين قالوه ، بدعوى ان مصطفى كامل هو مؤسس الحركة الوطنية في مصر ، وان اياديه في عنق بلاده ، وفي سبيل الجامعة الاسلامية ، وفي سبيل الثقافة الوطنية لا تحصى . فهذا كله شيء وتاريخه ونقده ، شيء اخر .

والآن ، هل يمكن ان نطبق الاسلوب الذي اتبعته جامعة جنوب كليفورنيا ، ونؤلف جماعات تضم مختلف المذاهب الادبية ومناهج التاريخ ، لتضع لنا دراسات نموذجية لعدد من اكبر زعمائنا وقادتنا وعلمائنا ومفكرينا مؤيدة بالمراجع ، والوثائق لتكون نبراساً لشباب الباحثين في بلادنا ، ولتطمئن المؤرخين الى تاريخ بلادهم ، وصدق تناوله ، وبعده عن الغرض وبراءته من القصور .



سعد زغلول



محمد عبده



مصطفى كامل

أخطر ما عرفه الإنسان حتى الآن

ثورة المعلومات والاتصالات

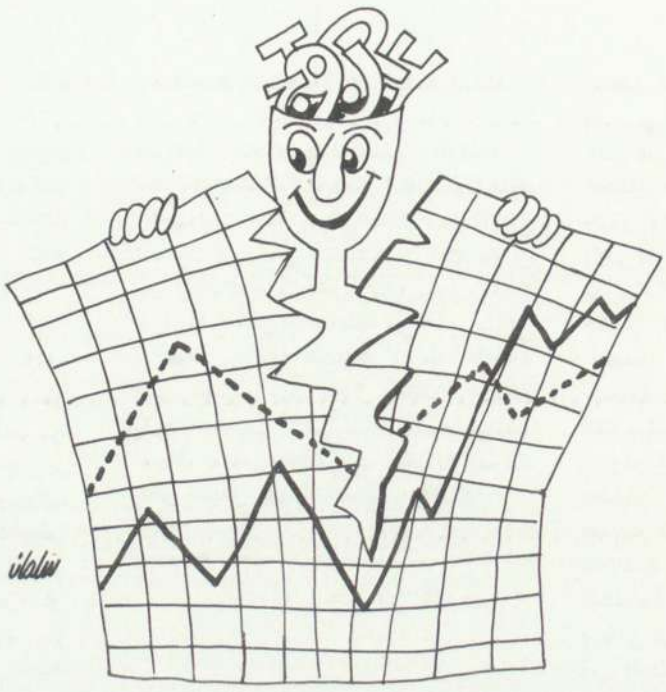
بقلم : الدكتور علي الدين هلال

يعيش عالمنا اليوم فى ثورة علمية وتكنولوجية جديدة،منها ثورة الذكاء،ومنها ثورة الهندسة الوراثية،ومنها ثورة المعلومات التى افرزت تعبيراً جديداً فى الأدب السياسى والاجتماعى هو Telematics وتقوم هذه الثورة على منجزات العلم فى مجالات الكومبيوتر (أو الحاسب الآلي) ، وبالذات الأجيال الجديدة منه ، والأقمار الصناعية والالكترونيات الدقيقة،وازداد عدد العاملين فى هذا المجال . ففى حالة الاقتصاد الامريكى مثلا كان عدد المشتغلين فى مجال المعلومات أكثر من أولئك الذين يشتغلون بالمناجم والزراعة والصناعة مجتمعين فى عام ١٩٧٥ .

وكما ادت الثورة الصناعية الى توسيع دائرة سيطرة الانسان على الطبيعة وعلى البيئة المحيطة به فان ثورة المعلومات لها تاثير مماثل . ولكن على خلاف الثورة الصناعية التى اعتمدت على مصادر غير متجددة مثل الحديد أو النفط،وترتب على ذلك ان هناك حدوداً لنموها ولتطويرها ، فان ثورة المعلومات تعتمد على مصدر متجدد ، وهو التدفق اللامتناهى واللامحدود للمعرفة والأفكار . لذلك فان البعض يسمى عصرنا هذا بعصر المعلومات أو عصر الالكترونيات .

لقد مكن التقدم العلمى فى مجالات الأقمار الصناعية والحاسبات الآلية والالكترونيات الدقيقة من تخزين وتشغيل واسترجاع وارسال واستقبال كميات هائلة من المعلومات بنفقات متناقصة وفى اشكال مختلفة (جمل - جداول - اشكال بيانية - صور) وفى وقت محدود للغاية . وادى هذا إلى اعادة النظر فى مفهوم المعلومات وفى كيفية استخدامها والآثار المترتبة عليها بحيث اصبح ينظر لها اليوم كمصدر متجدد وكاحد الموارد الاقتصادية شانها فى ذلك شان عناصر الانتاج التقليدية الأخرى (راس مال وعمل وارض وادارة) ويتسم هذا المورد الجديد باربع سمات هامة تميزها عن الموارد الأخرى هى ان مصدره العقل الانسانى ، وانه مصدر لا نهائى متجدد ومستمر ولا ينضب ، وانه يمكن ان يتناوله الناس ويشتركون فيه دون ان تضيع قيمته او يبلى ، وانه يمكن نقله من مكان إلى آخر بسرعة فائقة تصل الى اسرع من سرعة الضوء وذلك فى حالة استخدام الأقمار الصناعية .

ونستطيع ان نتبين بعض معالم هذه الثورة اذا عرفنا التطورات الاخيرة فى مجال الحاسب الآلى والالكترونيات الدقيقة .



يبدو ان الحاسب الآلى هو رمز التقدم فى هذا العالم وهناك صراع دولى صامت بين الدول الكبرى حول التقدم فى هذا المجال ، وبالذات بين امريكا واليابان حول صنع الجيل الخامس من هذه الآلات . ومع نهاية الثمانينات فان اجهزة الحاسب الآلى ستكون قادرة على الاستجابة إلى الذبذبات الصوتية ولن يصبح من الضرورى التعامل معها بالازرار ، كما سوف تزداد قدرتها على « القراءة » والاطلاع بسرعة تفوق قدرة الانسان ، وسوف يتحكم الحاسب فى عمليات الانتاج وضبط الجودة واتباع المقاييس المطلوبة فى الانتاج بنسبة تصل الى ٩٠٪ من اجمالى العملية الانتاجية .

ولكن التحدى الكبير الذى يتصدى له اساسا كل من اليابانيين والامريكيين هو محاولة بناء حاسب آلى يتمتع بالذكاء الصناعى اى لديه القدرة على الفهم والتفكير . ويقصد بالذكاء الصناعى وجود جهاز يمتلك مختلف القدرات التى اصطلح على ربطها بالذكاء الانسانى وعلى ممارسة العمليات المنطقية المختلفة .. وذلك من خلال فهم عملية التفكير الانسانى وبناء اجهزة تقوم بنفس الخطوات التى يمارسها العقل الانسانى ، فالاجهزة الحالية هى مخازن هائلة للمعلومات ولكن الانسان هو الذى يقودها الى مكان المعلومة او البيان فى ذاكرتها ، وهو الذى يحدد طريقة او نوع التحليل للمشكلة التى يريد حلها ، والذى يحاولونه اليوم هو بناء جهاز يستطيع ان يتذكر بنفسه وان يقرا بيانات ووثائق بعدة لغات وان يستخدم التليفون . باختصار جهاز يستطيع أن يبرمج نفسه بنفسه .

اما الالكترونيات الدقيقة فيقصد بها « الفن الالكترونى المستخدم لتحقيق دوائر ومعدات ونظم الكترونية من مكونات متناهية الصغر » وكانت بدايتها الاولية جهاز الترانزستور فى بداية الخمسينات .

وتطورت صناعة الحاسبات الآلية الدقيقة (المايكرو الكترونية) فى السبعينات بدرجة كبيرة ادت الى زيادة فعالية وكفاءة هذه الاجهزة مع تناقص اسعارها ، وتقليل حجمها ، وسهولة تشغيلها واستخدامها .

لذلك تعتبر هذه الصناعة مثلا من اكثر الصناعات الامريكية نموا . ففى عام ١٩٧٨ / ١٩٧٩ حققت زيادة فى عائدها بلغ نسبة ٣٥٪ . وينتظر ان تنمو صناعة الالكترونيات فى الثمانينات فى العالم من حجم ناتج تبلغ اسعاره ١٠٠ بليون دولار فى عام ١٩٨٠ الى ٤٠٠ بليون دولار فى عام ١٩٩٠ ، وان تصبح الصناعة الرابعة فى العالم بعد صناعات السيارات والصلب والكيماويات التى ينتظر ان يبلغ عائد ناتج كل منها ٥٠٠ بليون دولار خلال نفس الفترة .

سقوط حاجز المسافة

وقد ادت هذه الثورة فى مجال الحاسبات والاتصالات إلى نتائج اجتماعية هامة . اول هذه النتائج سقوط حاجز المسافات بشكل فعلى محسوس فى داخل كل مجتمع ، فوفرت التكنولوجيا المتقدمة مثلا امكانية ربط دولة مثل اندونيسيا تتكون من آلاف الجزر بنظام تليفونى يعتمد على القمر الصناعى .

ثانى هذه النتائج انتقال المعلومات عبر الحدود بين الدول بيسر وسهولة . وصحيح ان الجرائد والكتب والمجلات كانت تنتقل دائما ومنذ سنوات طويلة ، ولكن الجديد هو اليسر والسرعة التى يتم بها اليوم انتقال معلومات جمعت فى مكان ما وخزنت فى مكان ثان ، وتم تحليلها فى مكان ثالث ، ثم ارسلت نتائج التحليل إلى مكان رابع . ويستطيع الانسان اليوم فى اغلب مناطق العالم أن يرى ويتابع مباشرة الوقائع عند لحظة وقوعها مثل تتبع مباريات الاولمبياد او الاحداث السياسية الكبرى من خلال القمر الصناعى ، ويستطيع الباحث ان يتعامل تليفونيا ـ ايضا من خلال القمر الصناعى ـ مع مراكز المعلومات فى دول اخرى تفصله عنها بحار ومحيطات والاف

الأميال ، وان يحصل منها كتـــابة على ما يريده من معلومات وبيانات فى لحظات . وهكذا فان انتقال المعلومات اليوم اصبح أحد مظاهر واشكال انتقال السلع وادى الى انشاء صناعة متزايدة هى صـــناعة المعلومات التى تتمثل فى عمليات جمع وتصنيف وتلخيص واســـترجاع هذه المعلومات .

وادى التطور التكنولوجى الى مظاهر جديدة لم تكن ممكنة او موجودة من قبل ، مثل طبع الجرائد اليومية واصدارها فى اكثر من مكان وعاصمة فى نفس اليوم بعد نقلها عبر الأقمار الصناعية . ولن تمر غير سنوات قليلة قبل ان نرى « البث التليفزيونى الموجه » على غرار الاذاعة الموجهة بحيث يستطيع المواطن العربى فى القاهرة أو بغداد او الرياض مثلا ان يفتح جهـــاز التليفزيون الخـــاص به لكي يتلقى البث الموجه من الولايات المتحدة او الاتحـــاد السوفيتى ، كما ان هذا التقدم التكنولوجى يفتح الباب امام امكانية عقد اجتماعات بين اشخاص يقيمون فى بلاد مختلفة ويستطيعون ان يروا بعضهم بعضا من خلال الفيديو وان يتحاوروا مع بعضهم البعض ، وان يراقب كل منهم رد فعـــل ما يقوله على وجه الآخر .

ولكل من هذه التطورات نتائج هامة ويكفى ان ناخذ على سبيل المثال موضوع الرقابة على الاعلام او المطبوعات فما معنى هذا مثلا على ضوء امكانية تلقى المواطن العادى للبث التليفزيونى الامريكى او السوفيتى ؟ وقد يفتح هذا التطور الباب لاختراع اجهزة التشويش على هذا البث كما هو الحال فى اجهزة التشـــويش الاذاعى .

وثالث هذه النتائج يتعلق بتحسين الاداء واتخاذ القرار فى مختلف المجالات والقطاعات . ففى مجال الانتاج مثلا توجد اجهزة التحكم الآلى فى الآلات والمعدات والتى تراقب الدقة فى التشغيل وجودة الاداء ، وفى مجال السلاح والحرب لم تعد الاسلحة الحديثة تعتمد على مهارات فردية او قدرات شـــخصية بل تقـــوم اجهزة الحاسب الآلى بكشف الاهداف وتحديد مواقعها والتوجيه التلقـــائي للصواريخ والطائرات ، وتقوم نفس الاجهزة بقيادة وتوجيه هبوط الطائرات ، ومع هذا التقدم والتنوع فى الاستخدام تم تصغير حجم هذه الاجهزة بشكل مستمر . وفى مجال المستشفيات تقوم هذه الاجهزة بمراقبة الحالات المرضية الدقيقة ، وبتسجيل نتائج الفحوص الطبية وبتحليل الاختبارات المطلوبة فى الحال ، ويستطيع الطبيب فى بعض المستشفيات المتقدمة أن يجرى استشارات عاجلة وهو يقوم بعملية جراحية لمريض اذا صادفه شىء غير متوقع أو اراد مراجعة الحالات المماثلة للحالة التى يقوم بها ، وفى مجال استخدام الطاقة يقوم الحاسب الآلى مثلا بضبط ورقابة استخدام بنزين العربات ويحدد السرعة التى تحقق افضل استخدام ممكن .

أين نحن من كل هذا ؟

اما فى الأجل الطويل فسوف يكون لثورة المعلومات آثار أكثر عمقا فى المجتمع تقارب تلك المرتبطة بالثورة الصناعية . وهذه الآثار هى موضع بحث ونقاش بين المفكرين الاجتماعيين اليوم . فهناك قضية قدرة الانسان على استيعاب هذه التغيرات وعلى التعامل معها ، وهناك تاثيرها على التنظيم الاجتماعى وعلاقات العمل . فعلى عكس الثورة الصناعية التى فصلت بين المنزل ومكان العمل فان ثورة المعلومات والاتصالات لها تاثير معاكس . ويستطيع المشتغلون بصناعة المعلومات ان يقوموا بوظائفهم فى منازلهم دونما حاجة الى التركز فى مكان واحد ، وسيكون لذلك تاثيره على مركزية العمل ، وسوف يدعم اتجاهات اللامركزية ، كما انها سوف تؤثر على مفهوم الســـلطة . ففى التنظيم الاقتصادى والادارى الراهن فى العالم فان شاغلى المناصب العليا فى المجتمع عادة ما يكونون أكثر معرفة بالمعلومات وعادة ما يكون حجم المعلومات المتاح لشخص ما هو مؤشر على مكانته او نفوذه فى المجتمع . فى مقابل ذلك فان ثورة المعلومات سوف تجعل اعدادا كبيرة من المواطنين على بينة من الكثير من البيانات ، واخيرا سوف يكون لثورة المعلومات تاثيرها على المواصلات وحاجة الانسان الى الانتقال المادى من مكان الى آخر للتعرف على امر ما او لتبادل الراى فى قضية ما .

ثورة المعلومات لها ايضا آثار على مفهوم التعليم ونوع القدرات العقلية التى ينبغى ان يخاطبها ويسعى إلى تنميتها ، ففى سياق هذه الثورة فان التعليم يركز على قدرات حل المشاكل ، والتعرف على الحلول المختلفة لها ، والقدرة على ابتكار حلول واساليب جديدة ، ويقدم الحاسب الآلى طرقا جديدة للتعليم . ويندر ان توجد مدرسة فى البلاد المتقدمة تخلو من جهاز حاسب آلى بحيث اصبحت القدرة على التعامل مع الحاسب الآلى وعمل برامج مبسطة من المهارات التى تقوم المدارس الثانوية بتوفيرها لطلبتها .

وثورة المعلومات ليست بلا مشاكل او مخاطر . فهناك مشكلة خصوصية الانسان وقدرته على الاحتفاظ بدائرة من المعلومات الخاصة وعجزه عن ذلك امام ثورة المعلومات التى تقتحم حياته الخاصة وتضع كل المعلومات والبيانات المتعلقة به فى الحاسب الآلى والتى يتم تجميعها وتحديثها باستمرار ، وهكذا فان ثـــورة المعلومات يمكن ان تدعم جهاز الدولة او الاقليات المسيطرة فى مواجهة الفرد . وهناك مشكلة تدفق المعلومات والآثار السياسية المترتبة على ذلك فى حالة البث التليفزيونى المباشر من الدول الكبرى وامكانات الغزو الفكرى والتسلل الثقافى والتاثير على الامزجة والعقول . وهناك مشكلة الملكية ومن يملك صناعة المعلومات ومن ثم يستطيع ان يوجهها لخدمة اهداف معينة دون اخرى .

وثورة المعلومات تحدث حولنا ، وحتى الآن فاننا من المستفيدين من نتائجها دون ان نشارك فى صنعها ، ومازلنا نستورد آلاتها واجهزتها ونستخدمها دون ان نسعى للحصول على المعرفة العلمية وعلى الخبرة اللازمة للمشاركة فى هذه الثورة . وخطورة ذلك ان هذه الثورة سوف تزيد الهوة بين المتقدمين والمتخلفين ، وسوف تعطى الاقوياء ادوات جديدة للسيطرة ولممارسة النفوذ . فلماذا لا يكون هناك مثلا هدف تصنيع كومبيوتر عربى كما فعلت الهند ويكون هناك قدرة وصناعة عربية فى مجال الحاسبات الآلية . وصحيح انه طريق صعب ويحتاج الى وقت وجهد ولكنه الطريق الوحيد فيما اتصور لوضـــع مجتمعاتنا على الطريق السليم .

العالم يتغير من حولنا .

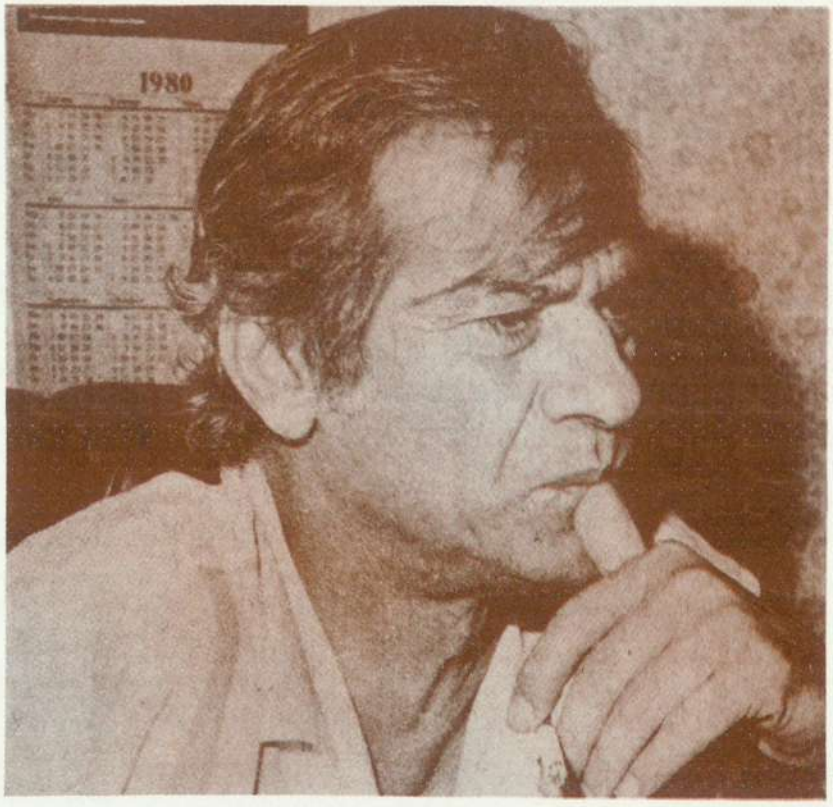
فاين نحن من هذا ؟

علي الدين هلال

معين بسيسو

القنديل الذي لم ينطفئ

بقلم: حمدي الكحلوت



بموت جسد معين لا ينفد الزيت فى القنديل .. ويواصل الأبطال اشعال الفتيل .. وتغمس البنادق حرابها فى وهج الكلمات .. وتضرب شجرة الزيتون جذورها الى الأعماق البعيدة ..فى أرض فلسطين . تشرب من روح الكلمات الشاعرة .. وتعصر زيتاً للقنديل .. فتطل وجوه شهداء الكلمة ـ الفعل .. قوافل من نور .. فيضيء كتف الجبل صوت عبد الرحيم محمود.. عز الدين القسام.. عبد القادر الحسيني .. حسن سلامه .. وتزمجر اصوات غسان كنفاني .. كمال ناصر .. راشد حسين .. ماجد ابو شرار .. نعيم خضر .. علي فوده .. محمود الهمشري .. وأمل زعيتر .. معين بسيسو .. ولا ينطفيء القنديل .

تتنوع أسباب الموت .. موت فى الغربة .. وموت فى الثورة .. وموت تتوهج فيه الآمال .. وموت ينقهر فيه الموت .. والبقاء واحد .. بقاء الكلمة ـ الجمرة او الفكرة ـ الفعل .. لكي يستمر الزيت .. ويواصل الأبطال اشعال الفتيل .. حتى الفجر .

وبين مولده عام ١٩٢٦ فى غزة وبين وفاته عام ١٩٨٤ فى لندن تمضى روح معين فى رحلة سفر لا تعرف الاستقرار .. ولا تعرف المهادنة .. تفتش عن الوطن .. وتهتف للحرية وللكتابة .. والسفر الطويل :

سفر .. سفر (١)
موج يترجمني الى كل اللغات وينكسر
موجا على كل اللغات وانكسر
سطراً .. سُطرْ
سفن .. سفر
سفن .. كلاب البحر اشرعة السفن
زمن يفتش عن وطن
زمن .. زمن

وفى احياء غزة القديمة ينشا معين ويتنسم عبق التاريخ .. ويتعلم من مدينته مقارعة الزمن وكيفية التعامل مع الغزاة .. وتتكون مع يفاعته وشبابه روح التمرد وبذور الثورة والغضب وهو يرى جموع النازحين تقتلع من مزارعها وبيوتها فى فلسطين امام زوابع الارهاب الصهيونى وتبحث عن الماوى وعن كسر الخبز بعد نكبة عام ١٩٤٨ فينفجر شعره صلابة وتحريضاً واملا :

ولكنه سوف ياتى الصـــــبلح
ويكسر ابـــواب هذا الضـــباب (٢)

يضيء لنـــا ارض آبائنـــــا
وارض طفولتنـــا والشـــباب
فتورق آمالنـــا كالغصـــون
وكانت جـــذوراً ببطن التراب
فقم وادع مثلي ليـــوم الخـــلاص
وميلاد تلك الأماني العـــذاب
وإن قيدوك وإن عذبـــوك
وإن هددوك بشر العقـــاب
فلا تستكن يا ابن هـــذا التراب
امام وحوش الحيـــاة الغضاب

وبعد عام ١٩٤٨ يشد شاعرنا الرحال الى القاهرة ليكمل تعليمه الجامعي وينفتح على عوالمها الخصبة ويتشرب منها قطرات العلم ويتسمع انات المعذبين والمقهورين فتمتـزج صورة اهله المشردين فى غزة مع صور البسطاء من اهله فى مصر فتحضره صورة غزه المعذبة :

هذى هى الحسناء غزة فى ماتمها تدور (٣)
مابين جوعى فى الخيام وبين عطشى فى القبور
ومعذب يقتات من دمه ويعتصر الجذور
صور من الاذلال فاغضب ايها الشعب الاسير
فسياطهم كتبت مصائرنا على تلك الظهور

وينهي معين تعليمه فى مصر عام ١٩٥٢ وفى نفس العام يصـــدر ديوانه الأول :

« المعركة » الذى افتخر بانه طبع على نفقة العمال والفلاحين المصريين وعايش فيه همومهم واحلامهم وسجل فيه الارهاصات الأولى لمعركة القناة التى حفرها ابناء مصر بعرقهم ودمهم واظافرهم وقدمت هدية لجلاديهم محرمة على اصحابها فيصرخ معين أن « ارفعـــوا ايديكم عن ارض القناة » :

فبحار العالم المصطخبة (٤)
لم تعد أمواجها للقرصنة
والأيادى العفنة
ليس هذا عصر توفيق الجبان
لا ولا عصر ديجول
مونتجومرى والفلول

ويرف طائر الغربة بجناحيه فى قلب شاعرنا فيفرد اشرعته الى عاصمة عربية اخرى ويسافر الى بغداد ويعمل فيها مدرساً فتصدمه صورة السجن الكبير المفروض على اشقائه فى العراق فى عهد نوري السعيد والأحلاف مع المستعمر الانجليزى فيزفر شعره جمراً يحرق أطراف الواقع المؤلم ويضيء طريق الغد رؤى مستقبلية مشرقة تتخطى القيد والسجان :

سيظل يحرسه العراق (٥)
سيظل يخفق فى العراق
فى ظل اقواس المشانق والرصاص
قلب المقاومة العنيدة والخلاص
جنباً الى جنب يدق مع القلوب
أترى الى شعب العراق
يعدو باشلاء الوثاق ؟
وعلى جواد من لهب
فى أرض معركة الشعوب .

وترنو عينا معين الى مدينته فيعود اليها عام ١٩٥٣ مديراً لاحدى مدارس وكالة غوث اللاجئين ، وما كانت الادارة تعني للشاعر العملاق الا انها اقتراب اكثر من جماهير شعبه وهمومه وما كانت التربية فى مفهومه النضالي الصلب الا بث الروح الوطنية وتاجيج مشاعر الصغار والكبار للثار من غاصبي فلسطين وتثوير تجمعات البؤس فى المخيمات لتخرج عن هدوئها وصمتها وعن همهمات الحزن والغضب المتخفية تحت الأسمال والرماد ولتنطق المدافع الخرساء على كل الحدود .. ويدفع الشاعر المناضل ثمن تغزله بالبندقية سنوات طويلة فى المعتقلات داخل غزه وخارجها ولكن الكلمة ـ الفعل تصر على

الشاعر معين بسيسو في كلمات

● ولد فى غزه عام ١٩٣٠ م .
● سافر الى مصر عام ١٩٤٨ لتلقي العلم وتخرج عام ١٩٥٢ .
● عمل معلما فى العراق ثم عاد الى غزه عام ١٩٥٣ كمدير لأحدى المدارس التابعة لوكالة غوث اللاجئين بقطاع غزه
● اعتقل فى الفترة ما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ وفى الفترة ما بين ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣ لنشاطه السياسي وصلابة موقفه المنحاز لوطنه وللمعذبين فى الأرض .
● نشر احد عشر ديوانا من الشعر صدر أولها « المعركة » عام ١٩٥٢ فى القاهرة وكان اخرها « خذي جسدي كيسا من رمل » الذى ضمنه « الأعمال الكاملة » عام ١٩٧٩ فى بيروت .
● امتد نشاطه الابداعى من الشعر السياسي الملتزم الى المسرح الجاد فكتب مسرحيات كانت اولها « ماساة جيفارا » وكان اخرها : « محاكمة كتاب كليله ودمنة » وجمعت كلها فى كتاب بالاضافة الى كتبه وابحاثه الاخرى .

● نال جائزة اللوتس العالمية عام ١٩٨٠ كما نال « درع الثورة » اعلى وسام فلسطيني كما تراس تحـــرير مجلة « اللوتس » فى طبعتها العربية وهو عضو فى المجلس الوطني الفلسطيني ومسؤول الشؤون الثقافية فى الامانة العامة للاتحاد العام للكتـــاب والصـحفيين الفلسطينيين .
● توفى فى لندن يوم الاربعاء ٢٥ يناير ١٩٨٤ اثر نوبة قلبية وهو فى طريقه الى موسكو فى مهمة رسمية لوطنه ودفن جثمانه فى القاهرة بناء على طلب اسرته .

المؤرخ الوجداني للشقاء الفلسطيني



اسمحوا لي ان اتحسس بوجع علني قطعة من قلبي سقطت امس . زميلي واحد رفاق طريقي وقصيدتي ، معين بسيسو ، خذله القلب فسكت في احدى محطات المنافي الكثيرة .

أليس من حق الشاعر ان يواصل فرح اللحظة ؟ لا ، ليس من حقه خاصة اذا كان إبناً لتلك الارض الاسطورية التي فتحت له ابواب كل المنافي وحرمته من زنزانة واحدة في وطنه . وانا لا اعجب من كيفية موتنا السريع ، بل اعجب من شهية الحياة فينا التي ترغم القلب المثقل بالاسئلة والمجازر على البقاء قليلا ريثما يواصل الشاعر قصيدته وهي وطنه اللغوي ، او وطنه المؤقت في اللغة . كم طال هذا « المؤقت » دون ان يطمئن اي شاعر فينا إلى ختام النشيد . لذلك نسرق وقت الكتابة وكانه الوقت الاخير . كل قصيدة نكتبها هي القصيدة الاولى والاخيرة .

تعرفت على معين بسيسو في القاهرة . كان رفيقي في كل رحيل ، فالى اين ارحل بعده ؟ كان عاصفة من نشاط النحل .. لم يتوقف عن الأمل والحلم الا ليهجو الزمن الذي عاش فيه . كان حضوره كاملا ، فبم نملأ غيابه ؟

خريج سجون بامتياز . شاعر حاد الطبع واللغة . لا يضرب إلا ليصيب . كرس طاقته الشعرية الكبيرة لمواكبة السعي الفلسطيني إلى هوية وثورة ووطن . وكان المؤرخ الوجداني للشقاء الفلسطيني الحديث . وكان مناضلا صلبا في كل المعارك التي خاضتها الثورة الفلسطينية ضد محاولات طمس الهوية ، والشخصية الوطنية المستقلة والوجود الجسدي . كانت قصائده اليومية اثناء حصار تل الزعتر اسلحة صمود . وكانت كتابته اليومية اثناء حصار بيروت اسلحة صمود وثقة عالية بقدرة الجسد والفكرة على التصدي لوحشية الفولاذ ، لأن ارادته كانت من فولاذ مضاد .

وكان حلمه الشخصي ان يموت هناك في كوخ على شاطىء غزة التي اعتبرها اجمل المدن . وكان يعدني بأن يبني لي كوخاً على اجمل السواحل ، كان يتحداني مداعباً بانه سيرثيني ، وانني لن اعيش بعده .

لقد كذب علي معين بسيسو لانه لم يعد لي : لا كوخاً ولا قبراً في الارض التي نحلم بالموت فيها . هكذا نحن الفلسطينيين لا يحق لنا ان نختار المهد ولا اللحد .. ولكننا نختار المسافة بينهما ، نختار الحياة كما نريدها بكرامة واصرار على الانحناء ، بالاصرار على النصر .. وهي ثورة حتى النصر .

محمود درويش

وحين يحاصر في « تل الزعتر » يصرخ وهو يرى سر المأساة ماثلة بوضوح كالشمس امام الاعين المقاتلة :

« تل الزعتر » (٨)
يا جرحاً يتسع ويصبح ،
هذا الوطن الاكبر .
غنيت طويلا للدالية على جبل « الكرمل »
وكتبت كثيراً للزيتونة في جبل «القسطل»
وحملتك يا غزة
آهٍ على غزة
كان العنق يذوب كشمعه
والاطفال وراء المتراس « بتل الزعتر »
في « جسر الباشا » و « النبعة » ..

وفي بيروت يتمترس العشق والثورة والامل في قصيدة اخيرة تسافر الى الوطن وتتحدى جيوش الغزاة وبعد بيروت ينكسر جناح الطائر المسافر ولكنه ما يزال يحلق في آفاق الغربة والثورة والحلم الى ان يحط في عاصمة الضباب فيخر من الاعلى كشجرة تموت واقفة وما عاد القلب يقوى

على المزيد من الخفقات وما عاد الصوت الجمهوري يقوى على الوقوف في أعلى السارية ليصيح في شعبه « جزيرة جديدة في الأفق .. قصيدة جديدة » لكن العطاء كان وفيراً والزيت يملأ القنديل .. ينطفىء فتيل ويشتعل الف فتيل .. ولا ينطفىء القنديل .

حمدي الكحلوت

الخروج الى القنديل زيتاً ولو من وراء القضبان يضيء قطار العودة ويدق على ابواب الصمت :

حينما تومض في عيني غزه (٦)

حينما تنمو كغابة
حينما يلمع برق الكلمات
كلمات من حديد
تطرق الباب الحديد
اطرقي يا قاهره
واطرقي يا غزتي

ويعود طائر السفر يحوم بجناحه على العواصم والبلدان من بيروت الى بغداد الى دمشق الى القاهرة ومن منفى الى حصار ومن أهازيج الشهداء احبابه الى اغاني القناديل المضيئة على دروب المناضلين .. وحين يضنيه الترحال وطعن النصال من الامام والخلف يجلس ليهمس بحلمه في رؤية ارض وطنه وتلمسها الى ابنته دالية :

الف شتاء قد مر ومازال (٨)
مصلوبك يا وطني يحلم ،
لو تلمس قدماه
الأرض الدانية كنجم
لو يمشي ،
لو يسمع وقع خطاه

مصادر واشارات :

(١) من اخر اعمال معين بسيسو الشعرية « قصيدة في زجاجة » .
(٢) من قصيدة « المهاجرون » في ديوان «المعركة»
(٣) من قصيدة « المدينة المحاصرة » في ديوان « المعركة » .
(٤) من قصيدة « ارفعوا ايديكم عن القناة » في « المعركة » .
(٥) من قصيدة « السجن الكبير » في ديوان « المعركة » .
(٦) من قصيدة « ارفعوا الايدي عن ارض القناة - ديوان حينما تمطر الاحجار .
(٧) من قصيدة (الى طفلتي داليه) من ديوان (فلسطين في القلب) .
(٨) من قصيدة (برقية الى تل الزعتر) من ديوان (الآن خذي جسدي كيساً من رمل) .

من أزمة الشعر.. إلى أزمة الإنسان!

أجرى الحوار : يوسف الحرمي

- معظم دور النشر العربية تأكل الحقوق المادية للشعراء
- الشعر التجريدي سقط وأعلن افلاسه حتى فى الغرب
- نظرية أدونيس فى الشعر نوع من الهيروغليفية لا يمت للأدب العربى بأى صلة
- هناك شعراء لا يعرفون شيئاً عن اللغة والموسيقى ومع ذلك تفتح لهم المطابع صدرها
- في الساحة الأدبية من يحملون اسم الناقد دون ان يستحقوا هذه التسمية
- قصيدة النثر أكذوبة أدبية يرفضها الذوق السليم

فى حوار مع الشاعر القطرى الكبير مبارك ابن سيف آل ثانى ، تطرقنا إلى عدة قضايا هامة حول كافة الهموم التى تعترى الحياة الثقافية فى وطننا العربى .

وشاعرنا الكبير لم يعرفه جمهوره من خلال قصائده المتالقة فى العديد من الصحف والمجلات القطرية والخليجية والعربية ، ولكنهم يعرفونه ـ كذلك ـ من خلال ديوانيه : انشودة الخليج ، والليل والضفاف .. وهما الديوانان اللذان برز فيها اهتمام الشاعر بمعاناة الانسان الخليجى منذ ايام الغوص ، ومعاناة الانسان العربى بقضاياه الراهنة

قلت للشاعر مبارك بن سيف آل ثانى ، ما رأيكم فيما يردده الكثير من النقاد من ان القصيدة العربية تمر بازمة فى المرحلة الراهنة ؟ ..

وقال لى : لا اعتقد ان القصيدة العربية تمر بازمة كما يشيع البعض ، يمكننا ان نقول إن هناك قلة من الشعراء فى عالمنا العربى ، بالمقارنة بالعصر الذهبى للشعر ـ إذا جاز هذا التعبير ـ واقصد بالعصر الذهبى على وجه التحديد الثلث الأول من هذا القرن والسنوات التى تلته ، عندما كان هناك توهج للشعر وذيوع بالغ لصيت الشعراء ، وما نراه الآن ليس إلا لحظة من الركود المصطنع فى وجه انتشار الشعر الجيد ، صحيح ان الساحة تفتقر إلى قلة المواهب مقارنة بالماضى ، لكن هذا لا يعنى انها خالية من الشعراء الجيدين، ومن المواهب المدفونة التى لا تجد من ينفض التراب عن اعمالها الجيدة ويأخذ بيدها لتحتل مكانها المطلوب فى مجتمعها .. وهذا بالطبع يعود إما إلى تقصير من صاحب الموهبة نفسه،او إحباط يعانى منه نتيجة لعدم اهتمام المجلات الادبية المتخصصة واهمالها للجيل الجديد من الشعراء .. ولذا فانا ارى ان اللوم يقع اولا على وسائل النشر الخاصة والعامة التى بيدها امكانية التوجيه للمواهب الحقيقية وتهيئة الاجواء الكفيلة بوجود صحوة ادبية وفنية نتمناها ونترقبها بفارغ الصبر ، وهذا بالطبع إضافة إلى ضرورة ان يتفهم الشاعر الموهوب معنى ومفهوم الموهبة . فالموهبة ستظل اداة قاصرة ما لم تصقل نفسها بالدراسات المكثفة والقراءة المستمرة لكافة التجارب الانسانية ، ويكفى ان اقول إن ابا العلاء المعرى مثلا لم يعتمد على ذكائه وموهبته الفذة ، بل كان واسع الثقافة فى كل فروع المعرفة حتى ان « التبريزى » قال عنه « ما اعرف ان العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعرى » !

● ولكننا نلاحظ فى بعض الدول العربية اهتماما بالكتابة الادبية يسبق باستمرار الصقل الفكرى ، فهل يمثل ذلك عيبا ثقافيا ؟

ـ عموما الادب نتاج فكرى تشوبه العاطفة ولهذا فانا لا اجد اى تعارض بين العمل الادبى والعمل الفكرى ، فلكى تكون اديبا لابد ان تسلح نفسك اولا باسلحة



الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني
في حواره مع الدوحة



الأديب التى من بينها الثقافة والرؤيـــة الموضوعية للأشياء والحاسة التى تلتقط وتحلل اعتماداً على خلفيتها من القراءة والاطلاع . وإذا كان ذلك مطلوباً للشاعر والروائى والقاص فانه مطلوب بصورة اكبر للناقد الذى يصدر احكامه على الأعمال الأدبية ، فالنقاد الحقيقيون الذين يعتد برأيهم ـ للأسف ـ اصبحوا قلة ، بينما رأينا فى الساحة العديد من الذين يحملون هذه التسمية بدون أدنى مؤهلاتها ، وأصبح الأدباء الشبان لا يجنون من الكتابات النقدية لهؤلاء غير الابحار فى امواج من الأهواء الشخصية والمقاييس الخاطئة .

وأعود فاكرر بان وسائل النشر فى عالمنا العربى هى المسئولة عن كل ذلك ، فهى اداة توجيه ، يمكنها ان تحيى تراثنا الادبى من جديد إذا ارادت ، ويمكنها ان تبعث الدفء فى حياتنا الثقافية بطرح القضايا الأدبية الهامة وإلقاء الضوء على المواهب الصاعدة .. إن صحفنا مثلا تخصص في كل يوم صفحة للرياضة واحيانا صفحتين ، وهذا جميل لأن صحة الأبدان من صحة العقول ، ولكن لماذا لا تعطى هذه الصحف الأدب والثقافة نفس القدر ؟ لماذا تخصص صفحة ادبية واحدة كل اسبوع ؟ ولماذا تكتفى بعض الصحف العربية ـ فقط بركن فى احدى صفحاتها للأدب ؟ .. وكذلك برامج التليفزيون انها لا تخصص اكثر من نصف ساعة للبرامج الأدبية فى الاسبوع .. وهذا بخلاف دور نشر الكتاب على امتداد عالمنا العربى التى اصبحت تنظر للشعر والقصة على انهما فن لا يحقق المكسب التجارى الذى تحققه الكتب الهابطة التى تثير غرائز القراء .. واذا كان هذا هو الحال فماذا ننتظر او ماذا نجنى غير تناقص حب الثقافة والرغبة فى القراءة الجادة لدى الناس ؟!

مستقبل الأدب

قلت للشاعر مبارك بن سيف آل ثانى :

● هل يمكننا ان نضع مقاييس للقصيدة الجيدة ، وما هى المعايير التى تجعلنا قادرين على التمييز بين الشعر الجيـــد والشعر الردىء ؟

ـ القصيدة الجيدة لابد ان يتوفر فيها المضمون والبناء الفنى الجيد ، وان تكون بها اصالة فنية وإبداع ، وهما ما يستطيع اى متذوق ان يميزه ، ولكن هناك من يدعون الشعر دون تاهيل، ويخرجون علينا من المطابع وبايديهم دواوين شعر ركيكة غثة فى لغتها وبنائها وقواعدها وعروضها وقافيتها ، وهذا من شانه ان يثير فى نفوسنا الخشية على مستقبل الشعر والأدب فى بلادنا ، وعموماً فان تنامى التذوق لدى القراء هو الذى يكشف هؤلاء المصنوعين ، على حد تعبير الدكتور حسن نعمة .

واعتقد ان تلك المشكلة موجودة فى عالمنا العربى بصفة عامة ، مع بعض التفاوت والتمايز من بلد لآخر نتيجة لأسبقية دخول التعليم والاهتمام بالتربية الثقافية . وهذا ـ بالطبع ـ يتطلب مجهوداً مكثفاً من كل وسائل الاعلام ، لتشجيع المواهب الجديدة الواعدة ومساعدتها بالقاء الضوء عليها وكشف الطريق امامها . والمهم هنا هو الكيف وليس الكم ، وإذا جعلنا اى شاب يشعر بانه قد اصبح قصاصاً او شاعراً فجاة دون مروره بفترة من المعاناة هى فترة التحصيل والصقل والتجربة ، نكون قد ساعدنا على ظهور مجموعة من الشعراء وكتاب القصة الذين لا يتناسب عددهم مع اهمية إنتاجهم !

● إذن .. وعلى ضوء كل ذلك .. هل يمكننا تحديد مسيرة الحركة الأدبية فى دول الخليج العربية ؟ ..

ـ لاشك ان الحركة الأدبية والفكرية بصفة عامة فى دول الخليج العربية تسير بخطوات سريعة إلى الأمام ، وإذا نظرنا إلى هذه الدول منذ عشرين عاما ونظرنا إليها الآن ، فان ذلك يكفي للتعرف على مدى التقدم الذي تم في كافة المجـالات ومنهـا المجالات الفكرية والثقافية ، بعكس بعض الدول العربية الاخرى التي أرى ان مستوى الانتاج الأدبي فيها قد هبط ـ اذا جاز هذا التعبير ـ وهذا يعود الى ظروف كثيرة لطالما ناقشها العديد من المثقفين العرب .

● هل يمكننا ـ ايضا ـ ان نحدد الصعوبات التي تواجه الشعراء والأدباء بصفة عامة ؟

ـ هناك صعوبات مادية تتمثل في القدرة على طبع الانتاج ، حيث ان معظم دور النشر في العالم العربي تلتهم حقوق الشعراء فلايكون لهم مردود يشجعهم على أن يكونوا متفرغين للعمل الفني ، فهذه الدور تقف موقفاً سلبياً من الشعراء بحجة

من أزمة الشعر.. إلى أزمة الإنسان !



ت . س . اليوت



نازك الملائكة

الربح والخسارة .. هذه هي اهم المشاكل التي تواجه الشعراء والادباء بصفة عامة وهناك صعوبات اخرى لا تحتاج الى التنويه .

● هل انت راض عن قصائدك التي كتبتها .. ولماذا ؟

ـ بطبيعة الحال انا راض عنها ، والا ماكتبتها ونشرتها في الصحف والمجلات وطبعتها في دواويني ، والحكم بالطبع في النهاية اتركه للقراء والنقاد ، ولكن هذا لا يعني انني مقتنع بمستواها العام ، فانا انظر دائماً الى الافق ، ومن الصعب الوصول الى الافق ، وبالتالي فانني اشعر بانني لم اكتب القصيدة التي تدور في مخيلتي ، او التي احلم بان تكون موجودة يوماً ما بين صفحات اوراق احد دواويني .

التجديد في الشعر مطلوب

● هل انت من الذين يؤيدون التجديد في الشعر العربي المعاصر .. وكيف ذلك ؟

ـ التجديد مطلوب والاستمرارية هي مع التجديد ، لكن يجب ان نفهم معنى التجديد : هل هو الغاء التراث الشعري والبدء من الصفر ؟ ام هو استمرارية للشعر والتراث العربي مع تطوير هذا الشعر ؟ وهذه المسالة قد يختلف فيها اشخاص كثيرون في معنى التطوير هل هو في القالب ام في المضمون ؟ وباعتقادي ان الشعر الحديث هو تطوير للشعر القديم ، بل ان هناك شعراء ممن وقفوا ضده واصدروا مؤلفات لمحاربته ، اصبحوا يكتبون بطريقة الشعر الحديث ، فطالما الشعر العربي الحديث يعتمد على وحدة التفعيلة فهذا ايضاً ما زال يسير في ظلال الشعر الموروث وهذا هو رايي في الشعر الحديث .

اما بالنسبة للشعر التقليدي فالتطوير يتم عن طريق المضامين والمفاهيم الجديدة والتي تقابلها مقاييس جديدة ايضا تعرفنا بمكامن التجديد والتطوير رغم بقاء القالب كما هو .

● وما رايك فيما يسمى بالقصيدة التجريدية في الوطن العربي ؟

ـ استطيع ان اقول من خلال قراءاتي إن القصيدة التجريدية سقطت في أول الطريق ليس لدينا فقط ولكن عند الشعوب المتقدمة في اوروبا ، فالديوان الذي يحتوي على الشعر التجريدي او السريالي او اللا عقلي لا يطبع منه الا الف وخمسمائة نسخة ، هذا في فرنسا على حد تعبير احد شعراء فرنسا المعاصرين فما بالك بالنسبة للقاريء العربي ؟!

تجربة شاعرين

● هل لك ان تحدثنا عن تجربة الشاعر صلاح عبد الصبور ونزار قباني في الشعر العربي الحديث ؟

ـ اعتقد ان هذين الشاعرين قد دونا تجربتهما الشعرية في كتابين وهما موجودان في جميع المكتبات ، وليس لي ان اضيف او ازيد عليهما اي شيء ، فليس اعرف بالانسان الا الانسان نفسه ، ويستطيع القاريء ان يرجع لكتاب صلاح عبد الصبور تجربتي في الشعر فسوف يكون له خير معين للتعرف على شعر صلاح عبد الصبور وتجربته الشعرية . عموماً نزار قباني وصلاح عبد الصبور كانت لهما ابتكارات في الشعر لا شك في ذلك وعموماً يمكننا ان نقول عن شعر عبد الصبور انه شعر شمولي الطابع بينما نزار قباني نلتفت ونحدد ملامح الحياة في قصائده حتى من بقايا اعقاب السجائر .. وهما بلاشك امتداد (خصوصاً صلاح عبد الصبور) لرواد الشعر الحديث مثل بدر شاكر السياب وزملائه ، مع الفارق في المضامين والاغراض التي تناولها الشاعران في شعرهما .

الغموض في الشعر

وهنا قلت للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني :

● رغم ان الشعر الحديث بدا منذ اكثر من ربع قرن ، إلا اننا لا زلنا نرى اتجاهات عديدة ، فهنالك الشعر العمودي والشعر الحر وشعر التفعيلة وقصيدة النثر ، فما تقييمك لهذه الاتجاهات الشعرية ، والصراع الدائر بينها ، وما تقييمك لقصيدة النثر خاصة ؟

ـ لا يوجد شيء اسمه قصيدة نثر او شعر نثري ، ربما هذه تكون خاطرة او كلاما وجدانيا ، ولك ان تسميه ما تشاء إلا ان تسميه شعراً ، اما بالنسبة للشعر العمودي وشعر التفعيلة فهما طبعا ضمن اطار الشعر المتعارف عليه . اما الصراع بين الشعر القديم والحديث فلا اعتقد ان له وجوداً الآن اللهم الا بين قلة قليلة ليس لها ذلك الثقل الذي يمكن ان يؤدي الى التشكيك فيما يسمى بالشعر الحديث .

● ترتبط قضية التجديد لدى الشعراء الشبان بظاهرة الغموض والتعقيد الشديد في اشعارهم فهل هذا عيب او ميزة ؟ وما هو تعليلك لهذه الظاهرة وتقييمك لها ؟

ـ اعتقد ان هذا القصور هو عيب من عيوب الشعر ، وصحيح انه في يوم ما كان لمفهوم ادونيس عن الشعر تاثير على الشعراء الشباب ، ولكن في الوقت الحاضر نجد ان هذا الغموض لم يعد موجوداً عند الكثير من الشعراء ، طبعاً الرمز تفرضه ظروف معينة حيث يجنح الشاعر اليه ، ولكن ان تصبغ القصيدة بالغموض والتعتيم فهذا امر مصطنع اكثر مما هو طبيعي ، والصنعة في الشعر هي من اهم عيوبه مهما استترت تحت اية تسمية كانت !

التكوين الفني

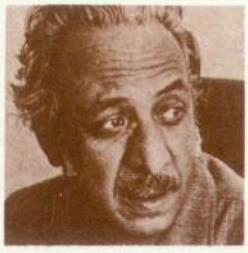
قلت للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني :

● الشاعرة العربية حاولت ان تشارك في نظم الشعر الحديث فهل حققت في رايك نجاحاً ملموساً في هذا المجال ؟

وهل كان ابداعها إضافة حقيقية الى الشعر الحديث ؟

ـ طبعاً حققت نجاحاً في مجال الشعر اذا كنت تقصد مثل فدوى طوقان او نازك الملائكة او لميعة عباس او من شابههن ، وبالتالي لابد ان تكون هناك إضافة حقيقية لابداع المراة


ابراهيم ناجى


صلاح عبد الصبور


نزار قبانى


بدر شاكر السياب


عزيز اباظه

في مجال الشعر ، وذلك يرجع الى نوعية العاطفة وطبيعة النظرة الى الحياة عموماً وبالتالي لاشك بان المراة الاديبة قد اثرت المجال العربي .

● بمن تاثرت في تكوينك الفني من الشعراء العرب او العالميين ؟

ـ فى الواقع إن اي شاعر او اديب يتاثر في بداية حياته الادبية بمجموعة من الشعراء . اما بالنسبة لي فقد كنت معجباًبشعر احمد شوقي والدكتور ابراهيم ناجي وعزيز اباظة وبدر شاكر السياب ، هذا طبعا في بداية حياتى الشعرية اي في منتصف الستينات ، ولكن التاثير يزول مع المدة ويصبح للشاعر اسلوبه الخاص المميز عن غيره . اما بالنسبة للشعراء الغربيين ففي الواقع قد تاثرت ببعض الشعراء مثل ت . س . إليوت، وهاردي وتاثرت بكتابات « فرجينيا وولف » والتي تاثرت بدورها بالشاعر العملاق « إليوت » والذي شدني الى قراءة شعر هذا الشاعر وقصائده ومن تاثروا به من الادباء الاجانب هو تلك البصمات التي تركها على شعرنا العربي منذ أن ترجم له الدكتور لويس عوض قصيدة الأرض الموات او الارض اليباب ، وربما تكون قصيدتى الزرع في الارض اليباب والتي كتبتها عام ١٩٧٤ هي احدى تاثيرات هذا الشاعر ، ومازال لهذا الشاعر وهجه واشعاعاته رغم ارتداده عن تلك النظريات التي شغلت ادباء عصره ، ونجد ذلك واضحاً جداً فى مسرحيته الشعرية « جريمة فى الكاتدرائية » .

● من هو الشاعر الذى يعجبك من شعراء الخليج والعرب ؟

ـ بالنسبة للشعراء العرب فاستطيع القول بانهم اربعة شعراء هم : احمد شوقى ، وابراهيم ناجى ، بدر شاكر السياب ، وعلي محمود طه ..

اما بالنسبة للشعراء الخليجيين تعجبنى قصائد الشاعر بن عثيمين وهو شاعر خليجى قديم ، كما أن هناك الكثير من الشعراء الذين لهم قصائد جميلة مثل خالد الفرج وهناك العديد الذين لا استطيع حصرهم ..

ومن العيوب المنتشرة عندنا فى مجال الدراسات الأدبية هو الاحتفاء بالكتاب والشعراء على أساس صيتهم وشهرتهم ، وليس على أساس ما ينتجونه فى الوقت الحاضر بالرغم من أن معظمهم مازال فى ميعة البذل والعطاء .

بين محمود درويش وأدونيس

● ما هو رأيك فى تجربتى محمود درويش وأدونيس فى الشعر العربى المعاصر ؟

ـ محمود درويش يمثل شعر المقاومة مثله مثل شعراء المقاومة الآخرين ، وشعر المقاومة معروف لدى جميع الشعوب التى عانت من سيطرة الغزاة وخاصة الفرنسيين حيث ظهر عندهم ما يسمى بالالتزام ، اما بالنسبة لادونيس فلديه نظرية فى الشعر استطيع أن اقربها إلى القارىء ، بالقول بانها اشبه باللغة الهيروغليفية ، وهى نظرية فى مجال الأدب والشعر خاصة ، وقد كان له فى يوم من الأيام مريدون اهتموا بها وصبغوا قصائدهم بتلك المفاهيم كالغموض مثلا ، وتفريغ الكلمة من محتواها ثم اعطائها مدلولا اخر وهو ما يسمى بالايحاء او بالمدلول النفسى للكلمة الى آخره .

● إذن فما هو الطريق فى رايك لتطوير الشعر العربى الحديث ؟

ـ فى الواقع الشعر الحديث لا نستطيع تطويره بقرار أو بتوصية فمسالة النمو والتطوير خصوصاً بالنسبة للأدب والشعر انما هى نتاج لتطور المجتمع نفسه وتطور المفاهيم والعادات والتقاليد وغير ذلك . صحيح أن الشعر احد واجباته هو التوجيه ولكن مسالة التطوير كما سبق أن ذكرت تاتي من المجتمع نفسه ، ويكفي ان ننظر إلى المذاهب الشعرية لنتعرف على مدى تاثير الحياة الأوربية على الشعر ، وبالتالى نستنتج من ذلك أن الشعر يتطور بتطور المجتمع ويساير نظريات المجتمع ، والمجال واسع ، فلو اننا اردنا ان نوضح ان هناك علاقة تامة بين الأدب وبين حالة المجتمع نخرج من هذا الموضوع ـ كما سبق أن اشرت ـ الى ان التطور فى الشعر هو نتيجة لانعكاس الاحداث التى يعيشها المجتمع ، فيجب ان لا تنسى ايضاً ملاحقة الشعر للنظريات الحياتية البيئية والنفسية والاجتماعية الى آخره .

أبو نواس مجدداً

● هل يمكن اعتبار ابى نواس كمجدد فى الشعر القديم ، رائداً للحداثة والتجديد فى الشعر المعاصر ؟

ـ لا اعتقد أن ابا نواس رائد الحداثة والتجديد الا اذا كان المقصود هو الاستهلال بالنسبة للقصائد التى وصلتنا منه ، فقد رفض البداية بالوقوف على الاطلال ـ وان سبقه الوليد بن يزيد فى ذلك ـ وادخال بعض للضامين والاغراض وغير ذلك ، ولكن لا اعتقد ان هناك تجديداً بالمعنى المفهوم للحداثة ربما التجديد حدث عند بعض شعراء الاندلس فقد ظهر بينهم من جدد فى القالب الشعرى والمضمون كذلك بينهم الشعراء الذين نجد عندهم الوحدة العضوية للقصيدة بشكل متميز وبعضهم من استنطق الجمال وحاوره فى شعره، فهذا هو التجديد الحقيقى الذى يمكن أن نؤرخ به تطور الشعر العربى . قد يكون أبو نواس اعطى الاغراض الجديدة للشعر ، وعاب على الشعراء السابقين وقوفهم على الطلل ومدح الناقه والخيل الى آخره .

طبعاً هذا نوع من التجديد ولكن ليس بالتجديد الذى نستطيع ان نقول بانه قفزة فى الشعر العربى القديم واذا اخذنا مثل هذه المعايير كمؤشر للتجديد فسوف نرى الكثير من الشعراء الذين طوروا فى الأساليب كعمر بن ابي ربيعه ، بالاضافة الى شعراء الموالي والصوفية وغيرهم .

يوسف الحرمى

مسافر على الرصيف



كاتب كبير.. ورحلة بلا متاع!

بقلم: محمود السعدني

لم ألتق بمحمد عودة فى مقهى محمد عبد الله ولكنى قابلته صدفة فى مقهى آخر يقع وسط مدينة القاهرة ، هو مقهى « إيزافتش » الذى كان يطل على ميدان الاسماعيلية (التحرير فيما بعد) ، وكان يملكه يوغسلافى مهاجر ، فر من يوغوسلافيا ، واختار القاهرة منفى له ، وأسس محلا أنيقاً للغاية ، واستخدم عمالا من الأجانب قبارصة ويونانيين ، ولكن الرجل اليوغسلافى ـ وهنا العجب ـ قصر نشاط محله على بيع الفول المدمس أشهر طعام شعبى فى مصر ، واجتذب هذا المحل الأنيق الذى يسبح فى جو أوروبى ويبيع طعاماً شعبياً فئة من المثقفين المصريين الذين تعلموا فى الغرب ولم تنقطع جذورهم الضاربة فى أرض مصر !

وكان محمد عودة واحداً من هؤلاء الذين اختاروا من « إيزافتش » محلا مختاراً له ، يجتمع بالأصدقاء ، ويدير المناقشات ويدخل فى معارك نظرية ، ويقرأ جانباً من عشرات الكتب التى كان يحملها دائماً بين يديه . ولعل اختيار محمد عودة لمقهى « إيزافتش » يرجع إلى الصفات المشتركة بين الرجل والمقهى ، فمحمد عودة واحد من المثقفين المصريين الذين سبحوا فى علوم الغرب ، وأغلب قراءاته باللغتين الفرنسية والانجليزية ، ومع ذلك لم يبحر محمد عودة بعيداً عن شواطىء مصر ، ولم تنقطع خيوطه بقاع المجتمع ، فى الحارة وفى القرية ، بالرغم من أنه كان يعيش فى وسط القاهرة وفى أرقى أحيائها ، وينزل فى بنسيوناتها وفنادقها الصغيرة .

كان صورة مصغرة من قهوة إيزافتش ، ديكور أفرنجى وخدمة أجنبية وطعام مصرى عربى أصيل .

كان يتوافد على مقهى « إيزافتش » فى تلك الأيام مجموعة من المثقفين المصريين قرأوا قشوراً فى الثقافة ، وسبحوا فى مجار ثقافية ضحلة ، واستخدموا شعارات وتعبيرات وعبارات أفرنجية ، وارتاحوا إلى ما وصلوا إليه ، ورضوا عن أنفسهم واكتفوا بمشاهدة الحياة فى مصر من فوق رصيف مقهى « إيزافتش » ثم الدخول فى مناقشات عقيمة حول نظريات لا علاقة لها بواقع شعب مصر . لذلك كان الخلاف محتدماً ومستمراً بين جبهة المثقفين إياهم وبين محمد عودة ، وكان هذا مدخلى إلى محمد عودة . فذات صباح ، احتدمت المناقشة بين محمد عودة وثلة المثقفين إياهم ، وكان الحديث حول أم كلثوم وفنها وتأثيرها على وجدان الشعب المصرى وأثرها فى حالة الغيبوبة التى كان يعيشها شعب مصر فى ظل حكومة باطشة وسفارة بريطانية حاكمة . كان رأى المثقفين إياهم ، أن أم كلثوم هى السبب فى كل ما يعانى منه شعب مصر ، فهى ترسم لهم بأغانيها واقعاً مخملياً لا صلة له بالواقع البائس الذى يعيش فيه .



محمد عودة

ووصفوها بانها « أفيون » لتخدير شعب مصر ولتمكين عصابة المستفيدين من دمه ، وكان رأى محمد عودة أن هذه مبالغة لا أساس لها فى الواقع ، وأنه حكم سهل توصلوا إليه لاراحة أنفسهم من دراسة المشاكل الحقيقية والأسباب الرئيسية فى تعاسة شعب مصر .

وانضممت فى المناقشة إلى رأى محمد عودة ، ولكنهم تغلبوا علينا بالزعيق واستخدام الشعارات والاستشهاد باقوال من هنا وهناك ، وينطقونها بلغتها الأصلية ويخلطونها بكلمات عربية .

واقتربت من محمد عودة أكثر عندما وصف شلة المثقفين إياهم بانهم جهلة . وكان ذلك الوصف من محمد عودة كافياً لتغيير فكرتى عن شلة إيزافتش .

شلة المثقفين

وأحببت محمد عودة أكثر عندما عرضت عليه انتاجاً لى فقراه باهتمام وأبدى إعجاباً شديداً بما قراه ، على عكس سلوك شلة « إيزافتش » عندما عرضت عليهم شيئاً من انتاجى ، فقد القوا نظرة خاطفة على ما كتبت ، ولم يوجه لى احدهم كلمة ثناء أو كلمة نقد وانشغلوا عنى بمناقشة قضايا العصر التى تبدأ من المشكلات التى خلفتها الحرب العالمية الثانية والأخطار المحدقة بالعصر النووى ، وتنتهى دائماً بمناقشة سلوك « مخالى » جرسون مقهى إيزافتش وموقفه الغريب لاصراره على تقاضى حساب الطلبات من شلة المثقفين قبل أن يغادروا المقهى ! ومنذ تلك اللحظة بدأت رحلتى وراء محمد عودة ، فى الصباح عبر شوارع القاهرة الأنيقة، ومساء عبر حوارى وأزقة القاهرة المعزية ، وكانت تنتابه حالة من النشوة وهو يجوب أزقة حي الجمالية وسوق السلاح فى القلعة

وكنت أتخيله فى تلك الجولات واحداً من المماليك الذين يحيطون بالسلطان المظفر واحياناً أتخيله فلاحاً هارباً من قريته إلى أزقة مصر هرباً من تحكم الملتزم وسياطه . كان يبدو كأنه قطعة من جسم الماضى انفصلت فجأة وسقطت فى عصرنا ، وهكذا كان محمد عودة ، حرب طاحنة بين ما يعرفه وما يمارسه ، بين أحلامه التى يحلق بها وواقعه الذى يزحف فيه ، بين طاقاته الذهنية وامكانياته المادية ، بين العصور التى يحيا فيها بخياله والبنسيون الذى ينزل فيه ! . ومن خلال محمد عودة تعرفت إلى عصور مصر الوسيطة وممالكها العظام وقادتها الفاتحين وسلاطينها المستبدين وحكامها الذين نصبوا المشانق ودقوا الخوازيق وفرضوا المكوس والرسوم وشربوا من دم الفلاحين وأكلوا من لحومهم !

وكما « جرجرنى » محمد عودة إلى حوارى مصر المملوكية ، « جرجرته » أنا الآخر إلى قهوة محمد عبد الله ، وأكتشفت أنه على علاقة بالكل ، وأنه قرأ لزكريا الحجاوى وأنور المعداوى وعبد القادر القط وأنه يعرف قدرات كل منهم ويعرف مواطن القوة والضعف لكل واحد من أعضاء الشلة ولكنه كان أقرب فى مزاجه وتكوينه إلى زكريا الحجاوى . وكان اختياره لزكريا الحجاوى هو اختياره لصف الصعاليك وأبناء الطريق الذين استطاعوا أن يقهروا كل الظروف ليصنعوا على مدى تاريخ مصر عبقريات أضاءت وسط الظلام والعفن والفساد . بدأ محمد عودة مترددا ليلا على قهوة محمد عبد الله ، ولم يكن يحضر وحده ، بل كان يحضر ومعه شلة من الشباب: محررون يحاولون العمل فى دور الصحف ، وشعراء يحاولون نظم الحرف ، وكتاب قصة يحاولون رسم هياكل لعوالم عاشوها أو شاهدوها أو حلموا بها يوماً ما .

كان بعضهم موهوباً ، وأغلبهم عديم الموهبة ، وكان بعضهم خفيف الدم ، وبعضهم ثقيلا لا تطيق الأرض حمله على ظهرها ، ومع ذلك كان عودة يحتضن الكل ويرعى الجميع ، وكان بمثابة الأب الروحى وكان لا يكتفي بفتح الأبواب لهم ، ولكنه يتابع مسيرتهم ، ليس بالنفوذ ، فلم يكن له نفوذ على الاطلاق ، ولا بالنقود ، فلم يكن يحمل نقوداً على الاطلاق ولم يكن يملك منها شيئاً ، ولكن بالنقد والتشجيع ، وكنت أعجب كثيراً لهذا السلوك من جانب محمد عودة ، لأننى كنت الوحيد من أفراد الشلة الذى يعلم ظروف محمد عودة على وجه التحديد . ففى تلك السنوات الأولى من حقبة الأربعينات ، كان يسكن فى بنسيونات من الدرجة الثالثة وسط القاهرة ، وكان يختار بالذات تلك البنسيونات التى تملكها أرامل أجنبيات اضطرتهن الظروف إلى تحويل شققهن إلى بنسيونات لمواجهة أعباء الحياة . ولكن الصحافة فى مصر فى تلك الأيام كان اعتمادها على أقلام بعض النجوم ، بينما ينسحق فى قاع المهنة مئات من الموهوبين والمثقفين وأصحاب الأحلام والآمال . ولقد شمل هذا القانون محمد عودة كما شمل الآخرين ، ولذلك كان يضطر أحياناً إلى الانتقال من بنسيون إلى آخر ، أحياناً فى وضح النهار وغالباً فى جنح الليل ومن الأبواب الخلفية .

رحلتى العجيبة

فى تلك الغزوات كان عودة يختار العبد لله لمساعدته فى عملية الهروب من بنسيون لآخر ، وكانت مهمتى تنحصر فى إخلاء الغرفة من الكتب ، وكانت عملية اخلاء الكتب وحدها تستغرق أسبوعاً كاملا فقد كانت الكتب هى كل ثروته فى الحياة . وكانت مجرد صدفة بحتة أننى عثرت على كتاب من كتب عودة أثناء عملية من عمليات النقل ، هذا الكتاب هو « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » لابن إياس ، وقررت أن استعيره من عودة دون أن أخبره ، ولزمت بيتى أسبوعاً مع بدائع الزهور ، وعشت مع الرحلة العجيبة التى عاشتها مصر فى

كاتب كبير ورحلة بلا متاع!

عصور سابقة ، من السلطان برقوق إلى المملوك حمص اخضر و شمخت بأنفى فى حروب النصر ، وطاطات رأسى فى معارك الهزيمـــــة ووددت لو انحنيت أمـام السلطان قطز اعترافا بفضله فى ابادة جنس التتـــار من على ظهـــر الارض ، وأمـــام الملك الظـــــاهر بيبرس ، البطل الذى جعل مصر منارة وحولها إلى قلعة ، وتمنيت لو كنت طبيباً لاقوم بتشريح قلب وعقل الزينى بركات الذى اشتغل مع عشرة حكام وجلس يصدر الاوامر والنواهى من نفس الديوان فى خدمة عشرة عهود ، وكان دائماً مع المملوك الحاكم وموظفاً سابقاً فى خدمة المملوك السابق ، وعلى رأس حكومة المملوك الآتى !

وكان هذا الكتاب هو بابى إلى رحاب مصر المملوكية ، ومن بعـده توغلت فى أزقتها ، وحواريها وقصورها ، وساحاتها ، وكانت مكتبة محمد عودة المتنقلة من بنسيون لآخر هى زادى الذى تسلحت به فى رحلتى الطويلة الحافلة بالاسرار والحكايات والاعاجيب .

وذات مساء ، غادرت مقهى محمد عبد الله مع محمـد عودة ، فى رحلة قصـيرة إلى حي الدقي الفاخر ، باعتبار ما كان فى تلك الأيام ، كانت بالنسبة للعبد لله سهرة إلى مجهول . وعندما دخلت القصر الذى سنقضى السهرة فيه ، أحسست برجفة وانتابتنى قشعريرة ، فلم يكن قد سبق لى الدخول فى مكان مثل هذا من قبل . قصر من القصور التى تظهر عادة فى السينما ، تحوطه حديقة مترامية الأطراف ، أشجار النخيل عالية ومتناسقة ، كأنها صف من الجنود اختير بعناية لاستقبال عظيم ، ورائحة الورد يعبق فى الجو ، والاضواء التى تتلألأ من داخل القصر تضفى على الجو كله مزيداً من الفخامة والابهار ، وفكرت فى الانسحاب واعتذرت لمحمد عودة بحجج واهية ، ولكنه أصر على اصطحابى الى داخل القصر ، وبث فى نفسى الشجاعة ، وكسر الحاجز النفسى الذى كان يفصل بينى وبين هذا الجو الجديد . وعندما خطوت الخطوة الأولى داخل القصر ، اكتشفت عالماً آخر لم أشاهده من قبل ، عالم من الراحة والرفاهية والثقافة والموسيقى ، عالم غريب خلا من العقد ومشاكل الحياة اليومية ، عالم كنت محتاجاً إليه لأعرف بالضبط ما يدور على الشاطىء الآخر من الحياة . ولكن ما دار داخل القصر تلك الليلة كان أغرب من الحقيقة ومن الخيال .

حالات تستحق التشجيع

كان القصر الذى دخلناه آية فى الترف والأناقة والجمال ، ولم أكن قد رأيت قصراً مثل هذا قط ، ولم يكن فى القصر سوى سيدتين المانيتين فى الخمسين من عمرهما وان كان يبدو عليهما أنهما فى الأربعين . وقد سهرت تلك الليلة سهرة ممتعة استمعت فيها الى موسيقى بتهوفن وباخ ، وقد تبادلنا العزف على البيانو بينما كانت الأنوار الخافتة تضفى جواً ساحراً على المكان .

وتناولنا عشاء شهياً ، وكان الحديث يدور بالفرنسية التى لا أعرفها ، واضطرت احداهما إلى التحدث معى بانجليزية ركيكة ، ولكنها اضطرت إلى استعمالها مجاملة للعبد لله الذى كان يجلس أثناء الحديث كثور الله فى برسيمه !

كنت فى الثانية والعشرين من عمرى ، وكنت خجولا بالرغم من طموحى واقتحامى وقد نغص على خجلى تلك الليلة الرائعة ، والسبب أن هندامى لم يكن لائقاً وحذائى لم يكن نظيفاً ، وتصورت طوال السهرة أن السيدتين تحدقان فى ملابسى وتشمئزان من منظرى ، وعندما صارحت محمد عودة بعد السهرة بحقيقة إحساسى ، نظر نحوى باندهاش ، وأكد لى أنهما سرتا جداً لوجودى وأنهما لم تلتفتا إلى شىء مما أعانيه ، وأن هذا النوع من الناس لا يستوقفه منظـر الانسان ولا هندامه ، وأن الأوربيين خصوصاً لا يقيمون وزناً لمثل هذه التفاهات التى تتحكم فى حياتنا وفى مصيرنا أيضاً فى شرقنا السعيد !

وشحنتني كلمات عودة بثقة زائدة ، ولذلك كانت السهرات المتتالية ممتعة للعبد لله ، وقد تخليت عن خوفي وخجلي ، واندمجت في الجو الجديد الذي قادني اليه محمد عودة . ولم أكن أنا وحدي الذي يختصه عودة بهذه السهرات التي تفتح أمام الشخص المبتدىء آفاقاً جديدة ، كان يصطحب معه في سهرات أخرى ، آخرين لهم نفس الظروف ، كان احدهم شاباً ريفياً ساذجاً ، وكان عندما يصاب بنزلة برد ، يلف حول رقبته منديل جيب أبيض مبللا بالماء ، عادة من عادات البيئة التي جاء منها الاديب الريفي اياه ، وكان العبد لله دائم السخرية من الأديب الريفي الشاب وبطريقته الخاصة التي يتناول بها الاشياء والحياة . وكان محمد عودة على العكس يرى في كل محاولة حالة تستحق التشجيع وبذرة تستحق الرعاية .

ولعل من أجل هؤلاء الشبان الذين يتزاحمون على أبواب الصحف ، ويقفون في طوابير أمام الحياة الأدبية ينتهزون فرصة ويتشبثون بأمل . لعل بسبب هؤلاء ، كان محمد عودة مرفوضاً عند أغلب أدباء الجيل الكبار ، فما من مرة دعي الى منزل أحدهم ، إلا واصطحب معه عدداً من هؤلاء الشبان ، وكان بعضهم كما قلت ثقيل الظل ، ولم ينقطع عودة عن تلك العادة حتى الآن .

ما بعد الهزيمة

وعندما قامت حرب فلسطين تحمس لها عودة بشكل خاص ، كان يرى أن الحركة الصهيونية هي امتداد لكراهية أوروبا ومن بعدها أمريكا للشرق العربي . عندما انتهت الحرب بهزيمة الجيوش العربية ، أصيب عودة بخيبة أمل واعلن رفضه لكل شيء وأي شيء . كان مؤمناً بضرورة التغيير وحتميته أيضاً ، وكان مؤمناً بحزب الوفد ، ولكنه كان يائساً من استطاعة حزب الاغلبية القيام باي عمل حقيقي لقلب الأوضاع في مصر لصالح الناس ، كان يرى أن حزب الوفد قد ترهل ، وان الاجنحة المتصارعة داخله قد انتهت بهزيمة الاجنحة الشابة وانتصار جناح الكبار وابناء العمد والبيوتات العريقة في ريف مصر . وكان من رأيه في تلك الأيام أن المثقفين قد انفصلوا عن واقع الحياة في مصر ، وعاشوا فى بروج عالية وانهمكوا فى مناقشة نظريات لها وجود فى الكتب وان لم يكن لها وجود في حياة الناس .

وكان يرى أن الوقت قد حان لحسم الأمور لصالح الطبقات الفقيرة والمجهدة ، ولكن كيف ؟ كان عودة يردد في حيرة دائماً .. سيحدث التغيير حتماً ، ولكن كيف ومتى هذا هو السؤال .

وفجاة اختفى محمد عودة من القاهرة ، ومن مصر كلها ، طار الى الهند ليعمل هناك وغاب فترة طويلة ، وعندما عاد كان كل شيء قد تغير في مصر وفي عودة ايضا !

كان في مصر نظام جديد بقيادة مجموعة من ضباط الجيش،وطنيون بالتاكيد ، وان كانت السبل التي يسلكونها غير واضحة المعالم ، ولكن عودة كان متفائلا بالتغيير ، وكان يرى أن ابواب مصر قد انفتحت على افاق لا يعلم مداها إلا علام الغيوب ، ولكنها حتماً ستتطور وتنتهي الى صالح الجماهير .

ولكن فجاة حدث لعودة ما حدث لكل المثقفين الوطنيين الذين أيدوا الثورة في بدايتها بالقلب وليس بالتقارير ، وكان اختلاف الضباط في القمة وصراع السلطة الذى نشب بينهم منذ أول يوم ، كان قد فتح باباً أمام تسلل عناصر تزحف كالدود ، وتفح كالافاعي ، وسيطرت هذه العناصر على معظم ضباط القيادة ، واصبح الشعار:من ليس معي ، فهو ضدي . والقي القبض على عودة في ازمة مارس ١٩٥٤ ، وغاب شهوراً في السجن ، وعندما عاد ، كان شديد القرف من كل شيء ، شديد القلق بالنسبة للمستقبل ، ولكنه لم يغير عاداته قط ، الطواف بشوارع القاهرة نهاراً ، والتسكع في ازقتها ليلا ، والتهام الكتب التي بين يديه ، وتوزيع عطفه وحنانه على كل الذين يصارعون على بداية الطريق .

موقف وموقف

وفي عدوان عام١٩٥٦ ، كان محمد عودة معي في بيروت . والحق اقول انه الوحيد بين الجميع الذين كانوا هناك ، الذى لم تخطيء بوصلته هدفها قط ، اعلن منذ أول لحظة وقوفه الى جانب عبد الناصر وثورة مصر ، وكان يرى أن الغزو الفرنسي البريطاني سينتهى بدحره ، وان عهد كرومر قد ولى ، وان عصراً جديداً قد اشرق على العالم ، وان ثورة مصر كانت الناقوس الذي دق ايذاناً ببدء العصر الجديد . وراح يكتب في الصحف ويناقش في الاجتماعات ، وعندما أصدرنا جريدة الجمهورية (طبعة بيروت) لم ينقطع يوماً عن الكتابة ، ولم ينقطع يوماً عن الحضور ، ولم يفتر حماسه في وقت تردد فيه آخرون انتظاراً لظهور نتيجة المعركة . لم يكن أحد منا يتقاضى أجراً ، ولم نكن نجد ما ناكله احياناً ، وكنا نتقاسم السيجارة اغلب الوقت ، وكان في بيروت وقتئذ كاتب مصرى جهير الصمت ، شهير الاسم ، الى جانب عمله كاستاذ بجامعة القاهرة وكان ينزل في فندق فخيم ، ويعيش عيشة السولح ، وعندما طلبنا منه مقالة ضد الغزو ، اعتذر بانه مريض ولا يقدر على الكتابة ، ولكن عندما انتهت المعركة لصالح مصر ، أرسل الينا مقالا من نار ضد الاستعمار ، ومقالا آخر كله نفاق عن بطولة عبد الناصر ورفاقه ، ولم ينس أن يؤكد للقراء ثقته المطلقة فى انتصار ثورة مصر . أغرب شيء اننا عندما عدنا الى القاهرة بقي محمد عودة في الظل وارتفع الآخر على رأس الموكب وسافر على رأس وفد مصري فى مهمة وطنية فى بلاد العالم ! وعندما جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن في عام ١٩٥٩ كان عودة موضع هجوم شديد من بعض التنظيمات السياسية ، لانه لم يذهب معهم الى السجن ، ورموه بكل تهمة ، واتهموه بكل نقيصة ، وبالرغم من ذلك ، ظل خط عودة هو الخط الوحيد الصحيح ، هكذا برهنت الأيام بعد ذلك . وبينما أثرى عشرات من الذين هاجموه وركبوا الموجة واحترفوا الهتاف ، ظل عودة يكتب ويقرأ ، ويسحب وراءه جيشاً من المواهب الجديدة ، مقتحماً بهم السهرات والعزومات ماسحاً على جراحهم مشجعا اياهم بكلماته المتفائلة وثقته الزائدة بنضارة المستقبل وبالرغم من كل شيء .

درة ثمينة

كان عودة قد أحدث دوياً في مصر بكتاب صغير الحجم كبير القيمة عن الصين ، وكان بحق نموذجاً في فن الكتابة السياسية كما كان درساً في كيفية تحويل السياسة الى اشعار . كان مستوى رائعاً لأول مرة في العربية ، كان في مستوى ما كتبه ستيفان زفايج واميل لودفج ، وقد بهر الكتاب الجميع ، اليمين واليسار والوسط ، وكان كل ما تقاضاه عودة عن هذا الكتاب ثلاثين جنيهاً مصرياً والشهرة والذكر الحسن ! وطبعاً نشر من الكتاب عدة طبعات ، وبالرغم من ان عودة أصدر كتباً عديدة بعد ذلك ، إلا أن كتابه الأول عن الصين ظل هو درته الثمينة ، وبالرغم من نقائه واخلاصه وبراءته التي تشبه براءة الأطفال ، إلا انه لم يصل حتى في المهنة التي احترفها طويلا وعانى بسببها كثيراً ، وكان مؤهلا لها احسن تاهيل ومسلحاً لها بكل الاسلحة ، لم يصل فيها الى بعض ما وصل اليه تلاميذه والذين تعلموا على يديه .

ملحمة ومأساة

أذكر فى العام ١٩٦٧ أننى ذهبت لمقابلة احد المسئولين ورشحت محمد عودة لتولى منصب رئيس تحرير جريدة لم تكن منتشرة ولم تكن مؤثرة وارتسمت على وجه المسئول علامة لم افهم مغزاها ، وتساءل فى دهشة ممزوجة بالاستنكار «محمد عودة ! » ورحت استعرض تاريخ عودة واعدد ماثره ، وفى النهاية اكتفى بان هز راسه ولم يقطع بشيء وبعد هذا اللقاء بايام اختير صحفى باهت اللون والطعم ممسوح الاتجاه ، لم يكن يعرفه احد فى مصر خارج دائرة اسرته ، اختير رئيساً لتحرير الجريدة ، وبقي متربعاً على قبرها ست سنوات طوال . والسبب أن محمد عودة كان يعقد صلاته بالناس « اللى تحت » وكان عزوفاً عن الاتصال بالناس « اللى فوق » لم يكن من شلة احد ، ولم تقع عينى عليه فى حفل رسمى ، ولم أشاهده قط فى مكتب مسئول ، ليس ترفعاً من عودة او استنكاراً او خصاماً ، ولكن هذه هى طبيعته ، يختنق من الإماكن الرسمية ، ويضيق بالخطوات المنضبطة ، ويكره الانتظام فى صف . واذا كان هو الكاتب الوحيد الذى لم يتربع على منصب فى عصر عبد الناصر، ولم ينم اجتماعياً إلا بالقدر الطبيعى والمرسوم ، فما حدث له بعد وفاة عبد الناصر يصلح ملحمة تحتاج إلى شاعر شعبى ومطربة شعبية ليطوفا بها فى الأسواق ، وليقصوا احداثها على مسامع الفلاحين فى الحقول ، وهى الملحمة التى انتهت بماساة ونزول عودة ضيفاً على السجن وهو فى سن المعاش ،ولكن تلك الأيام التى قضاها محمد عودة فى مصر بعد وفاة عبد الناصر وحتى لحظة دخوله السجن ، كانت هى أكثر أيامه حركة واشدها حرارة ، واغزرها انتاجاً ، واثقلها مصائباً ، واعنفها احداثاً ، ولكنه ظل متشبثاً بالأرض ، لم يفكر مرة واحدة فى أن يغادرها إلى الخارج ، واعتصم بالله والوطن وباهله من ابناء الشعب ، ولكن هذه قصة أخرى .

محمود السعدني

الأكجور الكبير

● الكجور الكبير عند قبائل جنوب السودان معناها : الساحر الكبير ، وعبارة « الكجور الكبير » مشهورة ومعروفة فى السودان كله .

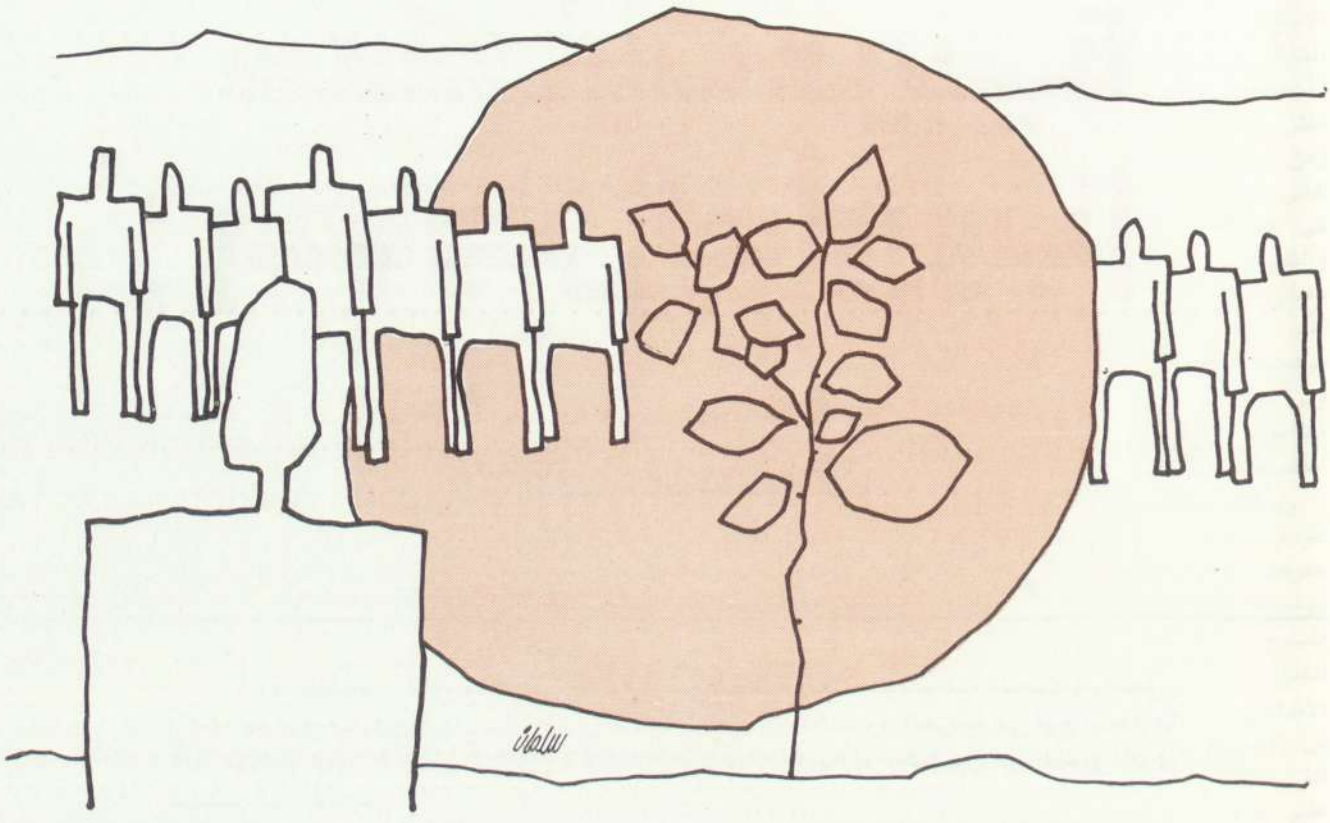
قصة بقلم : علي حمد إبراهيم

قلت لك أن ذلك حدث بالفعل ، وبمثل تلك التفاصيل تماماً . تعرف المدينة الجميلة جيداً . انها لا تزال تتوسد ضفاف البحيرة المدهشة ومازالت تحتضن تلالها المحيطة بحرص شديد ، كمن يخشى على ذلك الجلال من الضياع . وجدان تلك المدينة الافريقى تعرفه وخاطرها المرهق بالذكريات والشجون . شهور عديدة منذ ان وضعت الحرب أثقالها . لقد سكتت المدافع المجنونة عن الهدير ، ولكن المدينة المرهقة لم تسكت عن الأنين والبكاء . لقد كان الأرث الحربى عظيماً ، وباعثاً على الاحتراق والتلاشى . انها لم تزل تحدث بصور الرعب الذى اصاب الناس ، وبجنون الرصاص الطائش . ولأن فضاء المدينة مازال مشحوناً بالخطر ، فان عدداً قليلا من الناس استطاع أن يتغلب على مخاوفه ويعود . طرقات المدينة التى تعرف ازدحامها مازالت موحشة الا من عدد قليل من بعض الغرباء والقطط البدينة . لعله توافق غريب حقاً .

صحيفة المدينة الوحيدة مازالت تنشر على الناس صور الدمار والقتل الذى اصاب المدينة . هى تفعل ذلك منذ بعض الوقت لاقتناعها بأن معظم قرائها لم يكونوا من شهود العيان للذى حدث فى المدينة . فقد هربوا منذ الطلقة الأولى الى اماكن تأمن الأرواح فيها عاديات الموت القصير .

الصور التى تنشرها صحيفة المدينة معبرة وناطقة بشكل غير عادى ، فهى تعطيك انطباعاً بان جميع المقتولين ماتوا وهم يضرعون لقاتليهم أو كانوا يحاولون استخراج صرخة مكتومه لحظة وقوع القتل ايادبهم ضارعة الى أعلى فى توسل ورجاء ضائع ، وافواههم فاغرة يصفر من خلالها الريح . استوقفتنى من تلك الصور صورة راهب المدينة العجوز . لقد قتلوه فى منتصف الليل تماماً . ساعة الحائط القديمة كانت تعمل بعناد لحظاتها رغم تطاير زجاج واجهتها الامامية شظايا على أرضية الغرفة . وكانت (داليا) خادمته شاهدة العيان الوحيدة . لقد القت نظرة خائفة على سيدها الذى تكوم على الأرض فى بركة من الدماء والقت نظرة أخرى على ساعة الحائط . بعدها بثوان قليلة حملوا جثته خارج المنزل . كانوا مجموعة من الملثمين المدججين بالسلاح يرطنون لغة محلية لم تستطع استيعابها بالكامل . ولكنها استطاعت أن تلم ببعض العبارات التى تمجد (كالومى كوار) كجور القرية الكبير الذى قتلوه فى عقد مضى من الزمان ، قالوا ان الجماعة لم تقتله بيدها ولكنها جندت من قام بالقتل بصورة بشعة . نحن فى الغابة والجبل لم نكن نعرف هذا عندما كنا أمة عذراء تعيش سلوك الغابة والجبل . أربعون عاماً قضاها الرجل العجوز فى المدينة يعلم الناس طقوس الحب .

والأمل كان يدعو الناس لنصرة الضعيف والملهوف . اذكر ذلك الدرس اليومى الذى كان يعطيه للناس كل مساء . اذكر على وجه التحديد ذلك الجدل الذى ثار بينه



وبين أبى ، ذلك الشيخ المقيم على دينه بيقين قاطع كان الـراهب يقـول ان اى انسان لم يكن فى الاساس مجرماً ، ولكن ظروفا اجتماعية هى التى تجبر الناس أن يصبحوا مجرمين . كان الراهب العجوز يدعو الناس أن يكونوا رحمتاء بالمجرمين بسبب هذه القناعة . فقد كان

يقول أن المجرم الحقيقى هو الذى يرتكب جريمته وفق حسابات لا يمكن إلا أن تكون دقيقة وماكره . ان مثل هؤلاء المجرمين لا يسلمون رقابهم لمقاصل العدالة كما تسلم الشياه رقابها لقصابى الدرجة الرابعـة الذين لا يحسنون حتى الذبح . ابى كان لا يعجبه هذا العطف على بعض المجرمين المجرم فى نظره مجرم تحت جميع الظروف والاعتبارات ويجب أن يؤخذ بقوة حتى يجتث الاجرام من الغابة والجبل . ولكن الراهب العجوز كان يرد بان المجتمعات

الانسانية باشرت هذه القسوة مع المجرمين فى كل العصور ومع ذلك لم تسـتطع المجتمعات أن تجتث من على الأرض الاجرام أو المجرمين ، اذكر ذلك الجدل قلت لك . واذكر أيضاً أن غالبية الحاضرين كانوا يميلون الى رأى الراهب العجوز . .. ولكنهم قتلوه ببشاعة فظيعة . نحن فى الغابة والجبل لم نكن نعرف كيف نقتل بهذا الاسلوب . لقد رفض ان يسـلم (كوامى) لمطارديه وقد احتمى ببيته . لماذا تقتلون (كومى) المسكين . لأنه من اهل الطاغية . انها جريمة كبرى بالتاكيد » . كان يتوجب على اهل الطاغية أن ينجبوا رجلا اقل سوءا من ذلك الطاغية البدين . الرجل الملثم الذى كان يطارد (كومى) قال ذلك ولما ضحك زملاؤه فى الجريمة قال أنه لا يمزح ونعى عليهم انهم دائما يأخذون ملاحظاته ماخذ الهزل ، وكذلك اليوم الذى وعدهم فيه بانه عندما تحين الفرصـة سيعلق حبل المشنقة حول رقبة الطاغية البدين بصورة افضل من الطريقة التى علق بها رجال ذلك الطاغية حبل المشنقة حول رقبة ابن عمه الكاردينال . فى المحكمة وقف المتهم الأول يدافع عن نفسه ، قال أن اهل الراهب العجوز خدعوا اهله فى وضح النهار تماما . جـاؤا اليهم بذلك الكتاب ، وما هى الا ازمان قصيرة حتى اخذوا الأرض واعطوهم فى مقابلها ذلك الكتاب . ثم اخذوا يغتصبون كل شىء .. الخيرات كبيرها وصغيرها ، وكذلك النساء . وقال ايضاً أن اهل الراهب علموا اهله المسكنه حتى صاروا كالخراف الاسترالية : تاكل وتنام فينمو لحمها وشحمها ولا يكون فى مقدروها الا أن تسلم رقابها السميكة للقصاب فى خنوع ، دون أن يكون فى امكانها أن تجعر حتى . ولكن الذى اثار المحكمة والحاضرين : أن المتهم اخذ يغنى لنفسه وهو يداعب ابنته الصغيرة التى كانت من بين الحضور وهى ترقد على احضان امها . كان يغنى ويتمايل فى غير طرب .. لقد تذكرت (داليا) كلمات الاغنية من جديد .. فقد كان المتهم يغنى للغابة والجبـل .. ولكالومى كوار .. الكحور الكبير ..

منذ قرون وأوروبا تتلهف على أدب العرب

حكايات عربية تهاجر إلى أوروبا!

بقلم: الدكتور الطاهر أحمد مكي

يتفق الباحثون الأوربيون ممن يحترمون موضوعية العلم ، ومنهجية البحث ويرتفعون بأبحاثهم فوق مستوى العصبية أيا كان شكلها ، على أن الحضارة العربية فى أوج ازدهارها على امتداد القرن العاشر الميلادى ، كانت وراء نهضة أوربا،ثم يختلفون فى الطريق الذى سلكته الى بلادهم .

فالعالم الألمانى« هانز بروتس » يرى«أن الحروب الصليبية كانت العامل الوحيد وراء نمو أوربا خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، ومنها انبثقت كل العوامل التى أدت الى تكوين أوربا الجديدة ، أوربا عصر النهضة ، والاكتشافات ، وعصر الاصلاح » ثم يشير أيضاً الى أن اسبانيا وصقلية العربيتين كانتا مركزين هامين فى نقل التراث العربى الى أوربا ، ولكنه سرعان ما ينسى رأيه هذا ، ويجعل من فلسطين المصدر الوحيد .

ولكن ارنست بيكر محرر مادة الحروب الصليبية فى كتاب « تراث الاسلام » الذى أصدرته جامعة اكسفورد الانجليزية فى الثلاثينات يرى « أن هذا الزعم باطل ، لأن حركة المولدين والمستعربين فى اسبانيا وصقلية كانت أكثر نفاذاً ، وأوسع محيطاً ، وأبعد عمقاً ، ولو انه جاء متأخراً بعد أن حدث الاتصال بسبب الحروب الصليبية فعلا ، على نحو أو بآخر » ويرى « أن اللاتينيين فى سورية لم يستطيعوا أبداً أن ينفذوا الى وهج الثقافة الاسلامية ، على نحو ما فعل المسيحيون فى غربى البحر الابيض ، أيام تالق حضارة قرطبة ، وكل اسبانيا الاسلامية » .

ويرى آخرون : أن الحروب الصليبية كانت عاملا الى جانب عوامل أخرى عديدة أدت الى يقظة أوربا بعد سبات عميق .

وبعيداً عن هذا الصراع ، وهو قومى سياسى فى أبعاده ، يضع فى حسبانه الاعتراف بدور اسبانيا ، اسلامية أو مسيحية ، فى نهضة أوربا أو انكاره ، يمكن القول إن الحروب الصليبية لعبت دوراً حاسماً فى الجانب الدينى ، فهبطت بهيبة البابا وات الدينية ، وهزت نفوذ طبقة الرهبان وغذت الشك ، ودفعت بطبقات كثيرة الى التمرد على سلطان الكنيسة ولم تكن تجرؤ على فعل هذا من قبل .

وفى الجانب الاقتصادى والاجتماعى جاءت معها بمساواة أكبر بين الطبقات على نحو لم تعرفه أوربا من قبل . وأوجدت طبقة من الفلاحين الأحرار ومن الحرفيين . وازدهرت الصناعة ، ونمت التجارة ، وانتشرت النباتات والحاصلات العربية ، وشاع استعمال العقاقير المشرقية ، والتوابل ، وعرف الغربيون استخدام السكر فى الحلوى ، وكانوا قبل ذلك يستخدمون العسل ، وأدخل الصليبيون العائدون الى بلادهم عادة فرش البسط والسجاجيد على الأرض ، واستخدام الفراش ، واقتناء الجواهر ، وأدوات الزينة والمساحيق ، وأشياء أخرى كثيرة .

وفى مجال السياسة أدت الحروب الصليبية الى قيام دول ذات سلطة مركزية وادارة منظمة ، وقضاء مستقل ، وكان ذلك أمراً جديداً على أوربا فى العصور الوسطى لا عهد لها به من قبل .

لكن الأندلس ، أو اسبانيا الاسلامية اذا شئت ، أخذت الحظ الأوفر فى مجال الأدب والثقافة ، لأن انتشاره اذ ذاك كان يعتمد فى المقام الأول ، على الرواية الشفوية ، وينهض به الشاعر الجوال ،

وتحمله الاغانى فى رحلتها من الجنوب الى الشمال ، أو أهل الشمال حين يتدفقون على الجانب العربى فى الجنوب ، وهى أمور لكى تعطى ثمارها تتطلب القرب والتواصل والتعايش والتعاطف ، وسهولة وسائل الانتقال ، وأمنها ، وتوفير أدواتها ، وامتداد التلاقى واستمراره بين قطاعات عريضة فى المجتمعين ،وهو ما كان ممكنا فى الأندلس أكثر وأعمق مما كان عليه الحال فى المشرق ومن هنا يمكن القول أن العناصر الثقافية التى تكونت منها الحياة العقلية الأوربية فى مجالات الفكر والفلسفة ، والشعر والقصة ، فى القرن الحادى عشر وماتلاه ، وحتى فى الأدب المعاصر ، تعود فى جانب كبير منها الى الحضارة الراقية ، التى توهجت عند جيرانهم الاسبان المسلمين ، ومن هذه الأرض جاءتهم ، أو على أيدى أبنائها تعلموا ، سواء كانت ابداعا اندلسيا أصيلا ، أو مشرقيا وافدا .

ويمكن القول أن الشعر ، واعنى منه الزجل بخاصة ، القناة الأولى التى تدفقت عبرها ملامح التاثير ، فهو مادة الغناء ، ووسيلة الترفيه الأولى فى بلد لم يعرف المسرح ، ولهذه الدواعى كان اكثر الوان الفنون رواجا ، الى جانب أن الزجل الأندلسى جاء فى عامية أهله ، وهى خليط من العربية واللهجات اللاتينية العامية التى كانت تتحدث فى تلك الأيام ، وكانت على نحو ما اللغة المشتركة بين سكان الأندلس كله ، جنوبه الاسلامى ، وشماله المسيحى ، ويمكن القول نفسه ، فيما يتصل بالغناء ، وحتى بين سكان مقاطعة برو فانس فى جنوب فرنسا ، فليس شرطا لكى تستمتع بالاغنية أن تعرف كل كلماتها بدقة .

وكانت قرطبة عاصمة الخلافة ، مهبط الراغبين من أمراء الدول المسيحية واعوانهم ، والأغنياء والتجار ، يبحثون عن كبار الموسيقيين والمغنيين والراقصات لاحياء حفلاتهم فى الزواج والانتصار ، أو لتوشية قصورهم وحصونهم بالمغنيين والشعراء ، ولا يخالج أى باحث منصف الآن الشك فى أن الزجل الأندلسى وراء ازدهار حركة الشعر البروفنسالى فى فجرها والتى حملت اسم شعر التروبادور ، وشملت القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين .

وثيقة هامة فى الحكاية

مع الشعر نفسه ، أو بعده بقليل ، بدأت رحلة الحكاية العربية ، ومع أننا ، كما هو الحال فى الزجل أيضا ، نجهل الخطوات الأولى ، لكننا لحسن الحظ نملك مع الحكاية وثيقة بالغة الأهمية ، لا تتوفر لنا مع الشعر ، تحدد الزمن الذى اتخذت فيه الرحلة طابعا كتابيا ، ونشير الى المكان الذى بدأت رحلتها منه ، وعلى يد من تمت الرحلة .

أما المكان ففى مقاطعة أرجون شمال شرقى الأندلس ، وأما الوثيقة فهى كتاب « تربية العلماء » والفه يهودى أندلسي يدعى موسى سفردى ، ولد عام ١٠٦٢ م ، ومات فى تاريخ غير معروف ، واعتنق الكاثوليكية فى مدينة وشقة عام ١١٠٦ ، وحمل اسم بطرس الفونسو ، لأن تعميده تم فى يوم عيد القديس بطرس ، وكان فى الرابعة والأربعين من عمره ، وربما كان ذلك بتأثير من رهبان دير كلونى ، وهم طائفة من رهبان الفرنسيين الكاثوليك المتعصبين ، دخلت الأندلس فى القرن الحادى عشر الميلادى ، فى مملكة أرجون أولا ، ومنها الى بقية ممالك الشمال المسيحية ، ومارست على الحياة فيها نفوذا هائلا ، فنشرت التعصب الذميم ، وكانت وراء اضطهاد غير المسيحيين وجمع كلمة النصارى لمقاتلة المسلمين ، واذكاء روح العداوة والبغضاء ضدهم ، والاستيلاء على مساجد المدن التى سقطت فى أيدى النصارى وتحويلها الى كنائس رغم كل المعاهدات التى وقعت مع المسلمين .

وقد تبناه الفونسو المقاتل ملك أرجون ، والف الى جانب كتاب « تربية العلماء » كتبا أخرى فى الفلك ، واشتهر بكتاب آخر ، جاء فى شكل حوار ، وفيه يدافع عن المسيحية فى مواجهة اليهودية ، ولكن اقامته فى الجانب المسيحى من الأندلس لم تستمر طويلا ، لأننا فيما بعد سوف نلتقى به طبيبا لهنرى الأول ملك انجلترا (١١٠٠ ـ ١١٣٥) ، وكان الى جانب ذلك يتولى تدريس الفلك وتميز من بين تلاميذه الفلكى « ولتشر » رئيس دير ملفون ، ونقل الى هناك الأدوات التقنية التى كان يستخدمها العلماء العرب مثل الاسطرلاب ومقياس الزوايا وغيرها . ويهمنا من بين أعماله كتابه « تربية العلماء » .

يمكن القول ان كتاب « تربية العلماء » أول ماذاع فى أوربا للسيحية من القصص المستقى من أصول عربية ، وتدل الدلائل كلها على أن المؤلف كتب كتابه باللغة العربية أولا ثم ترجمه بنفسه الى اللاتينية ، لأن الأسلوب ، وبناء الجملة ، يحمل خصائص العربية ونسقها فى وضوح وهو مجموعة من القصص العربية القصيرة ، يختلف عددها من طبعة الى أخرى ، فاقلها ثلاثون ، واكثرها تسعة وثلاثون ، واعطاها العنوان الطموح الذى أشرنا اليه ، ورغم أن كلمة « كلريكالس » تعنى فى المفهوم المعاصر « الدينية » ، لكن الرجل لم يرد بها هذا المعنى الذى يرد فى الخاطر الآن ، وانما أراد بها معناها الذى كان رائجا فى العصور الوسطى ، وهو « العالم » فى مواجهة العامة ، لأنه بالكاد يحمل ملامح مسيحية اذا استثنينا المقدمة والعنوان .

ومع ذلك يمكن القول إنه توجه بكتابه هذا الى رجال الدين بوصفهم الطبقة المثقفة الأولى على أيامه ، والى العلماء فى الدول المسيحية ، وكان واثقا من أن الجو العربى الذى قدم فيه الكتاب لا يصدمهم ، أو يثير فيهم النفور والاشمئزاز ، وانما على النقيض ، يبدو لهم جوا مهابا ، وعالما جذابا ، لما كانت عليه الحضارة العربية اذ ذاك من رقي وازدهار ، ولم يدع ذلك لاستنتاج القارىء وذكائه ، وانما أشار اليه صراحة فى مقدمة الكتاب فذكر أنه صنفه من أمثال العرب ومواعظهم ، وحكم الفلاسفة ، والخرافات التى على لسان الطير والحيوان مما كان شائعا بينهم ، وكل ذلك لكى يتذكر الرجل العالم ، فى لطف ، كثيرا مما كان نسيه ، ويتربى ، ويتهذب ، ويتعلم .



ويتمثل الاطار العام الذى ضم هذه الحكايات الخرافية فى أن والدا أسماه « العربى » دعا ابنه فى لحظة احتضاره ليقدم له النصيحة ، وكما هو الحال فى معظم القصص العربية والمشرقية فى العصر الوسيط ، وفى الأمثال والحكم ، تنطوى دائما على معنى ظاهر غير مراد فى

حكايات عربية تهاجر إلى أوروبا!

كثير من الاحيان وعلى آخر خفي يلتقط من الفحوى ، وأبعد من المعنى المباشر ، وهو الذى تهدف اليه .

مقارنة عاجلة

لم يدرس أحد بعد مصادر الكتاب منهجياً ،وفى دقة وأناة ولكن المقارنة العاجلة بين حكاياته ، وبين الكتب العربية التي ترجمت الى اللغة اللاتينية او العبرية ، أو اللغات الاخرى ، في القرن الذي عاشه بطرس الفونسو ، وهو الثاني عشر الميلادي أو القرون التي تلته ، يمكن أن تعيننا على تحديدها ويمكن القول ان كليلة ودمنة في مقدمتها ، فقد نقل عنه معظم الكتاب ، ولابد أنه قرأه في اللغة العربية ، لأن اول ترجمة لكليلة ودمنة في أوربا تمت في ايطاليا ، وكانت الى اللغة العبرية ، وقام بها يهودي اعتنق الكاثوليكية يدعى جويل ، وشاعت في أول القرن الثاني عشر الميلادي ، أي انها كانت معاصرة لصاحب « تربية العلماء » ، وعنها تمت ترجمة الكتاب الى اللغة اللاتينية في اسبانيا ، في أواخر القرن الثالث عشر ، وقام بها يهودي آخر اعتنق الكاثوليكية ايضاً ، ويدعى خوان دي كابو ، غير أن الأسبان عرفوها قبل هذا التاريخ في لغتهم العامية ، في الترجمة التي أمر بها ألفونسو العالم ملك قشتالة عام ١٢٥١ م ، وهي أكثر دقة وأمانة ، لأنها من العربية الى القشتالية مباشرة ، في صورتها العامية ، قبل أن تصبح اللغة الاسبانية .

والمصدر الثاني لهذه الحكايات كتاب السندباد ، وعبر الى أوربا في شكل حكايات مستقلة ، قبل أن يصبح جزءاً من ألف ليلة وليلة ، عن طريقين : أولهما غربي ، عن طريق ترجمة يونانية ، اعتمدت السريانية ، التي كانت بدورها ترجمة لأصله العربي ، وعرفت منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، أي عاصرت مؤلف كتاب « تربية العلماء » ، وترجمت بعد عصره كاملة أو منقوصة الى القشتالية ، والعبرية ، والقطلونية . والطريق الآخر مشرقي ، وفيه ترجمت الى اللغات الأوروبية عن أصول فهلوية ، وفارسية ، وعبرية ، واسبانية ، وضاعت هذه الأصول كلها ، ما عدا الأصل الاسباني . وأمر بنقل هذه القصص من العربية الى الاسبانية الدوق فدريك أخو الفونسو العالم ، فنجزت الترجمة عام ١٢٥٣ ، وجعل عنوانها « مكايد النساء وحيلهن » .

وصورة الكتاب في أصله العربى ، أو في ترجمته الاسبانية ، تضم ستاً وعشرين حكاية فحسب ، تربط فيما بينها حكاية واحدة اساسية ، على نحو ما في الف ليلة وليلة ، وملخصها : أن فتى اتهمته زوجة أبيه بمحاولة اغتصابها ، فقضى أبوه بموته . ولزم الفتى الصمت ، وأجل تنفيذ الحكم سبعة أيام دارت المناقشات خلالها بين زوج الأب وسبعة من العلماء ، ومضى هؤلاء يقصون قصصاً تدور حول مكايد المرأة وحيلها وشذوذ طبعها ، وفي اليوم الثامن تنتهي المهلة التي كان طالع الفتى قد أنذره بشر مستطير ان تكلم خلالها ، ويباح له الكلام ، ويخرج عن صمته ، ويظهر لأبيه الملك براءته ، فيعفو عنه ، ويلقي بزوجه في النار .

وهي قصص سطحية ، خفيفة ، لا تبلغ حد الخبث الجاسي الذي نجده في الخرافات الفرنسية ، أو القصص الوقح الذي نجده عند القصاص الايطالي بوكاشيو ، ولكنها مع ذلك ذاعت ذيوعاً عظيماً ، وترجمت الى العديد من اللغات الأوربية ، وسلكت طريقها في القرن التاسع عشر الى الاتجاه الرومانسي ، واصبحت تكون جانباً من قصصه ، في صياغة حديثة .

ويمكن أن نعد من اصوله ايضاً قصة « بولعام وبواصف » وهو كتاب تقبلته لغات كثيرة ، وعقائد متنوعة ، وكان دليل الحياة الزاهدة للبوذيين وللسيحيين والمسلمين واليهود ، ولا يقف تأثيره عند الأسطورة الرئيسية فحسب ، وانما يتجاوزها الى الأمثال الكثيرة التي تتناثر عبر النص ، وتمس الكثير من جوانب الحياة . والأرجح أن القصة هندية ، وسلكت طريقها الى الفارسية ، ثم الى العربية ، وقام بترجمتها من السريانية الى الاغريقية راهب يدعى يوحنا ، في مطلع القرن السابع الميلادي ، في دير بالقرب من القدس ، وعنه انتقلت الى عدد من اللغات الأوربية ، وبلغت اسبانيا في زمن مبكر ، وقد ترجمها يهودي من برشلونة يدعى ابراهام بن حداي الى اللغة العبرية ، في كتابه « ابن الملك والدرويش » ، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، واضاف عدداً من الامثلة لاتوجد في الأصل ، ووصلت إلى اللغة العربية في زمن قبل هذا ، وعنها انتقلت الى اللغة القشتالية ، فنجدها في كتاب « الاحوال » الذي الفه خوان منويل عام ١٣٣٢ وفي قصة « الفارس السفار » ، وكتبها مجهول في الفترة نفسها ، أعني مطلع القرن الرابع عشر الميلادي . ولكن الأصل الاندلسي الذي نقلوا عنه لما نعثر عليه .

والقصة في صورتها البدائية ، موجزة وقبل أن يلبسها أهل كل دين الثوب الذي يريدون . وموجزها أن ملكاً ولد له ابن ، فتنبأ له حبر منجم بأنه اما أن يبلغ مجداً خالداً ، ويصبح ملكاً عظيماً ، أو انه سوف يتنازل عن العرش ، ويعتزل الناس في صومعته ، ويصبح بوذا . ومن هنا حاول الوالد بكل الوسائل أن يجنب ابنه الشق الثاني من النبوءة ، فعزله في حدائق قصره واحاطه بكل المتع الحسية التي تحول بينه وبين الفكر والتأمل ، وتشده الى اللذات والبهجة وتجعله يجهل حقيقة المرض والشيخوخة والموت ، وتحجب بصره عن كل تعاسة في الحياة ، ولكنه خرج يوماً من سجنه الذهبي ، فاذا به امام اللقاءات الثلاثة الشهيرة : الهرم المريض ، وميت يحملونه الى القبر ، وزاهد شحات .

وتظهر في بعض فصول الكتاب أسماء أفلاطون وسقراط وديوجين ، والاسكندر الاكبر ، ولكن ذلك لا يعني تأثيراً اغريقياً أو لاتينياً مباشراً ، لأن هذه الأسماء معهودة لعرب العصر الوسيط ، ويتداولون اسماءهم كثيراً ، وارجح الظن عندي انه اعتمد فيما نقل عنهم على كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » لمؤلفه ابي الوفاء المبشر ابن فاتك ، وعاش في مصر الفاطمية في القرن الخامس الهجري ، والحادي عشر الميلادي ، وهو أوفى كتاب في العربية استقصى اقوال الفلاسفة والحكماء في القديم وعلى ايامه ، ويشغل فلاسفة الاغريق مساحة عريضة من صفحاته ، ورغم انه يعود الى نفس القرن الذي عاش فيه بطرس الفونسو مؤلف كتاب « تربية العلماء » ، الا انه سبقه في الحياة وفي التاليف .

وقد نال كتاب « مختار الحكم » شهرة واسعة فى حياة صاحبه ، فيما يبدو ، وكما سنرى ، وتمت أول ترجمة له الى اللغة الاسبانية ، ووصلنا نصها ، فى عصر الفونسو العالم (١٢٢١ ـ ١٢٨٢ م) ، وترجم فى الوقت نفسه الى اللغة اللاتينية فى ايطاليا ، على يد جوانس دى بروشيدا (١٢٢٥ ـ ١٣٠٢ م) وكان طبيباً وحاكماً على جزيرة بروشيدا ، ومتآمراً فى السياسة ، وعاش فى بلاط فردريك الثانى ، وكان حافلا بمن يعرفون العربية ، ويرجح الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى ، أنه

تم الترجمة وهو مقيم هناك .

ولكن تاخر الترجمة لا يعنى ان اسبانيا لم تعرفه قبل القرن الثانى عشر لان الترجمة تتم عادة بعد ان يشيع الكتاب فى لغته الاصلية بين من يعرفونها ، ويتسع صداه بين من لا يعرفونها ، وتصبح البيئة العلمية مهياة لاستقباله مترجماً ، والترحيب به . وارجح ان الكتاب عرف قبل ذلك بكثير ولا استبعد ان يكون ذلك فى حياة مؤلفه فى القاهرة ، وان بطرس الفونسو اطلع عليه فى اصله العربى ، وافاد منه ، وهو ظن يرجح به ، ويدعمه ما يذهب اليه العالم الفرنسى جاستون بارى ، المتخصص فى دراسات العصر الوسيط من ان هناك ترجمة بروفنسالية للكتاب ، تعود الى القرن الثانى عشر ، جاءت منظومة فى البحر السداسى ، وقام بها من يدعى بالدو بعنوان « ايسوب الجديد » ، وانها تمت من اصل لاتينى سبق ، كان ترجمة ماخوذة من الاصل العربى مباشرة .

اتجاه غير عربى

لم يخف بطرس الفونسو ان كتابه يقوم على اصول عربية ، وكان واثقاً ان مثل هذا التصريح يعطى الكتاب مزيداً من الشعبية ورغم نفور رجال الدين منه ظاهراً ، فقد كانت الثقافة العربية على ايامه فى اوجها ، فى الاندلس وفى مصر ، وفى المشرق على السواء . وهو لا يشير الى المسيحية فى ثنايا الكتاب ، باستثناء المقدمة ، وعنوانه بترجمته الحرفية هو « التربية الدينية » ولكن كلمة الدينية لم يكن يقصد بها على ايامه رجال الدين من احبار وقسس ورهبان وانما كانوا يعنون بها ما تعنيه الكلمة الانجليزية الآن من رجل عالم او باحث او اديب .

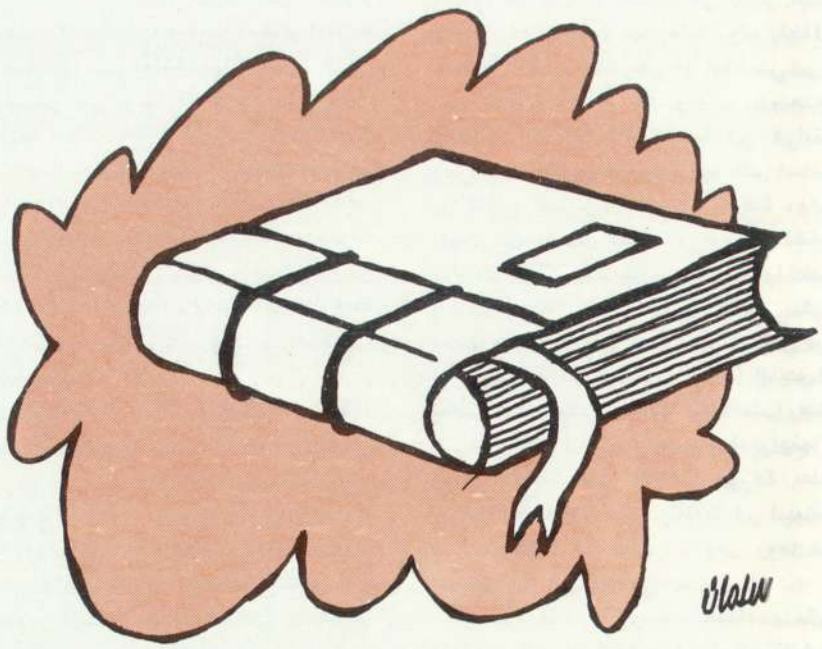
ويسمى بطرس نفسه « خادم المسيح » ويقول فى المقدمة انه الف الكتاب لكى يعرف المرء كيف يمضي حذراً فطناً فى هذا العالم ، على نحو افضل ، وبذا يامن السلامة فى الدنيا ويربح الجنة فى الآخرة ويرى من الضرورى ان يشير فى آخر مقدمته الى ملاحظة حذرة : « ان من يتصفح هذه الرسالة بعينى انسان ، وياخذ بظاهرها فحسب ، سوف يجدها شيئاً غير مناسب ، وحينئذ انصحه بان يقراها من جديد ، بعينين اكثر نفاذاً وفطنة » .

والحق ان اكثر هذه الحكايات ابعد من ان تبنى معها اخلاق ، او يؤمل اصلاح ، فست حكايات منها ، هى اطولها - وتمثل خمس الكتاب تقريباً - تدور حول اظهار خبث المراة ومكرها وخيانتها ، وهو اتجاه ليس عربياً فى اصوله ، وانما يعكس خصائص الادب الهندى ، وقد وفد الينا من هناك ، وسلك طريقه الى الادب الشعبى فى العالم العربى ، وهو جانب لما يدرس فى تاريخنا الادبى . ولايقف بطرس عند هذا الجانب ملمحاً او مشيراً ، وانما يفيض فيه ويطنب على ما سنرى ، وبخاصة ما اتصل منه بالجوانب الخاصة بخداع الزوجة لزوجها والمكر به .

كان بطرس يدرك واعياً انه يلتقط من الادب العربى موضوعاً لا يرحب به كثيراً رجال الدين المسيحيين على ايامه ، ويفضلون الا يكتب احد عنه والا يجرى الحديث حوله ، فقد كان المالوف بينهم انهم يفضلون ان يديروا ظهورهم لما يجرى فى الواقع ، شائعاً او نادراً ، وان يخلصوا جهدهم لما يجب ان يكون عليه الحال ، ممكن التحقيق او عسيراً ، او يدخل فى دائرة المستحيل ، وبخاصة ان بطرس لم يكن كاثوليكياً خالصاً ، وانما يهودى اصلا اعتنقها من قريب ، مما يلقى عليه كثيراً من الشبهات ، لان عدداً كبيراً من يهود العصور الوسطى اعتنقوا المسيحية فى اوربا تخلصاً من الاضطهاد ، وهروباً من الملاحقة ورغبة فى الامن ، وتحقيق غاياتهم البعيدة الى جانب ما يهدفون اليه من تدمير هذه المجتمعات من داخلها .

وايا ماكان فقد استخدم ثقافته العبرية السابقة ليحصن بها نفسه فى مواجهة اى اتهام يوجه اليه ، فاتكا على التوراة ، والبس حكاياته ثوباً اخلاقياً ، وذكر بان نبى الله سليمان لعن المراة الشريرة ، وفى الفصل الخاص بالامثال السائرة ، واورده فى اخر الكتاب ، جاء باثنين وعشرين مثلا في مدح المراة الفاضلة . ومع ذلك فالكتاب في مجمله يتحامل على المراة بقسوة لا مبرر لها ، ويخرج القارىء منه ، وهو على يقين بان المؤلف يكره النساء ، وابعد ما يكون عن امثال سليمان ، التي تضع دائما المراة الفاضلة القوية في مواجهة المراة الخبيثة الشريرة ، ومن حق الاولى ان تجد من زوجها الحمد والشكر ، ومن قومها الرعاية والتمجيد .

ولتكون لدى القارىء فكرة عن موقفه من المراة ، وعن طريقته الخاصة في القص ، اقدم ترجمة حرفية للحكاية العاشرة من كتاب « تربية العلماء » وتجيء مسبوقة بمقدمة وعظية بليغة ، على طريقة العصور الوسطى ، وحين يشعر القاص بان



حكايات عربية تهاجر إلى أوروبا!

الجمهور ، قارئا او مستمعا ، تغشاه السام واعتراه الملل ، يلقي اليه بالحكاية ، فيستعيد معها نشاطه ، ويسترد اهتمامه ، ويتابع القاص يقظا متحمسا :

« ذهب رجل في رحلة الى الخارج ، واوصى حماته بزوجته خيرا ، وفي غيبته احبت الزوجة رجلا اخر ، وافضت بذلك الى امها ، فاشفقت هذه على ابنتها ، وساعدتها في حبها ، ودعت حبيبها الى وليمة معهم ، وبينما ثلاثتهم ياكلون وصل الزوج فجاة ، وطرق الباب ، فاسرعت الزوجة وخبات حبيبها في غرفة النوم ، وفتحت للطارق فاذا بها امام زوجها .

وما ان دخل الزوج من الباب حتى امر بان يعد له سرير نومه ، فهو متعب من الرحلة جدا ، فاضطربت الزوجة ، ولم تدر ماذا تفعل ، ولكن الام توجهت اليها : لا تتسرعي يا ابنتي باعداد السرير ، قبله يجب ان يرى زوجك المفرش الجديد الذي طرزناه .

وجاءت العجوز بمفرش ، ورفعته من احد اطرافه ، واعطت الطرف الآخر لابنتها كي ترفعه ، ومن وراء المفرش مرفوعا بين الاثنين ليراه الزوج ،هرب الحبيب المختفي وهكـذا سخرت من الزوج ، وحينئذ قالت لابنتها : هيا ، افرشيه على سرير زوجك ، ثم اتجهت اليه :

ـ لقد صنعناه معا بيدي وبدها !

وقال الزوج :

ـ وهل تعرفين ياسيدتي كيف تصنعين مفارش جميلة مثله ؟ !

ـ آه يابني ! ، مفارش كثيرة مثله صنعتها بيدي هاتين !

والقصة كما ترى موجزة ، وسريعة ، تهتم بالجوهر ، ولا تقف عند التفاصيل .

ترجمة الحكايات العربية

هذه الحكاية بالذات اشتهرت اكثر من غيرها ، واخذت طريقها الى المختـارات القصصية في العصور الوسطى في كل اللغات الاوربية تقريبا ، وظلت تتردد على نحو واسع في الشفاه والكتب حتى القرن الخامس عشر ، واشهر مجموعات الوعظ والخطابة ، واكثرها شيوعا ، والفت في انجلترا وفرنسا في مطلع القرن الرابع عشر وجعلت منها حكاية رمزية ، فالرجل الذي رحل الى الخارج هو كل مسيحي ، لان الحياة في هذا العالم الفاني رحلة الى الآخرة ، وامراته رمز الشهوة والرذيلة ، وعودة الزوج الغائب رمز « الندم والتوبة والصيام والصلاة » ، والحماة السيئة رمز المعصية ، تعمي الانسان بمفرش العبث والشهوات ، وهكذا كل تفصيلات القصة اصبحت رمزا لخدمة الوعظ الكنسي وسوف نلتقي بالحكاية نفسها يرددها ثرفانتيس ، اديب اسبانيا الكبير (١٥٤٧ ـ ١٦١٦ م) في قصته « العجوز الغيور » .

اما حكاية الشاب الغيران الذى يحبس امراته في برج ، ويغلق عليها الابواب ، فتتركه في الطريق ، وتابى ان تفتح له الباب ، فسوف تصبح موضوعا محببا الى كثيرين من الكتاب فيما بعد ، وسوف نلتقي بها في الحكايات الخرافية الفرنسية ، ونجدها في مجموعة « الصباحات العشر » للاديب الايطـالي بوكاشـيو (١٣١٣ ـ ١٣٧٥ م) ، وفي مشهد من مسرحية «جورج وندان» للكتاب الفرنسي موليير (١٦٢٢ ـ ١٦٧٣) ، وانتقلت كذلك الى المسرح الشعبي الانجليزي ، وبين دعاة المثالية بخاصة ، كي يستخدمها رجال الدين المخلصين في تربية اتباعهم وتهذيبهم .

وثمة حكاية اخرى تدور حول الاخلاص في الصداقة حتى الموت ، وبطلها تاجر من بغداد واخر من القاهرة ، ونجد صداها في كتاب « الكوند لوكارنو » لمؤلفه خوان منويل (١٢٨٤ ـ ١٣٤٨) ، وهو حفيد الفونسو العالم ، ملك قشتالة الذى ازدهرت الترجمة من العربية في ايامه ، وتحت رعايتـه وبتشجيع منه .

ونلتقي بمصر للمرة الثانية بوصفها حلقة اتصال بين مغرب العالم الاسلامي ومشرقه ، حين نجد حاجا اندلسيا يودع كل ثروته امانة عند صديق له في القاهرة ، وهو في طريقه الى الحج . واما الحكاية السادسة فقد تناولت رسالة ارسطو الى الاسكندر الاكبر ، وتدور الحكاية العشرين حول طائر صغير يبحث عن الحرية ، فيحتال على الفلاح بعبارات ذكية ، حلوة عذبة ، حتى يفلت من الاسر ، وغيرها .

لقد كان بطرس الفونسو جريئا عندما اقدم على ترجمة الحكايات العربية دون ان يخفي اصلها ، او يلقي عليه ستارا ، وكان مراوغا حين قدمها نموذجا لاخلاق مسيحية ، من سار على هديها ربح الآخرة . وبهذا جعل الكتاب مرجعا هاما لكل خطباء الكنيسة ووعاظها ، يقتبسون منه ، وكان ذلك مصدر نجاحه الذي لا يبارى .

والى جانب ذلك لقي الكتاب باجمعه اقبالا شديدا من الناس عليه ، وذاع في بلاد شتى ، وترجم كله او بعضه الى العبرية ، وكبريات اللغات الاوربية ، كالفرنسية ، والانجليزية ، والالمانية والايطالية ، والاندلسية والقطلونية . بل ان لهجات مغمورة ، حظها من الادب والثقافة متواضع جدا تملك ترجمة لهذا الكتاب المثير ، مثل لهجة « بياران » ، وهي مقاطعة صغيرة في جنوب فرنسا ، تقع شمال جبال البرانس ، على الحدود بين اسبانيا وفرنسا وقد تلاشت لهجتها الآن تماما ، وظلت مخطوطة الترجمة قابعة في مكتبة مدريد الوطنية ، وظل الباحثون يعتقدون لزمن طويل انها في اللغة القطلونية ، ثم تبين انها كتبت في اللهجة المحدودة الانتشار جدا .

الأعلى صوتاً

لقد لقي الكتاب من اقبال الناس عليه ، ومن ذيوعه فى شتى البلاد واللغـات ما تحسده عليه الكتب الكبرى ، لان القراء وجدوا فيه حكايات صيغت في جنس ادبي جديد ، كان مجهولا لهم تماما ، ولم يتخلف عنه من الادب الاغريقي او اللاتيني شيء يستمتعون به او يقلدونه ، وسعدوا بحكايات تصور عالما جذابا في غرابته وطرافته ، وتقوم المسئولية فيه على اساس من المزاج العربي والفلسفة المشرقية . ومن المؤكد ان الاقبال عليه كان شديدا للغاية لان الناشرين المحدثين عندما قرروا طبع الكتاب وجدوا بين ايديهم قرابة ستين مخطوطة له ، تعود الى عصر لم تكن فيه اوربا تعرف المخطوطات على هذا النحو او تعنى بها ، وكان تداولها وقفا على رجال الدين ، وهم الذين يقراونها ويتداولونها ، وكانت مخطوطات الكتاب موزعة على خريطة اوربا كلها ، من برشلونة في اسبانيا حتى كركوف في بولندا ، ومن روما في ايطاليا الى اوبسالا فى السويد .

وسبق كتاب « تربية العلماء » بقية المؤلفات العربية الاخرى ، مثل السندباد ، وكليلة ودمنة ، في الترجمة والتاثير ، وكان اعلى صوتا من بقية المجموعات الاخرى ،

وكالاغنية تماما ، اجتاح الحواجز والحدود بلا صعوبة ، وانتشر بلا عوائق ، وبعضهم اخذه كلا ، فقد ضم سانتشيث دي فرثيال مادته الى مؤلفه « كتاب الامثال » ، مع تغيير في ترتيب الحكايات فحسب ، ونجد الجانب الاكبر منه في كتاب ايزوبيت المؤرخ الذي امر بترجمته الامير دون انريك ، دوق شقرب ، ونائب الملك في ارجـون ، وكان تقليداً لمجموعة لاتينية قام بها الالماني شتينهوفل ، ظهرت طبعتها الاولى في تاريخ نجهله ، ولكنها على اية حال لايمكن ان تذهب الى ابعد من عام ١٤٧٤ م .

وتتبع الذين نقلوا عنه ، او تاثروا به ، فوق طاقة مقال واحد ، لان صداه لا يقتصر على كبار الكتاب وحدهم ، وانما نجده عند كثيرين مغمورين ، بعضهم اخذ عنه نصا ، واخرون طوروا حكاياته لحسابهم ، وقلدوه في بنائه الفني ، فهو يسلك الايجاز في قصصه ، ويعني بالربط الذكي بين تفصيلاتها ، وخارج هذا قلما يعني بالشكل ويستطيع اي قارىء ، او قاص اخر ، او ناسخ ان يضع القصة في النطاق الذي يريد ، فاعانه هذا على ان يتكرر وينتشر ويصبح مغنما للاقتباس والتقليد .

وكما شاع في العصور الوسطى مخطوطا ، توالت طباعته في العصر الحديث وظهرت طبعته الاولى في الحدود الفاصلة بين العصرين الوسيط والحديث فطبع في اسبانيا عام ١٤٥٩ م ، ولما يزل المسلمون في غرناطة يقاومون في استماتة الحصار الذي ضربه عليهم ملكا ارجون وقشتالة ، وسوف يستسلم السلطان بعد عام ، وتسقط الدولة ، ولكن المسلمين ظلوا مواطنين من الدرجة الثانية الى ما بعد السقوط باكثر من قرن من الزمان .

وطبع النص اللاتيني مصحوبا بترجمة شعرية فرنسية تمت في القرن الرابع عشر عام ١٧٦٠ م ، وحملت عنوان « وصية والد لولده » .

وطبعته مرة ثانية جمعية محبي الكتاب الفرنسية عام ١٨٢٤ ، النص اللاتيني مصحوبا بالترجمة الفرنسية النثريـة التي تمت في القرن الخامس عشر الميلادي ، وصدرت بعنوان : « تربية العلماء » .

وطبع النص اللاتيني في برلين عام ١٨٢٧ ، وهو اكثر دقة من الطبعة الفرنسية وحمل عنوان الكتاب الاصلي « تربية العلماء » .

اما طبعات الكتب التي اقتبسته ، او تضمنته الى جانب مواد اخرى ، فكثيرة ، ويتطلب حصرها بحثا مستقلا .

الطاهر أحمد مكي

أخطاء لغويّة معاصرة

الدكتور عبدالله العبادي
جامعة قطر

بحريني :

المشهور عندنا في الخليج انهم ينسبون التابع لدولة البحرين « بحريني » اى تابع للبحرين ، وهذا خطا ، والصواب في نسبته الى البحرين « بحراني » وذلك من وجهين :

١ ـ إن الاسم اذا نسب الى المثنى ، فان علامة التثنية (الالف والياء) تحذف فنقول مثلا في النسبة الى زيدان ، وزيدين « زَيْدِيّ » اى ينسب الى مفرده فحسب دون زيادة .

٢ ـ إن النسبة الى البحرين جاءت على غير قياس ، فنقول في النسـبة الى « البحرين » بحراني ، والقياس أن يقـال « بحرىّ » اى ارجاعه الى المفرد وهـو « البحر » دون زيادة الالف .

هكذا جاء في كتب اللغة ، فيحفظ ، ولا يقاس عليه ، كما تقول في النسبة الى البصرة « بصرى » بكسر الباء والقياس « بصرى » والى الدهر « دهرى » بضم الدال والقياس « دهرى » بفتح الدال والى مرو « مَرْوَزِىّ » والقياس « مَروى » .

ونسبوا بحراني الى البحرين ولم يقولوا « بحرى » لئلا يلتبس بالمنسوب الى البحر ، فالنسبة اليه على الصحيح « بحرى » اما ما نسبه ابن سيده الى سيبويه والخليل من أن النسبة الى البحر « بحراني » فذلك غير صحيح كما نقل ابن منظور عن السهيلي ، وانما الذى قالوه هو نسبة « بحراني » الى البحرين وانه جاء على غير قياس كما في « صنعاني » . نسبه الى صـنعاء و « بهراني » نسبة الى بهراء ، والقياس أن يقال « صنعائي » ، و « بهرائي » .

ثوري :

ويقولون « ثوروى » بواوين ويقصدون الثائر المنسوب الى « الثورة » والصـواب « ثورى » بحذف الواو الثانية : ذلك ان علامة التانيث تحذف من المفرد في حالة النسبة اليه ، فالواو الثانية منقلبة عن التاء في « الثورة » فيجب ان تحذف ، كما تقول في النسبة الى مكة « مكى » والى المدينة « مدنى » والى قرية « قروى » والى جهينة « جهنى » .

ولا يلتبس هذا بالنسبة الى ثور فنقول كذلك « ثورى » لان سياق الكلام يحـدد المقصود لكل منهما .

سوية :

ويقولون : ذهبنا الى الجامعة « سوية » هذا اليوم، والصواب : ذهبنا الى الجامعة « معاً » هذا اليوم ، ذلك أن « سوية » : مؤنث « لسوى » والسوى من المكان المستوى المعتدل ، تقول هذا مكان « سوى » وهذه أرض سويه ، ورجل « سوى » الخلق ، وامراة سوية .

ويقال : هما على « سوية » في هذا الامر بمعنى مستويان ، وقسمت بينهما المـال « سوية » اى بالانصاف بحيث أخـذ كل حقه .

على سوى :

ويقولون : لم احصل سوى على تفاحة واحدة ، ولم اخسر سوى في سـيارتين ، والصواب : لم احصل على سوى تفاحة واحدة ، ولم اخسر في سوى سيارتين :

ذلك أن سوى لا تضاف إلا الى اسـم مفرد اى لا تضاف الى الحرف ، ولا الى جملة ، أو شبه جملة (الجار والمجرور والظرف والمظروف) فما بعدها يكون دائما مجروراً بالاضافة .

اما اذا اتيت « بالا » بدل سوى فان ذلك جائز ، فتقول : في المثال الاول : لم احصل الا على تفاحة واحدة ، ولم اخسر الا في سيارتين .

والمعنى واحد غير ان « سوى » اسم ، و « الا » حرف لا يضاف لما بعده .

من المسئول عن هذه الظاهرة الخطيرة في الجامعات العربية؟

بقلم: الدكتور عيسى الناعوري

فى تشرين الثاني عام ١٩٧٤ ، عقد فى عمان ، «اجتماع خبراء فى تعليم اللغة العربية لتحديد مشكلاتها ، وترتيب أولياتها ، واقتراح خطط لبحثها » . وقد أشرفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ الادارة التربوية ـ على هذا الاجتماع ، وكان مكان انعقاده مديرية المناهج فى وزارة التربية والتعليم الأردنية ، واستمر انعقاده من ٢ الى ٧ تشرين الثانى من ذلك العام . وخرج المجتمعون بتقرير نهائي ، وتوصيات .

وعلى الرغم من بعد المسافة الزمنية ، من عام ١٩٧٤ الى اليوم ، وهى عشر سنوات تبدلت فيها أشياء كثيرة فى العالم ، فان هذا التقرير يظل صالحاً لكى نعود الى المعالجات والآراء والتوصيات الواردة فيه ، والتى لا تزال الى اليوم « مكانك سر .. » من حيث التنفيذ العملي .

وها انا أعود اليوم الى هذا التقرير من جديد ، لأن موضوع اللغة العربية يهمني مثلما يهم كل غيور على هذه اللغة حريص على أن يراها فى أحسن حال من العافية والسلامة . وساتوقف عند بعض خطوات هذا التقرير ، لنرى كيف عالج الخبراء موضوع اللغة العربية ، وماذا استطاعت وزارات التربية والتعليم العربية ، وماذا استطاعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ وهي من أهم منظمات الجامعة العربية ـ أن تفعل ، وأن تحقق من توصيات هؤلاء الخبراء ، من أجل اصلاح حال اللغة العربية فى الوطن العربى .

وقبل أن أبدأ المعالجة ، احب أن أشير الى أن الاجتماع المذكور قد عقد بناء على توصية من مؤتمر وزراء التربية والتعليم فى البلاد العربية . ومعنى هذا أن الاجتماع كان نتيجة الشعور العام لدى أعلى المستويات المسؤولة فى الوطن العربى كله ، ممثلة بوزراء التربية والتعليم والجامعة العربية ، فمن المفروض أن يكون بالتالى ، موضع التنفيذ ، الذى هو بايدى هذه الجهات ، لا بايدى سواها .

سأبدأ اذن بمرافقة هذا التقرير النهائي الذى وضعه خبراء فى اللغة العربية وتعليمها ، يمثلون مختلف أقطار الوطن العربي .

يقول التقرير إن « وزارات التربية والتعليم والمعارف فى الوطن العربى ، دعت الى استخدام اللغة العربية باستمرار فى جميع مستويات التعليم ، والعناية بدراسة مشكلاتها » . وهذا ما أوصى به المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ، كما جاء فى التقرير .

ما الذى أنجز ؟

فهل تحقق هذا فعلا فى الوطن العربي ، فى (جميع مستويات التعليم) ؟

قد يكون تحقق فى المراحل قبل الجامعية وليس فى كل أجزاء الوطن العربى ، ولكنه حتما لم يتحقّق بعد ، ولا يزال يجابه بالرفض العنيد المستميت فى أغلب الجامعات العربية ، بل لعلي أقول فى كل جامعات العالم العربى ، باستثناء سوريا .

أوليست الجامعات العربية جزءاً من (جميع مستويات التعليم) ؟

واذا كانت مراحل التعليم قبل الجامعية لا تجد أدنى صعوبة فى تدريس جميع العلوم باللغة العربية ، فى جميع المراحل الدراسية ، فهل من المعقول أن يصيبها الاعياء والعجز فى المرحلة الجامعية وحدها ؟ وهل هى حقاً عاجزة عن الوفاء بحاجات الجامعات فقط ؟

الذين يقفون فى وجه اللغة العربية بعناد واصرار فى الجامعات العربية ، يدعون أن العربية عاجزة فعلا عن الوفاء بحاجات التعليم العلمى الجامعى . واما الواقع الذى استطاع أن يثبته مجمع اللغة العربية الأردنى ، بتجربته القصيرة فى ترجمة كتب العلوم الجامعية ، واستطاعت أن تثبته كذلك جامعة دمشق بتجربتها الطويلة ، فهو أن اللغة العربية جواد طيع وفي لكل الأغراض العلمية وغير العلمية ، ولكن بعض المسؤولين من أهلها يحاربونها ويصرون على أن يكون التدريس بلغة أجنبية ، وعلى أن تحرم اللغة العربية من حقها فى بيتها وفى أهلها . وهذا ، دون ريب هو التغريب بعينه ، وفيه الحرمان للطالب العربى من أن يفهم النص العلمي ويستوعبه ، ومن أن يستطيع فيما بعد المشاركة فى الابداع العلمي .

ومن المؤسف والمخزى والمحزن معاً ، أن

هؤلاء المتشددين فى محاربة اللغة العربية فى الجامعات ، قد استطاعوا حتى الآن أن يجمدوا العربية فى جامعاتهم ، ويمنحوا الحياة والازدهار للغات الأجنبية ، بعكس جميع الأمم والشعوب التى تحرص على أن تكون السيادة للغاتها القومية دون سواها ، فى كل جانب من جوانب حياتها العلمية والعملية ، والادارية ، والتقنيـة . أو ليس هذا مظهراً من مظاهر التخلف فى العالم العربى ، حتى فى أعلى مستويات الثقافة عندنا ؟

ويقول التقرير ، تعليقاً على قرار المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب هذا « ويدرك الخبراء أن هذا القرار له آثاره البعيدة فى حياة اللغة العربية ، لأنه ينقل السياسة التعليمية لهذه اللغة الى نطاق الوطن العربى كله ، ويربط تعليمها بالمفهوم القومى الواسع الشامل .. ووراء هذا الربط حفاظ على الشخصية العربية .. لأن اللغة العربية .. هى أقدر شيء على أن تحفظ لهذه الشخصية ملامح العروبة ، وسمات الدين ، وانطباعات الحيـــاة المشتركة .. وهى الامتداد الحي بين ماض مجيد ، وحاضر مكافح ، ومستقبل مأمول » .

كلام جميل وسليم جداً . ولكن ماذا كانت النتيجة خلال السنوات العشر التى مرت منذ أن اتفق الخبراء العرب على هذا الكلام الجميل والسليم ، ورفعوا توصياتهم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والى وزراء التربية والتعليم العرب ؟ ماذا استطاع الوزراء أن يفعلوا لتحقيق هذا الكلام ، وتحويله الى عمل ؟ وماذا استطاعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن تفعل ؟

لقد ظل الكلام الجميل كلاماً جميلا ، ولم يخرج عن حدود الكلام الجميل الى التطبيق فى الجامعات العربية ، على الرغم من أنها تقوم فى البلاد العربيـة ، وطلابها عرب ، والأغلبية الساحقة من هيآتها التدريسية عربية ، ومن المفروض أن تكون لغتها هى العربية ، ولا شيء غير العربية .

قرار سياسي

ويعود التقرير مرة أخـــرى ، فى التوصيات ، الى موضوع تعريب التعليم العلمى فى الجامعات ، فيقول :

« تدارس الخبراء مشـــكلة التعليم الجامعي والعالي ، وعدم استخدام اللغة العربية فى الكليات العلمية والتقنية فى كثير من الدول العربية .. وايماناً منهم بالأهداف القومية التى ترمي الى التخلص من آثار الفترة الاستعمارية السابقة .. واقتناعاً منهم بأثر العلم والتقنيات الحديثة فى النهضة الحضارية المرجوة .. وايماناً منهم بأن تعـــريب العـــلم لا يتعارض مع اتقان اللغات الأجنبية ، ومتابعة البحث العلمى والمشاركة فيه ، وانتفاعاً بتجارب الأمم الأخرى التى جعلت لغتها القومية لغة التعليم الجامعي ، دون أن تكون أرقى من الأمة العربية لغـــة وحضارة .. يوصون بما يلي :

١ ـ ضرورة اتخاذ اللغة العربية لغـة التدريس فى الكليات الجامعية والمعاهـد العالية .

٢ ـ أن تسعى المنظمة لاستصدار قرار سياسي فى هذا الموضوع على أعلى المستويات ، لوضع حد للتردد فى تنفيذ هذا المبدأ ، الذى أصبح ضرورة قومية أساسية ، وحاجة علمية ملحة » .

قضية تعريب التعليم الجامعي هى اذن (من الأهداف القومية التى ترمي الى التخلص من آثار الفترة الاستعمارية السابقة ، وما أحدثته فى الأمة العربية من عوامل الفرقة ، وضعف ثقتها بذاتها ولغتها) ، كما يقول التقرير .

فهل نفهم من هذا ـ استنتاجاً وتعقيباً ـ أن من يحاربون اللغة العربية فى جامعات الوطن العربى ، هم كلهم من الحريصين على بقاء الروح الاستعمارية التى أشاعت الفرقة فى الأمة العربية ، وأضعفت ثقتها بذاتها وبلغتها ؟ وهل نفهم من هذا ، بالتالى أن الاستعمار الأجنبي لم يخرج من الأرض العربية ، بل بقيت فيها جذوره فاعلة عن طريق أعداء اللغة العربية من المسؤولين فى الجامعات العربية ؟ وهل نفهم ، بالتالى أيضاً ، أن السياسة فى البلاد العربيـــة لا تدرك ذلك ، وأن السلطات العربية لا تريد لهذا الاستعمار الفكرى أن يزول ؟

اذا كانت الوسائل تؤدى الى الغايات ، فهذا هو المعنى الوحيد لبقاء اللغـــات الأجنبية لغات التدريس الوحيدة فى الجامعات العربية ، ولبقاء اللغة العربية غريبة فى بيتها وفى أهلها .

كان العرب المسلمون فى أسبانيا يتزوجون نساء أسبانيات ، الى جانب زوجاتهم العربيات المسلمات ، غير أنهم كانوا يميزون بين الأجنبية والعربية ، فيدعون الزوجة العربية (الحرة) ، تمييزاً لها ، واعتزازاً بمكانتها على الأجنبية . أما أعداء اللغة العربية من المسؤولين فى الجامعات العربية فليست لديهم هذه الروح العربية الأصيلة ، اذ جعلوا اللغة الأجنبية هى (الحرة) ، واللغة العربية هى (العبدة) فى البيت الذى كان يجب أن يكون لها وحدها ، دون سواها .

ثم يجيء الحديث عن (استصدار قرار سياسي) ، يعجل فى تعريب التعليم العلمى الجامعي . ولست أفهم للقرار السياسى معنى على الاطلاق ، اذ أن القضية قضية كرامة قومية وايمان قومى . انها من البدهيات التى لا تحتاج الى أكثر من أن يشعر المسؤولون بأنهم عرب ، وأن الجامعات عربية ، وفى بلاد عربية ، ويدرس فيها طلاب عرب ، لا أجانب . هذا الشعور وحده كاف ليجعل اللغة العربية هى لغة التدريس ، لا سواها . وما أظن الا أن الجامعات العربية تقوم على دساتير ـ مثل دساتير الجامعات الأردنية ، تنص على أن اللغة العربية هى لغة التدريس ، الا فى حالات استثنائية شاذة .. ويكفي عندئذ أن تطبق هذه الجامعات دساتيرها لكي توضع الأشياء فى محلها الصحيح .

اللغات الأجنبية

هذه كانت الخطوة الأولى فى التقرير . ثم تجيء الخطوة الثانية ، وتتعلق بتدريس اللغة الأجنبية فى مرحلة التدريس الابتدائية . ويقول التقرير :

« أن اللغة الأجنبية تزاحم اللغـــة العربية فى مدارس بعض الدول منذ الصف الأول فى المرحلة الابتدائية ، وفى بعضها فى الصف الثالث أو الرابع أو الخامس ، على حين ترجئها أكثر الدول الى المرحلة الاعدادية ، المتوسطة » . ثم يتحدث التقرير وراء ذلك مباشرة عن (ازدواج التعليم في بعض الدول) .

أنا أؤمن بأن لابد للطالب العربى من أن يكون عارفاً بلغة أجنبية ، الى جانب اتقانه للغته العربية . ولست أرى مانعاً من أن يبدأ تدريس لغة أجنبية ابتداء من الصف الثالث من المرحلة الابتدائية ، على أن لا يكون فى ذلك أي لون من ألوان (المزاحمة للغة العربية) ، فاللغة الأجنبية تدرس كلغة فقط ، وأما مواد الدراسة الأخرى كلها فتدرس بالعربية وحدها ، لكي يتمكن الطالب العربى من اتقان لغته أولا .

من المسئول عن

هذه الظاهرة الخطيرة في الجامعات العربية؟

وفى هذا المجال يجب أن يعتبر كل معلم نفسه معلماً للغة العربية ، سواء فى ذلك معلم الرياضيات ، ومعلم الكيمياء ، ومعلم الفيزياء ، ومعلم الأحياء ، ومعلم الجغرافيا ومعلم التاريخ . ومن الضرورى جداً أن يطلب الى كل واحد من هؤلاء المعلمين أن يكون متمكناً من لغته العربية ، لكي يستطيع أن يعطى دروسه بلغة عربية سليمة ، فهذه هى الطريقة الوحيدة لكي تصبح لغة الطالب سليمة كذلك .

العامية والمصطلحات العلمية

العربية الصحيحة هى التى ينبغي أن تكون لغة المدرسة : لغة الطالب ، ولغة المدير ، ولغة المعلم ، مثلما هى لغة الكتاب يجب أن لا يسمع الطالب فى المدرسة غير اللغة العربية السليمة ، حتى وهو فى الملعب ، مع زملائه ومعلميه . بذلك تقضي أصول التربية ، وهذا هو الواقع الذى تعيشه الشعوب التى تعرف قيمة لغاتها القومية ، وتحرص على شيوعها ، وعلى سلامتها . حتى المحفوظات والأناشيد فى صف الحضانة ، وصف البستان ، ينبغى أن تكون كلها بلغة عربية نقية . وينبغى أن تنتفى العامية انتفاء تاماً ومطلقاً من حياة المدرسة ، من أول يوم فى حياة الطفل ، الى اخر يوم فى حياة الشاب ، فى المدرسة ، ثم فى الجامعة .

فما هو الواقع فى مدارسنا ؟ وهل استطاع وزراء التعليم العرب ، بعد كل مؤتمراتهم ، وبعد كل التوصيات التى صدرت عنها ، أن يحققوا شيئا من ذلك ؟ وهل استطاعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؟ أم أن مدارسنا لا تزال تدرس حتى اللغة العربية الفصيحة باللهجة العامية ، وليس فى مراحل التدريس الدنيا فقط ، بل فى ما هو أعلى من ذلك ؟ ؟ ..

فما فائدة المؤتمرات اذن ؟ وما فائدة اجتماعات الخبراء ؟ وما فائدة التوصيات والقرارات ؟ وما فائدة كل المال الذى يسفح على المؤتمرات والندوات واجتماعات الخبراء ، اذا لم يكن فى النية العمل بها ؟

والخطوة الثالثة التى تعرض لها التقرير هى (المصطلحات فى المجال التعليمي) ، فقد رأي الخبراء أن هذه المصطلحات . «تختلف بين دولة واخرى» ، ولذلك أوصوا «بأن تعمل المنظمة على عقد مؤتمر للتربويين واللغويين لدراسة وسائل التقريب بين الخطط الدراسية للغة العربية .. والتوحيد بين المصطلحات التعليمية» .

ان قضية المصطلحات العلمية والتكنولوجية والتعليمية قضية معقدة ومهمة جداً ، ففى كل بلد عربي مصطلحات تختلف عن مصطلحات البلد الآخر ، والمشتغلون بوضع المصطلحات كثيرون جداً ، سواء على مستوى الأفراد ، أم على مستوى الهيئات والمؤسسات ، وليس بينهم أى اتصال للاتفاق على توحيد هذه المصطلحات ، بل إن الاتصال نفسه عسير أحياناً ، وقد يستحيل فى احيان أخرى .

لقد تعددت اللغات العلمية فى الوطن العربى ، بتعدد الجهات المشتغلة بوضع المصطلحات . بل قد تتعدد المصطلحات فى البلد الواحد ، لعدم وجود جهة تنسيق وطنية ، أو قومية ، تكون حلقة اتصال بين العاملين فى حقل المصطلحات .

حتى مجامع اللغة العربية ـ على قلة عددها ، ومع وجود اتحاد يجمعها من بعيد لبعيد ـ يعمل كل منها فى وضع المصطلحات على حدة ، دون تنسيق بينها ، ودون محاولة للاتصال والاتفاق على ما يشتغل به كل مجمع من مصطلحات . بل إن الكثير جداً مما وضعته المجامع منفردة لم يصل الى المجامع الأخرى ، ولا الى أيدى الناس ، ولذلك كانت الاستفادة من جهود هذه المجامع فى المصطلحات قليلة .

أين مكتب تنسيق التعريب ؟

ومكتب تنسيق التعريب ، الذى قام لغاية توحيد المصطلح العربى ، لم يستطع أن يصل بجهده ، بشكل نافع وكاف ، الى كل الجهات المشتغلة بالتعريب ووضع المصطلحات . ومنذ أن قام المكتب فى أوائل نيسان عام ١٩٦١ م . لم يعقد غير اربعة مؤتمرات للتعريب ، الأول منها هو الذى انبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب وثلاثة مؤتمرات فقط هى التى عقدت بعد انشائه . وقد اتفقت هذه المؤتمرات الثلاثة على عدد محدود جداً من جداول المصطلحات ، أو معجماتها . وسيعقد المؤتمر الخامس للتعريب فى أواخر هذا العام ، ١٩٨٤ ، فى الأردن ، وفى رحاب مجمع اللغة العربية الأردني ، للاتفاق على عدد أخر من المعاجم الجديدة .

لقد مر على انشاء هذا المكتب الدائم لتنسيق التعريب نحو اربعة وعشرين عاماً وهو يعمل باستمرار ، ويتصل بكل أقطار العالم العربى ، ويجمع المصطلحات من هنا وهناك ، وينسقها ، ويعقد الندوات للخبراء لمناقشتها ، ويستعين بالمجاميع اللغوية ، والجامعات ، والهيئات والمؤسسات العاملة فى حقل التعريب والمصطلح ، وباصحاب معاجم المصطلحات ، غير أن النتيجة لا تزال محدودة الفائدة جداً ، ولم تستطع مصطلحات المكتب المتفق عليها أن تصل الى الكتب المدرسية فى الأقطار العربية ، ولا الى حيز الاستعمال العام فى الوطن العربى . ولم يستطع المكتب ، رغم جهوده المشكورة ، أن يتوصل الى توحيد المصطلح العلمي والتكنولوجي ، وايصاله الى كل الجهات التى يمكنها أن تستفيد منه ، وعلى الأخص المدارس والجامعات .

فهل كانت العلة فى مكتب تنسيق التعريب ، وفى مجامع اللغة العربية ؟

فى يقيني أن العلة أوسع من ذلك كثيراً : العلة والعيب فى العرب أنفسهم ، فهم فى أقطارهم المختلفة يعملون ، فى الواقع ، على أساس أن كل شعب فى بلده يؤلف أمة وحده ، ولا يشعرون شعور الايمان بوحدة الأمة العربية . السياسة هى التى تطبع معاملاتهم ، بين بعضهم البعض ، بطابعها التفريقي . ولهذا لم يتفق قطران من أقطارهم على ثقافة واحدة ، ومنهاج تعليمي وتربوى موحد . حتى هذا اللون من الوان الثقافة ـ وحدة الثقافة ـ لم يستطيعوا ـ ولم يفكروا بعد ـ فى الاتفاق عليه . ومن هنا ليس غريباً أن يعمل كل قطر عربى عمله مستقلا فى مجال المصطلح العلمي والتكنولوجي ، كلون من الوان الاستقلال فى العمل ، قصدوا ذلك أم لم يقصدوه .

فهل من الممكن والمنتظر أن يجيء يوم بمعجزة ، يشعر فيه العرب بوحدتهم القومية ، فينطلق من هنا عملهم على أساس التنسيق ، والتكامل ، لأجل الوصول الى توحيد التربية القومية ، والثقافة القومية ، خطوة أولى الى تحقيق التكامل ، فالوحدة الصحيحة فى العمل القومي للجميع ؟

عيسى الناعورى

أسماء البلاد أساور الدّم

شعر: محمد الظاهر

راحلٌ انت في المدى ، حيث تمضى شهوةُ الموت ، والممالكُ تُقعى ككلاب اليفة ، خلعتها ، من ضلوع الشعوب خيلُ التردّى ورمتها وحيدة تتشظى فى فراغ الحروب تَرْتَدُّ وَهْماً ، ينشر الخوف فى عروق العواصمْ

موشك أنْ تقول : جُرحى حِصارٌ
وغبارُ الحروب رَوْثُ بهائم

خطف الجند بَرْقَنَا فانطفانا ، وقرانا كتابَنا غير أنَّا لم نجدْ فى الحروف وهجَ خطانا ، وافتقدنا دماءنا فانكسرنا ، واتخذنا من الخطاة رؤوساً ، ونثرنا على البلادِ الهزائِمْ

موسم الخوف والكوابيس ارضٌ
وانتحار الرمال سقف الجَرائمْ

اى جدوى من غَيْمَة نَصَّبَتْنا
فوق سطح البلاد حقلَ جماجمْ

لا تَبعْ للخطاة خيلك واسكنْ شهقةَ الرعد ، والتجيءْ حيث تمضى ، بقميص الشهيدِ الذى لم يُساوِمْ

هذه الأرض مهرةٌ ويَدَاها
فى سماء البلاد سربُ حمائم

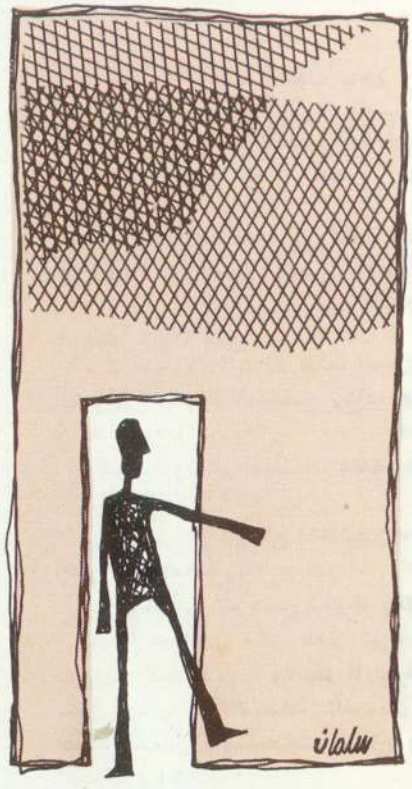
يدخل العاشقون منها إليها
فاعبر الآن فى ربيع المواسمْ

كل غيب فى دورة الروح موجٌ ، يغسل القلب من ظلال المعانى ، يطلق الريح فى المسافات ، تمحو آيةَ الرعبِ من شواهد عصرٍ ، دمهُ العرسُ والضّحايا الولائِمْ

حَرِّرِ الجَمرَ وانتسبْ للشظايا
واتّبِعِ النّسغَ وانتسبْ للبراعمْ

واملأ البحر بالمتاريس ، وانحتْ من صخور الجبال كهفاً واكمل بَزَقَ الطفل حين يمضي اليها ، حجراً ثائراً ، حديداً محمّى ، وازرع الحقد فى الخلايا ، وَفَجِّرْ مرجلَ النفيِ فى الجهاتِ لتقطفْ ، من حقولِ المُحالِ وردَ العزائِمْ

انتَ لا تملك الجهات ولكنْ
ذَرّةٌ انتَ فى البلاد تُقاوم



اللمسات الإنسانية في الأدب الشعبي العربي

بقلم : عباس خضر

يمتلىء أدبنا العربى الشعبى بقصص البطولات والأبطال الذين خاضوا الحروب وأحرزوا الانتصارات . والملاحظ ان تلك الحروب انما كانت حروباً دفاعية ، يتجه خط الدفاع فيها إلى أعداء العرب والمسلمين ، أولئك الاعداء الذين كانوا يغيرون على الحدود الاسلامية ويبطشون باهل البلاد ويقتلون النساء والأطفال والشيوخ ، فيهب العرب لقتالهم وردهم الى بلادهم .

وقصصنا تلك لم تخل مع ذلك من لمسات انسانية ، بل هى مملوءة بهذه اللمسات . فهى تقدم لنا البطل على انه انسان قبل اى شىء ، فاذا اضطرته الظروف القاسية الى القتال فانما ذلك يكون احقاقاً للحق وازهاقاً للباطل .

فى اكثر الاحيان تصور البطل شجاعا مقداما منذ مولده ،وفى احيان اخرى تفعل العكس ، فالولد جبان رعديد يخاف من ظله ، كما يقولون .ثم تتدرج به فى تصوير فنى ممتع حتى يصير من المغاوير الشجعان .

وفى خلال ذلك تعطينا اللمسة الانسانية التى تدل على ان الانسان انسان قبل كل شىء .

شريحة من ذات الهمة

هذه شريحة من « سيرة الاميرة ذات الهمة » الحافلة بالامجاد العربية .

كان لاحد القادة العرب ولد اسمه « ثعلب » نشا اول ما نشا على عكس والده « الحصين » الذائع الصيت فى الضرب بالسيف وصراع الابطال ، خاض المعارك بين العرب والروم ، واحرز فيها نصرا عظيما .

وتشاء المقادير ان يبتلى هذا القائد الشجاع بذلك الولد « ثعلب » الكسلان والجبان ، وقد حاول ابوه ان يدربه على القتال ،وكتب اسمه فى ديوان المجاهدين . وصار له بذلك خمسمائة دينار كل سنة ، ياخذها من والده كاى مقاتل فى الجيش . ورغم ذلك لم يكن يحضر حربا ولا ضربا ، بل كان يفزع اذا راى فارا فى الدار او سمع من الثور الخوار ،وبلغ من الكسل الى حد انه اذا كان نصفه فى الظل والنصف الآخر فى الشمس الحامية وهو نائم .. يكسل ان يزحف من الشمس الى الظل ..

ضاق « الحصين » بابنه ، وتحير فى امره ، ثم قال فى نفسه : ما اظن ولدى هذا يكون فارسا فى يوم من الايام ، فماله جراة على الحرب ، والقتال ، وليس لى الا ان ادفعه الى الفقيه « عقبة » ليعلمه القران وشيئا من العلوم .

ولله فى خلقه شئون .. فقد امات الله نشاط « ثعلب » البدنى واحيا فى نفسه الفهم والفطنة وسرعة الحفظ ، حتى كان يحفظ فى يوم واحد ما يحفظه غيره فى شهر .

محاربة الروم

هب العرب لحرب الروم الذين اغاروا على حدود بلادهم ، واحتار الحصين فى موقف ولده « ثعلب » كيف ياخذ راتبه كمحارب فى الجيش وهو لا يذهب الى الحرب ولا يقدر على القتال ؟ ثم عزم ان يامره بالمسير الى الميدان ، وليكن ما يكون .. قال له :

ـ يا ولدى انت تعلم انى كتبت اسمك فى ديوان المجاهدين ، واخذت راتبك فى ثلاث سنين ، ولابد من خروجك للقتال .

فبكى الولد وقال :

ـ يا ابى ، هل قلت لك اكتب اسمى فى الديوان ؟ انى لا استطيع ركوب حمار فضلا عن جواد .

وشكاه ابوه الى استاذه « عقبة » فقال الشيخ لتلميذه :

ـ اذهب يا ولدى مع المحاربين ، وما تقدر عليه افعله ..

فبكى ثعلب ، ثم مسح دموعه وقال :

ـ يا سيدنا ، مالى على شىء مما تدعونى اليه يدان .. ولست ادرى كيف يكون حالى اذا اصطفت الفرسان فى حومة الميدان ، وتشابكت الرماح وجد الضرب والطعان .

فضحك الوالد وقال لولده :

ـ البس عدة الحرب ، واخرج فى زى المجاهدين ، ولا تدخل فى معمعة القتال ، وما

عليك الآن تهلل وتكبر اذ الروم انكسروا .

ـ وان كانت الحرب علينا ؟!

ـ اذا كانت علينا ـ لا قدر الله ـ فكن اول من يطلب الهرب .

ـ وان كانت الكسرة على العرب ، وحاولت الهرب ، ثم وقعت فى كمين الست اهلك مع الهالكين ؟

فقال والده غاضبا :

ـ يا اشام الاولاد ، اليست لك اسوة بهؤلاء المجاهدين الذين جاءوا من كل فج ، وقد باعوا انفسهم لله ؟

وقال عقبة للحصين :

ـ لا فائدة ترجى من ولدك هذا فى حرب او نزال ، فارح نفسك واعد ما اخذته من راتبه الى بيت المال .

ولم ييأس الحصين من ولده ، فاراد ان يثير فيه الحمية قائلا له :

ـ يا ولدى ، لا تكن عارا علينا ، كيف يقال إن للحصين ولدا ضعيفا جبانا قد قعد ولم يلب دعوة الجهاد ؟

التقى الجمعان

ثم لجا الى إغرائه واستدراجه الى الحرب فقال :

ـ لن اتركك فى الميدان ، بل اركبك الجواد ، ولا تبرح عنك عينى ، واذا رايت خطرا عليك اخذتك ونجوت بك .

فقال ثعلب مستسلما :

ـ يا ابت افعل ما تراه ، فهانذا مطيع لك والله يتولانى برحمته .

لما اصبح الصباح زعقت بوقات الروم ، وخفقت راياتهم ، وتحركت جموعهم ، وصهلت خيل العرب ، واستلت السيوف ، وانقضت السهام ، والتحم الفريقان فى قتال لبس كمثله قتال .

وما رأى ذلك ثعلب حتى ارتعدت فرائصه ، واصطكت اسنانه ، واهتزت رجلاه ، فصارتا تضربان .. ولم يستطع ركوب الحصان .. ولما شاهد ابوه حاله اخذه من يده الى ربوة عالية بعيدة عن القتال وقال له : قف هنا ولا تخف .

فى الجبن سواء

وبينما هو واقف يرتعد اقبل نحوه رجل من الروم ، فتملكه الخوف ، وزاد به الرعب وقال له :



ـ بـ .. بالله يا .. سيدى .. مـاذا تريد ؟

ـ لا تخف .. فانا مثلك خائف .

ـ من تكون يا جبان ! يا ذليل يا مهان !

فقال الرومى ساخرا :

ـ انا .. الجبان ؟ يا شجاع ! يا مهاب ! تعال .. اننا فى الجبن سواء ..

ـ قل لي لماذا يقتل بعضنا بعضا ؟ اليس هؤلاء « الشجعان » مجانين .. ؟

ـ بلى ، انهم والله مجانين .. ولكن قل لي انت ما الذى اخرجك من بلادك واتى بك الى هنا ؟

ـ ساقونى على الرغم منى .. زعموا انكم اعداء يجب ان نتغذى بكم قبل ان تتعشوا بنا !

ـ ولكن ها انتم اولاء لا تتغدون !

ـ مجانين .. الم اقل لك مجانين ؟

وبينما هما كذلك اذا سهم طائش يمرق بينهما ويغوص فى الارض قريبا منهما . فصاح الرومى ، ووقع ثعلب مغشيا عليه .. وبعد برهة افاق ، فقال له الرومى :

ـ يا اخى .. هل انت سالم ؟

ـ الحمد لله .. وانت يا اخى هل اصابك مكروه ؟

ـ إنى بخير ، انا احب الحياة ولا اريد ان اموت .

ـ ومن ذا الذى لا يحب الحياة ايها الاحمق ؟

ـ انا احمق يا جبان ؟

فقال ثعلب ساخرا :

ـ العفو .. يا فارس وقاهر الشجعان ..

ـ رجعنا الى الكلام الفارغ ، الم نكن الآن اخوان ؟

ـ بلى ، ما اعجب الانسان ! عند الروع يتعاطف الناس ، وعند السلم يتخاصمون

ونظر ثعلب غير بعيد ، فراى ما اثار دهشته .. فقال للرومى :

ـ انظر .. السهم يتحرك !

ـ انه يهتز .

ـ عجبا .. تعال ننظر .

وتقدما الى مكان السهم ، وامسك به ثعلب وجذبه بكلتا يديه ، فاستعصى عليه ، فاخرج السيف الذى معه وحفر حوله ، وهاله المنظر :

ـ ثعبان .. انظر .. تعال هنا وانظر .. ان السهم مغروس فى ثعبان ، ودم الثعبان يسيل .

والتفت ثعلب الى الرومى فوجده قد ولى بعيدا مذعورا .. اما هو فقد شعر بجراة لم يعرفها فى نفسه من قبل .. امسك بالثعبان الدامى وجعل يقلبه ويقول : سبحان الله ! هذا الثعبان المختفى فى باطن الارض ينفذ اليه السهم فيرديه ، ونحن على ظهر الارض مستهدفون للسهام فلا يصيبنا سوء !

ونظر ناحية الرومى فراه ملقى على الارض جثة هامدة وفى صدره سهم طائش !

« مات .. لم يمنعه من الموت خوف ولا حذر ، وكم من شجاع خاض المعركة وعاد سالما » .

تطوير الشخصية

وهنا يعمل قصاصنا على تطوير شخصية ثعلب ، فهو اى القصاص بصدد « التعبئة » ضد المعتدين ، والحرب للدفاع لا تنافى الانسانية ، يقول :

« بينما كان ثعلب واقفا يحدث نفسه ذلك الحديث ـ راى جوادا يعدو وليس على ظهره احد ، فاعترض طريقه .. وفى لحظة خاطفة كان على ظهره ، وقد جرد سيفه ، وحمل على الاعداء مع الحاملين عليهم من قومه . وصال وجال فى ميدان القتال ، وحمل يبارز الفرسان ويصرع الابطال .

ولمحه ابوه . فدنا منه هاتفا :

ـ ويحك من انت .. ؟

ـ انا ولدك ثعلب .

ـ حقا ؟ كم انا فخور بك .. هذا يوم ميلادك .

ـ انا اليوم يا ابى اشجع خلق الله .

ـ انت منذ اليوم رجل ، إن مت مت شهيدا ، وإن عشت عشت عزيزا » .

أذهـــان بـــلاحـــدود • الجـــزء الأخـــيـــر •

التنويم المغناطيسي والأسرار الخفية في عالم الحرب والسياسة !

إعداد : محمد العزب موسى

- هتلـــر يطـــارد « عرافـــاً » أوروبيـــاً تنبأ بنهاية النـــازية ومصـــير الفوهـــرر !
- رجـــل يسرق بنـكاً بقـــوة التنـــويم المـغنـــاطيسى
- قصـــة المرأة التى تحـــرك أعـــواد الثقاب والسجائر والدبابيس بمجرد النظر اليها
- محـــاولات مضنية لكشـف أســباب مادية وعلميـــة وراء الظـــواهر الخارقـــة

فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وبعد ان اجتاحت القوات النازية بولندا كان من اهم ما يشغل بال هتلر ان تعتقل قواته رجلا بولنديا يدعى وولف ميسينج وتاتى به الى برلين حيا او ميتا . كان قد اشتهر عن هذا الرجل انه يتمتع بقوى خارقة كوسيط روحى وعراف متنبىء ، وكان قد تنبا لهتلر قبل اجتياح بولندا بانه سيخسر الحرب فى النهاية ويلقى نهاية شخصية سيئة ، ولما كان هتلر من اشد المتطيرين الذين يؤمنون بالعرافة والتنجيم لذلك فقد اسرها فى نفسه ، وعزم على الانتقام من ميسينج عندما يقع يوما فى قبضـــة يده .

واستطاع ميسينج ان يهرب فى آخر لحظة ويلجا الى موسكو . ولكنه كان كالمستغيث من الرمضاء بالنار ، اذ نجا من قبضة دكتاتور ليقع فى قبضة دكتاتور آخر .. ستالين الرهيب هذه المرة . فقد سمع الدكتاتور السوفيتى بحكايته وقرر ان يختبر قواه التليباثية وحـدد بنفسه الامتحان .. ان يستخدم ميسينج قواه المزعومة فى سرقة بنك سوفيتى !

واختار وولف ميسينج بنكا كبيرا فى موسكو ، لا يعرفه فيه احد ، وفى اليوم المحدد دخل ميسينج البنك بخطوات ثابتة ، وتقدم الى الصراف الذى يجلس خلف نافذته الزجاجية ، وقدم اليه ورقة بيضاء منتزعة من دفتر مدرسى ، ووضع امامه حقيبة فارغة مفتوحة ، وامره تليباثيا ان يصرف له مبلغ ١٠٠ الف روبل .

ونظر الصراف الى الورقة ، وفحصها جيدا ، لم يشك لحظة فى انها « شيك » صحيح .. ولم يلبث ان فتح خزانته وراح يخرج منها رزم البنكنوت ويضعها فى الحقيبة ، حتى عد ١٠٠ الف روبل بالتمام والكمال .

وحمل ميسينج الحقيبة ، وخرج من البنك ، وهناك اطلع رجال ستالين على النقود مثبتا نجاحه فى سرقة البنك ، وبعد ذلك عاد إلى الصراف مرة اخرى وبدا يعيد اليه رزم البنكنوت . ودهش الصراف واخذ ينظر اليه ، والى النقود والى الورقة البيضاء الخالية امامه ، ثم سقط على الارض مصابا بازمة قلبية ..

ولحسن الحظ فقد نجا الصراف من الازمة القلبية ، ولكن ميسينج لم ينج من قبضة ستالين ، كان ينتظره امتحان آخر اراد به ستالين ان يتاكد شخصيا من قواه الاستثنائية ، فامره ان يدخل عليه فى مكتبه بالكرملين بدون الحصول على اذن كتابى خاص شان كل من يدخل هذا المكان كائنا من كان حتى لو كان من زعماء الحزب والقادة السوفيت .

وفى اليوم المحدد تقدم رجل الى قصر الكرملين وقطع ساحته ، وعند الباب حياه الحرس برفع السلاح ، واخذ الرجل يقطع دهاليز الكرملين ، ويصعد درجاته ، امام اعين الحراس ورجال المخابرات المبثوثين فى كل مكان ، وهؤلاء كانوا يحيونه عندما

يمر بهم ، الى ان وصل الى غرفة ياور ستالين ، فقام هذا وحياه وصحبه الى غرفة مكتب ستالين ، وفتح له الباب وهو ينحنى انحناءة كبيرة ، وعندئذ رفع ستالين عينيه عن الأوراق التى امامه ، ونظر الى الزائر فاذا به امام ميسينج وجها لوجه !

والتفسير الذى اعطاه ميسينج فيما بعد انه اوحى للحراس والمخبرين انه هو نفسه بيريا رئيسهم الذى وضعهم فى هذا المكان ، ومدير المخابرات السوفيتية الرهيب ، وكان هو الوحيد الذى يستطيع الدخول الى ستالين بدون تصريح وفى اى وقت يشاء ..

• •

هذه عينة من الاقاصيص التى انتشرت عن وولف ميسينج ، وسواء كانت حقيقية او من نسج الخيال والمبالغة ، فالثابت ان السوفيت لم يكونوا اقل من الغربيين اهتماما بظواهر البارا سيكلوجى ، بل لعلهم كانوا اكثر جدية فى فحص هذه الظواهر التى تبدو متعارضة مع الفلسفة المادية . وكان هدفهم الأكبر البحث عن اساس مادى لهذه الظواهر على فرض ان قد ثبتت صحتها ..

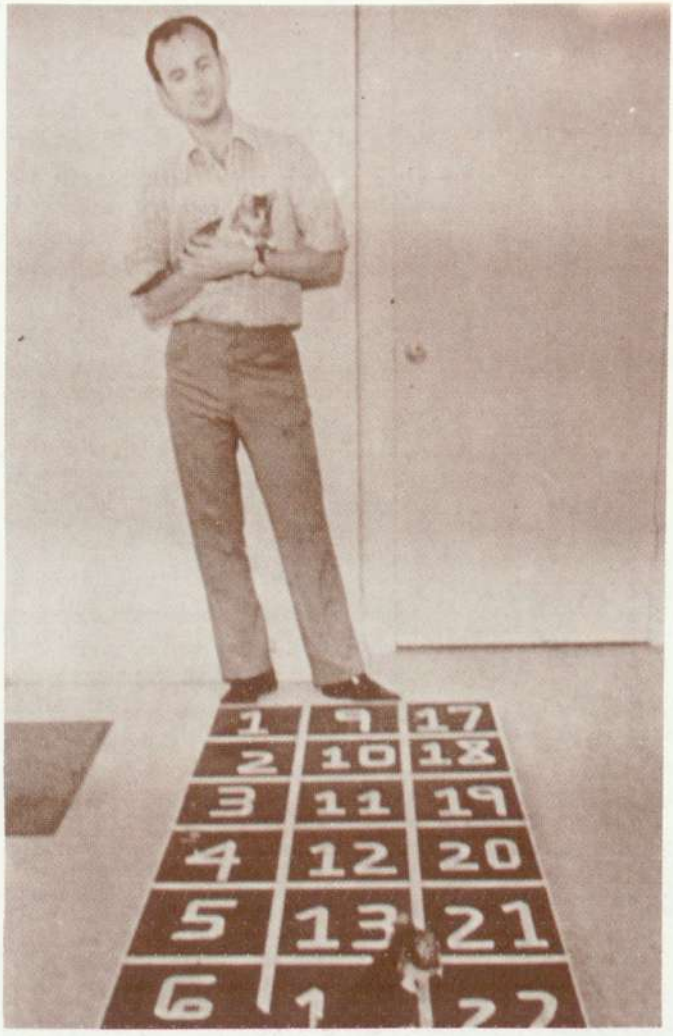
• •

تجارب بالتنويم المغناطيسى

ويفضل الباحثون فى اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى اسلوب التنويم المغناطيسى كوسيلة للبحث فى ظواهر البارا سيكلوجى بعكس الباحثين الغربيين الذين يترددون فى اتباع هذا الأسلوب بدعوى تعارضه مع الحرية الفردية ، بل ان الأطباء الغربيين انفسهم نادراً ما يلجاون الى التنويم المغناطيسى للمساعدة فى علاج الأمراض . اما الروس فلهم وجهة نظر مختلفة ، وفى وقت مبكر يعود الى اوائل العشرينات قام اثنان من الباحثين النفسانيين فى الاتحاد السوفيتى هما البروفيسور زيليكوفسكى والدكتور كوتكوف باجراء عدة تجارب على « التليباثى المغناطيسى » باستخدام طالبة شابة دون ان تدرى ، فقد سئلت الطالبة ان تتردد على البروفيسور زيليكوفسكى للمشاركة فى بعض التجارب ، وفى كل مرة تاتى الى معمله كان البروفيسور زيليكوفسكى يعتذر عن عدم اجراء التجربة بدعوى ان بعض الأجهزة لم تصل بعد ، وكانت الفتاة تمكث معه بعض الوقت يثرثران فى اى شىء ، ولكن كان يحدث احيانا ان يدهمها النوم وهى واقفة على قدميها ، ثم تفيق ولا تستطيع ان تفسر سلوكها ، فتعتذر وتنصرف ، ولكن اصحاب التجربة كانوا يعرفون السبب جيداً ، فقد كان الدكتور كوتكوف يجلس فى حجرة اخرى فى نفس المبنى يسلط اشعة تاثيره عليها .

هذه القصة توحى الى الاذهان بقصص العالم الشرير المجنون فى افلام الرعب ، ولكنها عرفت عن مصدر موثوق به هو الدكتور ليونيد فاسيليف اشهر عالم باراسيكلوجى سوفيتى والوحيد الذى ترجمت كتبه الى اللغة الانجليزية . وقد ذكر فاسيليف فى كتابه « تجارب على الايحاء الذهنى » الذى صدر عام ١٩٦٢ قبل وفاته بعدة سنوات ان العلماء الروس بدأوا يجرون تجارب منتظمة على التليباثى والتنويم المغناطيسى منذ الثلاثينات ، بعد النجاح المبدئى الذى احرزته تجارب زيليكوفسكى وكوتكوف ، وانهم تلقوا أوامر من « سلطات عليا » بالقيام بهذه التجارب . مما يوحى بانه ربما كان ستالين يشعر بان ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس يمكن ان تكون لها قيمة استراتيجية .

اذا كان فى قدرة انسان ان ينوم اخر مغناطيسيا وهو على مسافة بعيدة منه قد تصل الى الف ميل دون ان يدرى ذلك الشخص الآخر شيئا عما يجرى ، فتلك بلاشك قدرة رهيبة قد تكون لها نتائج بالغة الخطورة فى العلاقات الانسانية . ولكن هذا بالضبط ما فعله احد زملاء البروفيسور فاسيليف واورد ذكره فى كتابه . كان الرجل من سيفاستبول بالقرم ، ومحل التجربة فتاة فى لينينجراد ، واديرت التجربة بحيث يحدث التنويم المغناطيسى اثناء وجود الفتاة الخالية الذهن تماما عن كل شىء مع طبيبها النفسى الذى كانت تتردد عليه ، وكان هذا



عالم من علماء الباراسيكولوجى يجرى تجاربه الهامة على الظواهر الخارقة التى مازالت محل نزاع منذ قديم الزمان حتى عصرنا الحالى

التنويم المغناطيسي والأسرار الخفية في عالم الحرب والسياسة !

الطبيب مشاركا فى التجربة ومكلفا بتسجيل سلوك الفتاة عند تنويمها مغناطيسيا . وفى تقرير العلماء السوفيت ان اربعة اشخاص من كل مائة شخص لديهم استعداد للتنويم المغناطيسى على البعد .. ولكن الباحثين الغربيين لم يحاولوا التاكد من صحة هذا الزعم .

نظرية الموجات

وكانت قد انتشرت شائعات بان البحرية الامريكية تقوم بتجارب على التليباثى كوسيلة للاتصال بقادة الغواصات فى اعماق المحيطات حيث يكون الاتصال اللاسلكى متعذرا او ضعيفا ، وادت هذه الشائعات الى قيام الاتحاد السوفيتى بنشر ابحاث فاسيليف فى اوائل الستينات ، وقبل ذلك كان البروفيسور فاسيليف يجرى تجاربه وابحاثه فى سرية مطلقة ، لان التليباثى وظواهر الباراسيكلوجى بصفة عامة تثير مشكلة ايديولوجية بالنسبة للروس ، فما لم يثبت ان هذه الظواهر لها اساس مادى ، اى يمكن تفسيرها على نحو ما بنظرية الموجات فانها تعتبر بمثابة تخريب فى الفلسفة المادية الرسمية ، ولذا فقد تركزت ابحاث فاسيليف على محاولة اكتشاف الطاقة المادية التى تكمن وراء ظواهر الباراسيكلوجى ، وما هى الموجات التى تعمل فى مثل هذه الظواهر .

من التجارب التى اجراها فاسيليف فى هذا الشان انه كان يضع الفتاة التى يجرى عليها تجاربه داخل قفص فاراداى وهو صندوق من المعدن السميك يقاوم نفاذ موجات الراديو والموجات الكهرومغناطيسية ، ومع ذلك كانت الفتاة تسقط نائمة عندما يامرها الراسل التليباثى بذلك ، وهو يقف خارج القفص ، ثم وضع الراسل فى كبسولة من الرصاص وغمرها فى حوض مليء بالزئبق . ومع ذلك استمرت الفتاة فى قفص فاراداى تسقط نائمة كلما امرها الراسل فى كبسولته بذلك . وهكذا بدا واضحا ان نظرية الموجات لا تفسر ما يحدث ، فاستبعدت بهدوء ، ولكن برنامج الابحاث ظل مستمرا .

الراديو الذهنى

فى عام ١٩٦٦ اجريت فى الاتحاد السوفيتى تجربة على التليباثى نالت شهرة كبيرة ، وسمح للصحف بنشرها ومتابعتها ، كان الوسيط فى موسكو ، والفاعل على بعد الفى ميل فى سيبيريا وهو الممثل والصحفى كارل نيكولاييف . اما الوسيط فهو عالم الطبيعة البيولوجية يورى كامينسكى ، واشرف على التجربة مجموعة من العلماء السوفيت ، وقد استطاع كامينسكى بنجاح ان ينقل الى نيكولاييف صورا ذهنية عن ستة اشياء اعطيت له فى اظرف مغلقة مستقلة فى بداية التجربة ، وفى تجربة اخرى استطاع نيكولاييف ان يسجل ١٢ هدفا صحيحا من ٢٠ ورقة من اوراق الادراك خارج نطاق الحواس عندما كانت تقلب واحدة بعد الاخرى فى موسكو ، فى حين ان حد الصدفة فى هذه الحالة لا يتجاوز اربعة اهداف .

وتجارب الابحاث السوفيتية على الادراك خارج نطاق الحواس لا تذكر شيئا عن ظاهرة الاستبصار او الرؤية عن بعد ، بالرغم من ان الابحاث الامريكية تشير الى انها ربما كانت اقوى ظواهر الباراسيكلوجى ، وبالرغم من ان ما فعله نيكولاييف يمكن ان يفسر بالاستبصار كما يفسر بالتليباثى إلا ان الروس ظلوا ثابتين على افتراض وجود نوع من « الراديو الذهنى » لتفسير هذه الظواهر .

وبالرغم من انهم لم يستطيعوا الاهتداء الى موجات هذا الراديو إلا ان ابحاثهم القت الضوء على بعض الحقائق المثيرة الخاصة بموجات المخ ، فمثلا عند اجراء احدى التجارب على البعد بين موسكو ولينينجراد وصلوا بالاسلاك بين نيكولاييف واجهزة كهربائية لقياس التغيرات الفسيولوجية وموجات المخ ، ووضع نيكولاييف نفسه فى حالة استعداد ذهنى للاستقبال ثم انتظر ، لم يكن يعلم متى سيبدأ كامينسكى على بعد



هذه السيدة بهرت علماء الباراسيكولوجى بقدرتها على تحريك الأشياء بالطاقة الذهنية .. السيدة اسمها : نيليا ميخايلوفا .

٤٠٠ ميل محاولة التخاطر معه ، ولم تكن لديه اية فكرة عن نوع الرسالة التى يتوقعها ، ومع ذلك فقد سجل جهاز تسجيل موجات المخ زيادة مفاجئة فى نشاط مخ نيكولاييف فى نفس اللحظة التى بدا فيها كامينسكى تركيزه لبث الرسالة ، واكثر من ذلك لوحظ ان تزايد هذا النشاط حدث فى ذلك الجزء من المخ المناسب لتلقى نوع الرسالة ، فمثلا إذا ارسل كامينسكى رسالة مصورة كانت تنشط فى مخ نيكولاييف المنطقة التى تتحكم فى النظر ، واذا ارسل رسالة سمعية ، كصفارة مثلا ، فان المنطقة الخاصة بالسمع هى التى تنشط . وقد اشاد بهذه الابحاث عالم الباراسيكلوجى الكبير دكتور ميلان رايزل فى مقالة نشرها بالمجلة الدولية للباراسيكلوجى فى عام ١٩٦٨ ، وقال ان النتائج التى توصل اليها السوفيت قد تقربنا مسافة كبيرة من التحكم فى ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس .

الهالة الكهربائية

ويتصور البعض ان هناك سباقا سريا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى للتحكم فى ظواهر الباراسيكلوجى وان السوفيت اكثر تقدما فى هذا السباق ، ولكن هذا التصور لا يقوم عليه دليل قوى فى شقيه ، وربما يكون نتيجة فن الخيال العلمى ، ولكن ذلك لا ينفى ان السوفيت اثبتوا تقدما ما فى مجالات معينة منها ابحاث جولاييف على « الهالة الكهربائية » التى تحيط بالاجسام الحية ، وابحاث نوفوميسكى على « القراءة بالاصابع » ، ودراسات مختلفة على ظاهرة الاستحراك لدى السيدة نيليا ميخايلوفا .

ويسمى السوفيت التليبائى « بالاعلام البيولوجى » مما يشير الى تحيزهم الظاهر لفكرة وجود اساس مادى لهذه الظاهرة ، وهم يحاولون ردها الى التغيرات التى تحدث فى « الهالة الكهربائية » حول الاجسام الحية . فقد اكتشف البروفيسور بول جولاييف الذى خلف العالم فاسيليف كرئيس لمعمل «السبرنطيقا » بجامعة لينينجراد باستخدام اجهزة بالغة الحساسية مصممة خصيصا لهذا الغرض ، ان كل الاجسام الحية يحيط بها مجال من الكهرباء الاستاتيكية الضعيفة ، اسماه بالهالة الكهربائية ، وهذا المجال تحدث فيه تغيرات مستمرة ، وحتى الافكار التى تطوف فى ذهن الشخص تؤدى الى تغيرات فى هذا المجال يمكن كشفها وقياسها ، ويقترح جولاييف ان تكون هذه التغيرات فى الهالة الكهربائية هى التى ترسل اشارات تحمل معلومات ، وان هذه هى الوسيلة التى تتفاهم بها بعض الأسماك والحشرات وغيرها من انواع الحيوان ، ومن الممكن ايضا من الناحية النظرية ان يؤدى النشاط الذهنى الى تقوية هذه الهالة الكهربائية بحيث تنتج طاقة قادرة على تحريك الاشياء .

وقد اجريت ابحاث سوفيتية على العلاقة المحتملة بين ظاهرة الاستحراك وهذا المجال الكهربائى الاستاتيكى بالتعاون مع السيدة الشهيرة نيليا ميخايلوفا ، وكانت هذه السيدة - وهى ربة منزل فى لينينجراد - قد بهرت الباراسيكلوجيين السوفيت عدة سنوات بقدرتها على تحريك الاشياء بالطاقة الذهنية ، ومن بين الذين اجروا تجارب عليها دكتور جيرادى سيرجييف الذى صمم جهازا لالتقاط المجالات الكهروستاتيكية والمغناطيسية المنبعثة من الجسم البشرى على مسافة تصل الى اربعة اقدام وقد وجد دكتور سيرجييف بمساعدة اجهزته ان نيليا ميخايلوفا فى حالتها العادية تنتج من الجهد الكهربائى المنبعث من مؤخرة راسها ما يعادل خمسين ضعف الجهد المنبعث من مقدمة الراس . فى حين ان معظم الناس ينتجون ما يعادل ثلاثة اضعاف او اربعة فقط .. اما عندما تباشر نيليا قواها التحريكية وتقوم بتحريك الأشياء الصغيرة الموضوعة امامها على المائدة فقد اظهرت الاجهزة ان الحقول المغناطيسية المحيطة بجسمها تبدا فى النبض ، وهذه النبضات تتفق فى وقعها مع نبضات المخ والقلب ، واكثر من ذلك فقد بدا ان فى استطاعتها تركيز مجال القوى المنبعثة منها فى اتجاه الشىء الذى تنظر اليه وتريد تحريكه .

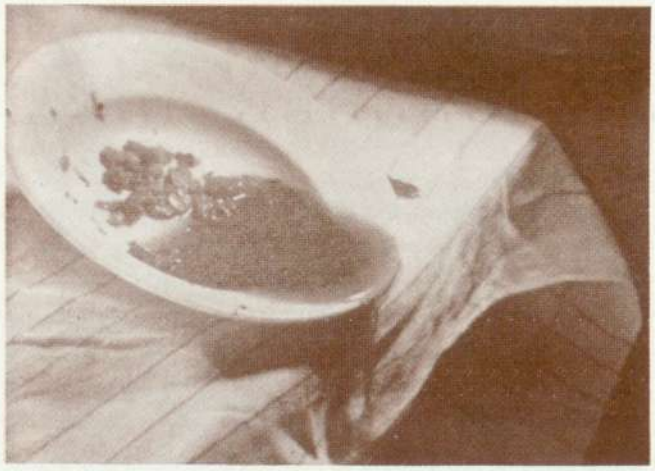
وقد شاهد عدد من الكتاب والباراسيكلوجيين الغربيين نيليا ميخايلوفا وكتبوا عنها ، وشهدوا جميعا بقدراتها الاستثنائية . وقد كان فى امكانها أن تحرك أعواد الثقاب ، والسجائر ، والدبابيس وغيرها من الاشياء الخفيفة التى توضع امامها على المائدة بتحريك يديها فوقها او بمجرد النظر اليها ، وفى تجربة اخرى استطاعت تهبيط احدى كفتى ميزان حساس متوازن فى كل منهما ثقل وزنه ٣٠ جراما ، وظلت الكفة هابطة بعد اضافة ثقل اضافى وزنه ١٠ جرامات الى الكفة الاخرى ، ولكنها ما ان تتوقف عن التركيز وتبعد عينيها فان الكفة الثقيلة تهبط على الفور ، ولتحقيق مثل هذه الظواهر كانت ميليا ميخايلوفا تقضى وقتا طويلا فى استجماع قواها ، وبعد ان تنتهى يبدو عليها التعب ، واحيانا وجد انها تفقد بعض وزنها .

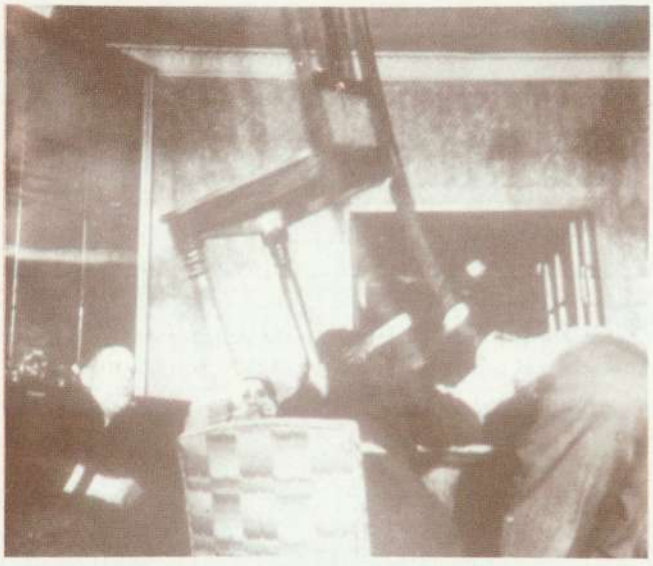
القراءة بالأصابع

وقد اكتشفت موهبة نيليا ميخايلوفا فى الاستحراك بواسطة دكتور فاسيليف اثناء قيامه بفحص ظاهرة خارقة اخرى تملكها هذه السيدة هى القدرة على « الرؤية » باصابعها . والواقع ان القراءة بالاصابع او القراءة بدون نظر تعد من الاهتمامات البارزة فى الابحاث الباراسيكلوجية السوفيتية . وكانت ميليا ميخايلوفا قد اكتشفت لديها هذه المقدرة ذات يوم فى اوائل الستينات عندما كانت تقضى فترة نقاهة من المرض فى مستشفى لينينجراد ، فقد كانت تمضى الوقت فى اعمال التطريز ، ووجدت ان فى استطاعتها ان تعثر على الخيط ذى اللون المطلوب داخل كيس الخيوط دون ان تنظر الى محتويات الكيس ، فكانت تلتقط باصابعها من داخل الكيس اى لون تريده بين عشرات الخيوط والالوان المتماثلة فى الحجم والملمس .

وحدث بعد ذلك ان قرات نيليا مقالا فى احدى المجلات عن سيدة شابة فى مدينة تاجيل بجبال الاورال قيل انها تستطيع ان « ترى » باصابعها ، فابلغت نيليا تجربتها الخاصة الى طبيبها الذى لفت بدوره نظر فاسيليف الى هذه الحالة .

وكانت هذه السيدة الشابة من مدينة تاجيل ، وتدعى روزا كوليشوفا ، قد ذهبت الى طبيبها ذات يوم فى عام ١٩٦٢ ، وابلغته انها اكتشفت ان فى استطاعتها ان تميز بين الالوان وان تقرا الحروف المطبوعة باستخدام اصابعها ، وبالطبع لم يصدق الطبيب الى ان عرضت روزا قدراتها عليه فاقتنع بها ، وابلغ زملاءه الأطباء باكتشافه . ومن بين هؤلاء البروفيسور ابرام نوفوميسكى الذى





لقطتان لظاهرة الاستحراك ، حيث يبدو في احداهما الطبق مائلا على المائدة والحساء ينسكب منه .. وفي الصورة الاخرى يبدو الكرسي معلقا في الهواء !

اختبر بنفسه قدرات روزا وشهد بانها حقيقية .

وسرعان ما استدعيت هذه القروية التاجيلية لتقوم بعرض قواها امام فريق من اكبر علماء موسكو ، في معهد الطبيعة الحيوية باكاديمية العلوم السوفيتية ، واجرى العلماء عليها تجارب صممت بحيث تستبعد احتمال تفسير الظاهرة بالتليباثي او الاستبصار ، واكدوا بعد ذلك ان روزا تملك حساسية خاصة في جلدها تمكنها فعلا من « الرؤية » باصابعها !

وكان من الممكن اعتبار حالة روزا كوليشوفا غير ذات اهمية كبيرة لو انها كانت حالة نادرة ، غير ان الابحاث والتجارب التالية التي اجراها البروفيسور نوفوميسكي وفريقه اظهرت ان « الرؤية بالجلد » امكانية يمكن تنميتها لدى كثير من الناس ، وقد تمكنت روزا نفسها من تنمية هذه القدرة تدريجيا ، ففي اول الامر كانت تستطيع ان « ترى » باصابع يدها اليمنى فقط ، ولكنها تعلمت فيما بعد ان ترى باصابع يديها الاثنتين وباجزاء اخرى من جسدها كالمرفق . ووجد نوفوميسكي ان شخصا على الاقل من بين كل ستة اشخاص يستطيع خلال نصف ساعة ان يتعلم كيف يفرق بين لونين بواسطة اللمس ، وبعض الاشخاص استطاعوا تمييز الالوان كلها وهم يتفقون عامة على ان كل لون له ملمس خاص ، فالازرق الفاتح ، ناعم ، مثلا ، بينما الاصفر منزلق ، والبرتقالي جامد وجاف ، وهكذا . كما وجد الاشخاص الذين يستطيعون تمييز الالوان باللمس ان كل لون يشع الاحساس الخاص به الى مسافة ما ، فاصبح في امكانهم ان يعرفوا اللون بمجرد مرور الاصبع من فوقه بدون لمسه بالفعل ، فاشعاع اللون الاحمر مثلا هو اعلى الاشعاعات المحسوسة بينما ادناها هو اشعاع الازرق الفاتح ، وعلى اساس هذا الدليل اقترح نوفوميسكي ان الرؤية بالجلد يمكن تفسيرها بالتفاعل بين الحقول الكهرومغناطيسية الناتجة من اللون وتلك المحيطة بالجسم البشري .

تصوير كيرليان

ومن اشهر ابحاث الباراسيكلوجي السوفيتية ما يعرف باسم « تصوير كيرليان » ، فقد تمكن سيميون وفالنتينا كيرليان منذ ٣٠ عاما ، وباستخدام تيارات كهربائية عالية التردد ، من الحصول على صور للكائنات الحية تحيط بها هالة من اللمعان متعددة الالوان ، هذه الهالة التي اسمياها « الجسم البلازمي » ربما هي التي اكتشفها وفحصها فيما بعد علماء من امثال جولاييف وسيرجييف ، ويقال ان جميع الاجسام الحية يحيط بها هذا الجسم البلازمي ، وقد تمكن كيرليان من التقاط صور لاوراق النباتات تبدو فيها بوضوح اشعاعات مرئية ، كما ثبت ان هذه الهالة تتغير اذا اصيب النبات بمرض ، وبالمثل فان التغيرات في الهالة التي تحيط بالانسان تدل على تقلبات حالته الذهنية والبدنية .

ومن الطريف ان نتذكر هنا اعتقاد القدماء بوجود مايسمى بالجسم الاثيري متفاعلا مع الجسم العضوي ، وبهذا تبدو اكتشافات كيرليان وزملائه الباحثين في الاتحاد السوفيتي كما لو كانت تؤيد اعتقادا قديما يعتبره العلماء الآن في الشرق والغرب بمثابة خرافة !

وعلى اي الاحوال ، فان اكتشاف هذا المجال يمكن ان يؤدي الى تطورات هامة في علم الباراسيكلوجي ، اذ يبدو من المحتمل ان تفسر هذه الطاقة المادية المنبعثة من الجسم ظاهرة الاستحراك ، كما يمكن ان تلعب دورا في العلاج الروحي وفي ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس ، مما يشير الى احتمال ان تشهد السنوات القادمة تطورات مثيرة في الباراسيكلوجي تخرج من معامل الابحاث في دول المعسكر الشرقي .

● ●

عود على بدء

قد يكون من المفيد فى ختام هـــذه المقالات عن الباراسيكلوجى ، ذلك العلم الجديد الذى بدأ يفرض نفسه على معامل الابحاث فى الغرب والشرق ، ان نعود فنلخص اهم معالم الموضوع كى يتبلور فى ذهن القارىء ..

هناك نوعان رئيسيان من الظواهـــر الباراسيكلوجية :نوع يتعلق بالمعرفة كما فى حالة التخاطر (التليبـــــاثى) والاستبصار (كلير فويانس) والعرافة والتنبؤ ، وفى هذه الحالات يعتقد ان الشخص قد تلقى معلومات او معرفة من افكار شخص آخر او من احداث المستقبل بدون استخدام وسائل الاحساس العادية ، ومن هنا جاء تعبير « الادراك خارج نطاق الحواس » . والنوع الآخر ذو طبيعة مادية كالقدرة على تحريك الأشياء بدون لمسها والارتفاع فى الهواء ، واستحضار الأشياء البعيدة ، والخروج من الجسد ، والطب الروحى ، وهذه يجمعها تعبير « الاستحراك النفسى » ، والنوعان بالطبع يجمعهما تعبير الظواهر الباراسيكلوجية او علم النفس الغيبى .

وبالرغم من ان الاعتقاد فى وجود هذه الظواهر قديم ومسجل منذ فجر التاريخ المكتوب إلا ان الاهتمام العلمى بها حديث نسبياً ولا يرجع الى اكثر من قرن من الزمان . وقبل انتصار العلم الحديث على الخرافة كانت اسباب مثل هذه الظواهر غير مفهومة ، فكان الناس يرجعونها الى تدخل قوى او كائنات فوق بشريـــة (كالاشـــباح والشـــياطين والسحرة والجن والكائنـــات الاسطوريـــة) . وكان ميدان هذه الظواهر مفتوحاً امام جميع انواع المحتالين والدجالين لاستغلال البسطاء من الناس ، ولكن حتى العلماء كانوا يعتقدون فى صحة هذه الظاهرة ، فمثلا كان العالم الفلكى الكبير جوهانز كيلر يكسب رزقه بقراءة الطالع للأثرياء .

ولا يزال وجـــود الظـــاهرة الباراسيكلوجية الى يومنا هذا محل نزاع كبير ، بالرغم من أن جمعيات كثيرة تضم عديداً من العلماء البارزين والباحثين المنزهين قد تصدت لبحث هذه الظواهر منذ اكثر من قرن ،وبالرغم من ان الموضوع اصبح يبحث الآن فى كثير من الاقسام الاكاديمية فى الجامعات الامريكية والاوربية والسوفيتية . وكثيراً ما تخرج الخصومة حول هذا الموضوع عن حـد المناقشة العلمية الهادئة ، ويتمسك المعارضون والمؤيدون على السواء بان موقفهم هو الموقف العلمى الوحيد الذى لا يقبل النقض ، ومن هنا يصبح من العسير الوصول الى اتفاق .

وترجع هذه الحساسية البالغة ازاء الظواهر الباراسيكلوجية الى انها تبدو مناقضة لما استقر عليه العلم الحديث من مفاهيم ثابتة كالوزن والكثافة والزمن والطاقة والمادة والسببية ، ومعنى ذلك اما ان تكون هذه الظواهر خاطئة اساساً وضرباً من الوهم والخيال او ان يكون علينا ان نغير من مفاهيمنا العلميـــة الثابتة .

ولكن ، هل نحن حقاً امام حدين متناقضين ينفى احدهما الآخر ، كالنور والظلام ، والوجود والعدم ؟ ان كثيراً من الأشياء التى كانت مستحيلة علمياً فى الماضى قد ثبتت صحتها العلمية الآن ، وكثيراً مما كان يعتقد انه من قبيل المعجزات وضروب السحر اصبحت اسرارها مفهومة الآن ، وكثيراً من الامنيات التى فكر فيها الانسان كضرب من الخيال لتعارضها مع المفاهيم الثابتة انذاك ، اصبحت حقيقة واقعة .

والامر لا يختلف ازاء ظواهـــر الباراسيكلوجى ،فنحن اذ نرصد وجودها لا نعرف بعد كيف تعمل ، واى القوانين تنطبق عليها ، فالمشكلة تكمن فى حدود معرفتنا ، ولا تتعلق باستحالة ذاتية فى الظاهرة ،واذا عرفنا القوانين التى تتحكم فى الظواهر البلراسيكلوجية زالت اية دهشة بصددها واصبحت من طبيعة الاشياء ،فنحن مثلا لا ندهش الآن لالتقاط موجات الراديو واللاسلكى على بعد آلاف الأميال ولكننا نقف مدهوشين امام ظاهرة التخاطر . ولا نكذب جهاز التليفزيون ولكننا نقسم على تكذيب ظاهـــرة الاستبصار . ولا نستبعد السباحة فى الفضاء خارج نطاق الجاذبية الأرضية ولكن لا نتصور امكان السباحة فى الهواء او تحريك الأشياء بدون لمسها .

والواقع ان المشكلة الرئيسية التى تواجه البـــاراسيكلوجيين هى عدم الاهتداء حتى الآن الى نظرية علمية شاملة تفسر هذه الظواهر رغم وجودها الفعلى ، وقد قبلت عدة نظريات فى هذا الشان ولكنها لم تكن اكثر من محاولات فلسفية لا ترقى الى مستوى الدليل العلمى القاطع ، ومن الممكن تجميع هذه النظريات فى المجموعات التالية :

(١) النظريات المادية ، التى تفسر الظاهرة محل الجدل بانها ترجع الى نوع من الطاقة المادية لم يكتشف بعد ، وهذه الطاقة تختلف عن انواع الطاقة الاخرى فى انها لا تخضع لقانون التربيع العكسى اذ يبدو ان المسافة لا تاثير لها فى ظواهر الباراسيكلوجى .

(٢) نظريات المجال ، وهى لا تختلف كثيراً عن النظريات المادية ، ولكنها تفسر الظاهرة بمجالات القوى لا بالطاقة فى حد ذاتها ، وهى ايضا تواجه نفس الصعوبة وهى ان المجال الذى يفسرها لم يكتشف بعـد .

(٣) نظرية العقل اللاواعى الجماعى ، وبمقتضى هذه النظرية تشترك جميع الكائنات الحية فى مصدر واحد مشترك غامض لا واع للمعرفة ، ويمكن لاجزاء من لا وعى احد الاشخاص ان تتعامل مع لا وعى شخص آخر . ولكن مثل هذا التفسير يثير من المشاكل اكثر مما يحل منها ، فانه لا سبيل الى فحص هذا اللاوعى الجماعى بله الاقرار بوجوده ، فهو تفسير فلسفى نظرى لا يقوم عليه دليل .

(٤) نظرية القذف الـــذهنى .. وبمقتضاها يتمتع الذهن البشرى بالقدرة على العمل خارج نطاق العالم المادى ولكنه يستطيع التاثير ايضاً فيه . ومثل هذه النظريات معناها فى الحقيقة الاقرار بوجود الظاهرة ، لا تفسيرها .

وهناك نظريات اخرى مماثلة ، ولكنها جميعاً لم تكتسب قبولا عاماً ،ولم تثبت اى منها فائدة عملية للعاملين فى مجال الأبحاث الباراسيكلوجية . او باختصار ، اننا لا نعرف كيف ولماذا تعمل ظواهر البـــاراسيكلوجى ، هـــذا اذا اعترفنا بوجودها فعلا .

والخلاصة ان هناك ظواهر يبدو انها تعمل خارج نطاق القوانين المعتادة فى الطبيعة وعلم النفس ، ولكننا لم نستطع حتى الآن ان نخضع هذه الظواهر لرقابة تجريبية كافية ، والى ان يحدث ذلك ،والى ان يمكن وضع نظريات كمية شاملة تفسر هذه الظواهر فعلاولا تتسول هذا التفسير تسولا ، قد يكون من الحكمة ان نتوقف عن الخوض فى مثل هذه الظواهر . !

محمد العزب موسى

الانكسار

قصة بقلم : كلثم جبر

(١)

الوقت فجر ، ونداء المؤذن يخترق ضباب هذه المدينة الصامتة وحزنها ، ويتغلغل من خلال الستائر للسدلة فوق النوافذ فيوقظ من شف نومه طلبياً ذلك النداء .

تمدد الحزن سكن الخافق منه والذاكرة .. تشبث بزر « الاباجورة » بجانبه وبقية من إرادة . التهم الصراع بداخله الحزن وجر قدميه متوضئا متسللا عبر ابواب منزله حيث النداء ، مرتكنا بعد ذلك طرفا من المسجد . تهاطل الدمع به والأسى !

(٢)

يعلم أن العيون بالداخل تحاصره .. وتحصى حركاته .. تابط اوراقه والحزن ، راقبته النظرات النهمة بوجع .. اخترقت المسام منه حتى النخاع تناول الكوب الدافىء من الحليب .. العيون لم تزل تحاصره ابتسم لهم قبل ان يتجرع القطرات الأولى الدافئة .

وهمس :

ـ صباح الخير .

صاح صوت اجش اقتبس وحشية الحياة :

ـ إلى اين تتجه فى هذا الصباح ؟

ابتسم ثانية رغم الوجع ..

ـ إلى العمل يا ابي .

واصل رشف الحليب الدافىء بهدوء .. تمازجت النظرات اتحدت بدهشة برزت السخرية من العيون .. سالت حتى القهقهة المكتومة ردد الصدى صوت غاضب ..

ـ قلت إلى اين ؟

و ضع كوب الحليب وغضـــبه فى الصينية .. تابط الورق وحزنه .. دلف خارجا . وهو يجابه الصوت هامسا والدمع بداخله :

ـ إلى العمل يا اخى .

(٣)

يتسلل النور وخوفه إلى « البناية » الضاربة حتى السماء ، يدلف من البوابة الحديدية يلقي بنفسه فى « المصعد » بتلك الوزارة التى يعمل بها قبل أن ... يواجه نفسه كاملا لأول مرة فى مرآة « المصعد » الطويلة يتحسس الوجه الحليق منه واليدين ، ويتابع رحلة نظراته عبر الثوب المهندم والرائحة الطيبة به .. يستجدى الثقة والقوة . ويبتسم وتراكم الهموم بداخله .. يفتح باب المصعد النظرة الأولى للمنتظر بالخارج قدوم « المصعد » تصعقه يرجف الرجل المنتظر حينما تلاقت النظرات .. يتراجع للوراء ويهرول راكضا .

يستجدى الثقة والقوة يتابع السير حيث مكتب « المدير العام » متجاهلا هرولة الرجل الراكض .. يقرع الباب ويدلف ..

يتوارى بالمقعد العريض يمد اوراقه وحزنه يفردها فوق مكتب المدير يواجـه نظراته الجزعة ويهمس بوجع يتساقط فى نفسه ..

ـ إنها شهادة الطبيب .. وتاكيد فى رئاسة الصحة العامة على شـــفائي وصلاحية عودتى للعمل ثانية .

يزمجر المدير برعب مكتوم ..

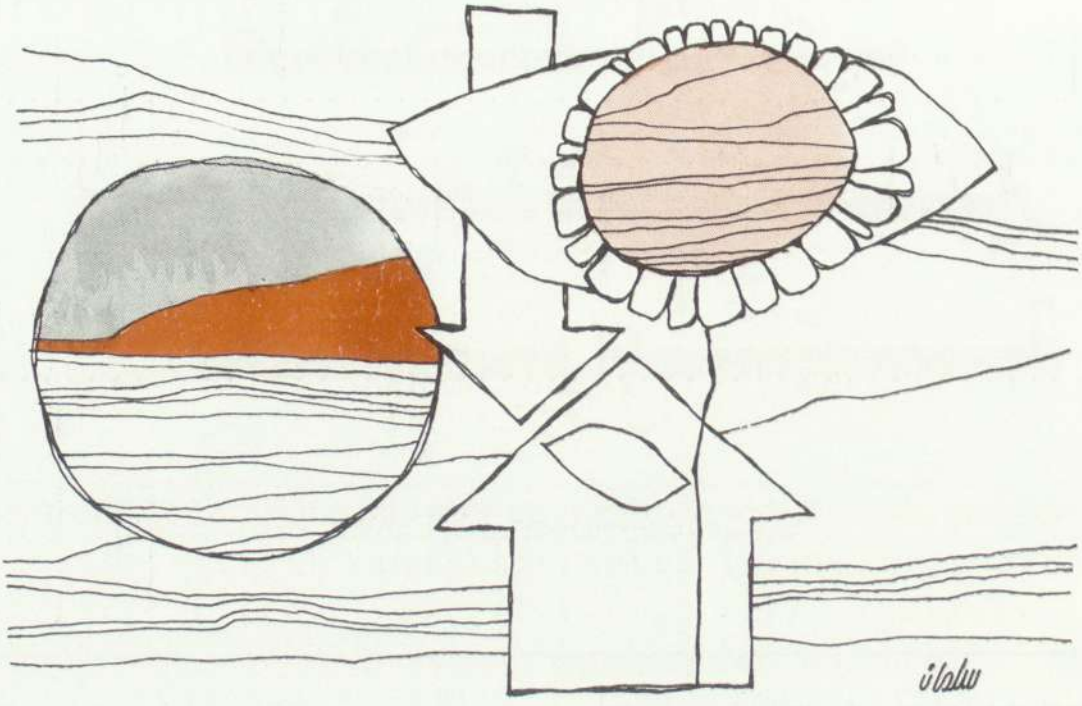
ـ ولكن .. ؟!

يستجدى القوة .. ويصمد ..

ـ يحق لي العودة للعمل قانونا .

(٤)

تتكسر الاضاءات بداخله .. يتلون القهر .. يتحد .. يمتزج .. يقاوم الضباب الزاحف إليه يحاول الانتصار .. يود الحديث ودفء الأسرة .. هربت العيون والوجوه منه لاذت ببقية غرف المنزل .. تنمر الوريد منه الوحدة .. يود الحديث .. يقرع الهاتف بجانبه .. يقاوم الضباب ويرفع السماعة :



ـ لماذا تاخرت فى الرد ؟

كقطرات ينبوع بارد فى امسية هجيرية ارتشف صوتها الهامس عبر الاثير وبقايا الضباب الزاحف إليه ..

ـ اقلوم السواد .
ـ هل عدت للعمل ؟
ـ اقلوم السواد .
ـ هل استقبلك الجميع بود ؟
ـ اقلوم السواد .
ـ امازالوا يخافونك ؟
ـ اقلوم السواد .
ـ اود الزواج بك .
ـ اقـ .

وصمت .. وهى تمارس الصدق بطلبها يوم أن وعت أن للانسان بعـدا اعمق .. من بعده المادى .

(٥)

يرعد المساء بالقسوة والوجع .. تتساقط الصور فى الذاكرة تبرز امام عينيه ..

المكاتب خالية .. الغرفة ملساء خالية .. الجدران موحشة .. الاقدام والوجوه اين هى .. بحث عن رفاق المكتب لم يجدهم فتح الباب واستفسر :

ـ اين ذهبوا ؟

اجابه الصوت المحب له لعامل يقـوم بخدمتهم بتلك الوزارة ـ

ـ لقد انتقلوا لمكتب اخر يا بنى خوفا منك .

يمد الظلام رماديته الموغلة فى الحزن والنحيب يكسو الجدران الملساء حوله، اصوات الهمهمات وقسمات « الممرض » الشاحبة .

تنحب الذاكرة حزنا فتتجسد الصور .

ـ امى اود الزواج بها .

ـ من ؟ ابنة عمك .. ولكن ؟

ـ هى موافقة يا امي .

ـ ولكن .. ؟

ـ هى قالت ذلك يا امي .

يزمجر صوت وراء كتفيه لوجه غـاضب يسحب الكتف منه ويصرخ :

ـ انت يا هذا تود الزواج بمن ؟

ـ ابي !

ـ هل نسيت ما انت به ؟

ـ ولكن .. الطبيب اكد شفائي . يهز الحزن بداخله حتى النخاع ويصرخ

ـ اغرب عن وجهي .

فوق الأرض الباردة يتكوم قنفـذي الاحساس ـ عشرات العيون تلاحقه تبرق بالحزن والهذيان تتساقط باروقته الداخلية .. يتكوم اكثر ـ وجه « الممرض » يقترب منه وعشرات العيون .. يلتصق بالحائط .. العويل بداخله والخواء .. يعوي .. يعوي ..

كف راكضة تنهال فوق وجهه .. صوت والده يرعد بالذاكرة .

ـ لم اجن بعد حتى ازوج مجنونا من ابنة اخي .

الداخل موغل بالظلمة والرعب .. تتساقط الأشياء بداخله .. تنكفيء .. تموت .. تموت .. فوق وجهه آثار الصفعة .. يعوي .. وبدا الممرض القويتـان تقيدانه فوق السرير !!

مشكلات في ترجمة شكسبير إلى العربية

بقلم: الدكتورة أمل أمين زكي

استهوت مسرحيات شكسبير بلغتها الغنية الجزلة ومواقفها الدرامية الأخاذة ذوق العرب في أوائل عهد نهضتهم الحديثة واتصالهم بالعالم الغربي فكانت مسرحياته من أوائل ما ترجم الى العربية في العصر الحديث منها مسرحيات ترجمت أكثر من مرة من قبل أدباء من مختلف الأقطار العربية .

وشكسبير في الانجليزية ظاهرة أدبية قائمة بذاتها عكف على دراستها العديد من المتخصصين والفوا في معانيها وتعابيرها المعاجم وكتب الشروح . بل ان هناك كتبا خاصة بقواعد اللغة الشكسبيرية وصرفها ونحوها . وما توقف الدراسون عن تناول مؤلفات شكسبير ولا اخالهم سيتوقفون .

والذى لا نعلمه هو مدى اطلاع المترجمين العرب الأوائل على هذه المعاجم والتفاسير . فان المترجم العربى لم ينل حظا كبيراً من التوفيق فى الترجمة سواء اعتمد المعاجم المتخصصة ام انه استعان بما كان فى متناول يده من القواميس العامة . وكثير من التعابير الشكسبيرية والمعانى واللمحات الفنية استغلقت على فهمه . كما انه واجه عدداً من التحديات والمشكلات التى استوجبت البراعة والكياسة عند الترجمة لكي تكون لغة المسرحية سلسة واضحة للفهم مستساغة من قبل جمهور المشاهدين العرب . ومن بين تلك التحديات ترجمة ما جاء فى المسرحيات من قسم او لعنة . وقد عالج المترجمون تلك المشكلات كل على طريقته الخاصة . وهذه الدراسة تعقد مقارنة بين الأساليب التى اتبعها المترجمون فى ذلك : وهى تتناول الترجمات التى اطلعت عليها شخصياً وقارنتها مع النص الأصلي لمسرحيات شكسبير ● ●

إن التهاون فى اطلاق القسم وفى استنزال اللعنات فعل غير مستحب فى جميع الديانات السماوية لما يقتضيه ذكر المولى سبحانه وتعالى من اجلال وتبجيل وفى القرآن الكريم ذكر صريح للغو فى الايمان فى كلام الناس . ولكن برغم ذلك تكثر عبارات القسم واللعن فى كل اللغات وفى كافة الحضارات . وللقسم وظيفة معروفة يحددها كاظم الراوى (١) بقوله « القسم يتخذ وسيلة من وسائل تاكيد القول او الخبر خاصة إذا اريد العزم او الاصرار على امر من الامور او الزام النفس بشيء معين » . الا ان صياغة القسم واسلوبه ووقعه على الاذن وفى النفس يختلف باختلاف الشعوب وبتباين ذوقها ومزاجها وبناها الثقافية واللغوية . من هنا كانت ترجمة الايمان واللعنات الى العربية واحدة من التحديات اللغوية والفنية التى جابهت المترجم لمسرحيات مكتوبة فى الاصل لمشاهد تختلف خلفياته الفكرية والثقافية عمن تترجم له المسرحية .

وشكسبير لم يتردد فى استعمال القسم كلما استوجبت حواریاته ذلك (٢) . فان ابطاله وشخوصه ، رجالا ونساء ، وسواء كانوا من النبلاء او العوام ، جميعهم ورد على لسانهم ذكر الله جل جلاله . ضارعين اليه تارة مقسمين به طوراً ، متوكلين عليه وواثقين به فى احيان كثيرة . كما جاءت على لسانهم اسماء مشاهير القديسين للغرض نفسه . ومع ان الطابع المسيحى يغلب على ايمانهم عادة ، الا ان شكسبير كثيراً ما اقحم الهة الاغريق الوثنية بدلا من اسم المسيح عليه السلام او اسم العذراء او القديسين تقليداً او تحرجاً من ابتذال القسم بالله جل جلاله . ولعلها كانت أساليب فى القسم مستعملة فى زمانه وموروثة من العصور الوثنية .

الايمان التى يطلقها ابطال شكسبير تكون مستمدة من أساليب القسم عند المسيحيين كما اسلفنا الا ان بعض الصياغات او التعابير قد تبدو للمشاهد المسلم كفراً وتجديفاً . كما ان البعض الآخر قد يستعصي على فهمه وتقديره .

هـــــؤلاء هم أهم من ترجمـــــوا شكســـــبير إلى العربيـــــة



محمد السباعى



علي احمد باكثير



جبرا ابراهيم جبرا



د . محمد عوض محمد



خليل مطران



وليم شكسبير



د . محمد عنانى



د . لويس عوض

وقد واجه مترجم مسرحيات شكسبير هذا الاشكال حسب مقتضى الحال . فغالبـــاً ما قام باجراء تحوير بسيط على القسم لجعله مناسباً للعقيدة الاسلامية او انه لجا الى حذفه منعاً للحرج . والاعجب من هذا وذاك ان المترجم العربى عمد احياناً الى اضافة ايْمان من عنده فى مواضع لا وجود للقسم فيها فى النص الاصلى لانه شعر بان المتكلم المسلم لابد ان يطلق يميناً فى مثل تلك المناسبة ! وسوف يتناول هذا البحث الاساليب التى عولج فيها القَسَم من قبل الادباء الذين ترجموا مسرحيات شكسبير الى العربية من ترجمته ترجمة حرفية عن الاصل الى إدخال بعض التحوير عليه ، او استبداله بقسم اسلامي معروف ، إلى حذفه من الترجمة كلياً .

تحويرات ضرورية

والمعروف ان محمد السباعي أديب معروف له فضل القيام بترجمة عدد من مسرحيات شكسبير الى جانب كتب عديدة عربها عن الانكليزية . هذا المترجم كان أبرز من حرصوا على صياغة اليمين الشكسبيرى صياغة اسلامية صرفة . مثلا فى مسرحية كوريولانس (٣) التى نشرت ترجمتها عام ١٩١١ ـ وهى مسرحية تقع احداثها فى اقدم حقبات التاريخ الروماني فى اواخر القرن الخامس قبل الميلاد ـ فى ترجمة هذه المسرحية بالذات كانت الايمان التى استعملها السباعى اسلامية المفهوم والصياغة اكثر منها فى اى ترجمة اخرى . مثلا فى هذه المسرحية يغضب كايوس مارسيوس فى حواره مع منينيوس فيستعمل يمين « الموت » (كوريولانس ف ١ ، م ١ ، س ٢٠٣) * وذلك يعنى كما يفسره هاريسون (٤) « قسما بموت الرب » وهذا القسم كما لا يخفى لا يقبله المشاهد المسلم بل يراه كفراً وتجديفاً لعلمه بان الله خالد ازلى « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام » لذا فان القسم فى الترجمة العربية يجب ان يتغير

مشكلات في ترجمة شكسبير إلى العربية

تغييراً جذرياً او ان يحذف . وقد آثر المترجمون العرب ان يحوروا هذا القسم بما يلائم مجتمعهم . فترجمه السباعي هكذا : « قسما بالموت الزؤام » اى بالموت المفاجيء (كوريولانس صفحة ١٤ ، س ١٤) (٣) . اما على امام عطية الذى ترجم هذه المسرحية عام ١٩٢٧ اى بعد السباعى بستة عشر عاما ، فانه حور القسم كما فعل السباعي ولكنه استعمل تعبير « قسما بالموت » (ص ١٦ ، س ١٠) (٥) .

وسواء كان المترجمان الفاضلان على علم بحقيقة معنى هذا القسم المرفوضة من قبل مستمعيهم ام لم يعلما ، فان الاسلوب المنبرى الذى استعملاه فى الترجمة كان موفقا كما ان التعبير جاء مقبولا لا يسبب احراجا لاحد . اما فى ترجمة جبرا ابراهيم جبرا لهذه المسرحية عام ١٩٧٤ (٦) فقد انقلب القسم الى سباب بقوله « باللعنة » (ص ٥١ ، س ٣) . ومع ان هذا التعبير لا يلتزم بحرفية النص الا انه يحافظ على مزاج الغضب الذى قصده شكسبير فى المشهد .

وعند تناول اللعن الوثني « بلوتو والجحيم » (ف ١ ، م ٤ ، س ٣٦) الذى يرميه ماريوس فى وجه الجنود الرومان حين تراجعوا امام العدو ، فقد تصرف السباعى بهذه اللعنات تصرفا جميلا وكانها سباب صادر من مسلم حانق يتكلم فى جمع من المسلمين ذلك لانه كان يعلم بانه يكتب لجمهور تجهل اكثريته شخوص الاساطير اليونانية ـ الرومانية امثال بلوتو فاختار ان يغير التعبير بما يشبهه بعض الشيء بدلا من التمسك بحرفية النص ثم قام بشرح ذلك فى هامش للصفحة فترجم التعبير هكذا « اين انت يا مالك واين جهنم فتبتلعهم » (كوريولانس ص ٣٠ ، س ١٥) . وبذلك غير اسم بلوتو سيد العالم السفلي فى اساطير الرومان باسم مالك خازن النار فى العقيدة الاسلامية . ومالك مفهوم اسلامي صرف بعيد عن عالم شكسبير وعقائده وثقافته . الا انه يلائم اذن المستمع العربى وذوقه الى جانب تعبيره عن المزاج الذى اراده شكسبير للمشهد . اما المترجم عطية (٥) فانه تجاهل شخصية بلوتو ولم يعوضها بشخصية اخرى بل انه وضع جملة جديدة من عنده فقال « ليت جهنم تفغر فاها فتبتلعهم » (ص ٢٦ ، س ٢) وهو تعبير لا يتعارض مع عقائد العرب ولا يمس اوتارا حساسة . كما ان استعمال كلمة جهنم باللغة العربية لا يحمل وقعا غير مهذب كما هو الحال فى الانكليزية . لذا فقد تناولها المترجمون بسهولة ومن دون تحرج كما سيظهر لنا فى هذا البحث .

اما جبرا فان ترجمته المتـــاخرة للمسرحية عام ١٩٧٠ كانت لجمهور عربى اوسع اطلاعا على اداب اليونان والرومان من جمهور المترجمين السابقين لذا فانه ترجم اللعنة ترجمة تكاد تكون حرفيـة « بالبلوتو والجحيم » (ص ٦٥ ، س ١٦) معتمداً على حسن فهم المثقفين من العرب لهذه المعانى .

وفى الخطبة ذاتها من هذه المسرحية يقسم مارسيوس مهدداً جنوده بقـوله « قسما بنيران السماء سوف اترك العدو واشن حربى عليكم » (ف ١ ، م ٤ س ٣٩ ـ ٤٠) وهنا يسوق السباعى قسما بليغا رائعا عظيم الوقع فى النفس ماخوذا من القران المجيد نصا فيترجم « والسـماء والطارق » . والطارق الذى ورد فى الآية الكريمة فى مستهل سورة ٨٦ من القران المجيد هو النجم الثاقب . وقد فسر كل من هاريسون (٤) وربنر وكتردج (٧) نيران السماء بانها النجوم . فتعبير السباعى اذن يمكن ان يعتبر ترجمة حرفية جميلة بليغة امينة للنص وملائمة لذوق ومزاج المستمع العربى. اما عطية فانه اهمل ذكر هذا القسم ولم يورده كليا فى ترجمته . واما جبرا ، فانه تمسك حرفيا بنص بيت الشعر دون معناه فقال : « قسما بنيران السماء » (ص ٦٥ ، س ١٧) متجاوزا المعنى المتفق عليه والذى يشير الى نجوم السماء .

وهنالك فى المسرحية نفسها نصيحة من منينيوس الى كوريولانس حين يهم الاخير بان يقوم خطيبا فى الناخبين اوردها شكسبير حرفيا هكذا « بهدوء اتوسل اليك (ف ٣ ، م ٣ ، س ٣١) . وقد طور عطية هذا التعبير باضافة قسم من عنده ليس فى النص فقال : « استعمل الهدوء وفقك الله الى هداه » (ص ٨٠ ، س ٢٠) . اما جبرا فانه كعادته تمسك بحرفية النص فترجم العبارة هكذا « بهدوء اتوسل اليك » (ص ١٥٠ ، س ٩) وفى رايي اننا لو ترجمنا العبارة بقولنا « بهدوء رحماك » او « وكن هادئا رحماك » لجمعت الترجمة بين حرفية النص وايجازه وبين سلامة الاستعمال اللغوى وطبيعة مزاج المستمع العربى فى آن واحد .

وفى مسرحية روميو وجوليت فى اول بيت منها يمين بسيط من قبيل اللغو فى قول احد خدام بيت كابيوليت « كريكورى وكلمتي ، لن نحمل الفحم » . وهذا قسم غير مستعمل فى العربية . لذا تصرف فيه المترجمون بما راوه مناسبا . فقد ترجمه باكثير (٨) بكلمة « قسما » وترجمه عنانى (٩) بكلمة « اقسم » اما مؤنس طه حسين (١٠) . فقد استعمل كلمة «لعمرى» وكلها تعابير سليمة كثيرة الاستعمال فى العربية . الا اننا نرى فى ترجمة مؤنس طه حسين معنى قريبا جداً من القسم الذى استعمل فى الانكليزية الى جانب سلامة التعبير واصالته وجمال وقعـــه على المشاهدين .

اما يمين « مارى » (ف ١ ، م ١ ، س ٣٤) الذى جاء بعد ذلك فى الحوار بين الخادمين والذى تقول ادوردز (١١) بانه تعبير مشتق من اسم العذراء عليها السلام ، فقد اهمل ذكره المترجمون الثلاثة جميعهم من دون مبرر . ومرة اخرى لم يشكل ذكر الجحيم فى هذه المسرحية صعوبة تذكر عند الترجمة . ففي قول تيبلت « اكره هذه الكلمة كما اكره الجحيم » (ف ١ ، م ٢ ، س ٦٤ ـ ٦٥) تمت ترجمة هذه العبارة من قبل المترجمين جميعا باستعمال كلمة « جهنم » او « جحيم » من دون تحرج او تردد .

اضافة للنص

وفى اضافة المترجم لقسم لا وجود له فى النص امثلة عديدة منها ما فعـــل باكثير (٨) فى مسرحية روميو وجوليت عند ترجمة قول الامير « لتكونن ارواحكم طعما للسلام » (ف ١ ، م ١ ، س ٩٠) فترجمها باكثير والله لتكونن ارواحكم طعما للسلام » وقد اضفى هذا اليمين على الاصل تلقائية فى استرسال الكلام . ذلك ان القسم فى هذا الموضع وارد جداً على لسان العربى الذى يريد ان يعطي كلامه صفة التاكيد والتاثير ، فارتاى باكثير ان يضيفه بصرف النظر عن النص الشكسبيرى . كذلك فعل عند ترجمة قول

ليدى مونتاكو عن ولدها « انا مسرورة لانه لم يحضر هذه المماحكة » (ف ١ ، م ١ ، س ١١١) فجاءت ترجمة باكثير منسجمة مع ما تقوله أم عربية فى مثل هذه المناسبة « يا رب لك الحمد اذ لم يكن حاضراً اليوم » (ص ١٤ ، س ٤) والحمد بهذه المناسبة ينطلق من الأم العربية تلقائيا من دون شك لذا فقد اضافه باكثير بصرف النظر عن الالتزام بحرفية النص كما اسلفنا .

كذلك فعل باكثير فى مشهد اخر من المسرحية ذاتها حين يسال بنفوليو والد روميو (مونتاكو) هل يعرف لماذا يبدو روميو منعزلا متجنباً لقاء الآخرين فيجيب مونتاكو بانه سال روميو كما تساءل عن ذلك الكثير من الصحاب . ونص هذا البيت هو « من قبلي ومن قبل كثير من الاصدقاء » (ف ١ ، م ، س ١٤٠) . فيضيف باكثير نصا لا وجود له فى النص فيقول « اى وربي كم توخيت بنفسي وكثير من صحابى ذاك » (ص ١٥ ، س ٤ ـ ٥) . ومرة اخرى اضفى اليمين على قول الوالد المشفق تلقائية عربية سلسة على كونه مقحم على النص الشكسبيرى .

وفى مكان آخر حشر باكثير قسمه المفضل حيث لا يحوى النص قسما وذلك حين يتحدث بنفوليو مع روميو عن روزالين فيجيب روميو بالايجاب « She hath » (ف ١ ، م ١ ، س ٢١١ ـ ٢١٢) فترجم ذلك باكثير بتعبير « اى وربي » (ص ١٨ ، س ١١) .

وبهذه المناسبة نذكر بان لكل مترجم قسمه العربى المفضل الذى يتكرر كثيراً فى الترجمة . فان احب قسم الى نفس باكثير عند ترجمة شكسبير الى العربية هو « اى وربي » الذى يرد كثيراً فى ترجماته . اما مؤنس طه حسين فانه يفضل تعبير « لعمرى » . واما عناني فانه لا يؤثر قسما واحداً بل هو يغير تعابيره حسب ما يراه ملائما لمقتضى الحال .

و مربية جولييت بالنظر لعقليتها وطبيعة صفاتها تكثر من استعمال الايمان . ولكن معظم ايمانها تكون خفيفة من قبيل اللغو فى الايمان . كالقسم الذي تفوه به حين تسال كم تبلغ جولييت من العمر فتقول « والعقيدة استطيع ان اعطي عمرها الى حد الساعة » (ف ١ ، م ٣ س ١١) . هنا حذف باكثير هذا القسم من الترجمة في حين ترجمه مؤنس طه حسين ترجمة موفقة بقوله « لعمري » (ص ٤١ ، س ٢١) . وفي المشهد ذاته تقسم المربية مرة اخرى فتقول « والصليب » (ف ١ ، م ٣ س ٣٦) والمقصود هو صليب السيد



صورة نادرة تجمع بين د . طه حسين وقرينته السيدة سوزان ، وابنهما مؤنس طه حسين الذى ترجم بعد ـ انهاء دراساته ـ بعض مسرحيات شكسبير إلى العربية .

المسيح عليه السلام (٧) فيهمل باكثير هذا اليمين ويترجمه مؤنس طه حسين حرفيا بتعبير مستعمل في اوساط النصارى العرب فيقول « باسم الصليب » (ص ٤٢ ، س ٣٦) وكذلك يفعل في ترجمته (ص ٨٥ س ٤٠) التزاما منهما بحرفية النص الذي له ما يطابقه في العربية .

وفي مشهد آخر يقول ابن عم كابيوليت « قسما بسيدتنا » (ف ١ ، م ٥ ، س ٣١) وقد ترجم مؤنس طه حسين هذا القسم بتعبيره المفضل «لعمر العذراء » (ص ٥٧ س ٣٢) اما باكثير فقد اعطاه طابعا اسلاميا باستعماله صفة قرآنية للسيدة العذراء فقد ترجمه هكذا «وحق البتول » (ص ٣٦ ، س ١٣) . فجمع بين امانة الترجمة وجمال التعبير . في حين ترجمه العناني بقوله « اقسم بالعذراء » (ص ٨٧ س ١٦) . وكل هذه التعابير امينة للنص الا اننا نرى في ترجمة باكثير تعبيراً منسجما والجو الشعري الشكسبيري .

ولا يفوت باكثير فرصة لاضافة قسم الى ابيات شكسبير حين يحس بان المناسبة تقتضى ذلك لاضفاء تلقائية الحوار العربي عليها . لذا فانه اضاف الى قول تيبالت الذي نصه « انه هو ، روميو ذلك اللئيم » (ف ١ ، م ٥ ، س ٦٢) قسما من عنده فجعله « اي وربي انه روميو اللئيم » (ص ٣٧ ، س ٢٣) .

مترجم آخر لشكسبير هو خليل مطران الذي ينتمي الى جيل السباعي فراه يتعامل مع الايمان الشكسبيرية بشكل كثير الشبه بتعامل السباعي معها . مثال على ذلك يظهر في المشهد الاول لمسرحية هاملت (١٢) حين يتبادل برناردو نوبة الحراسة من فرانسسكو يقول له في النص الانكليزي « حسنا طاب مساؤك » (ف ١ ، م ٢ ، س ١١) فيترجم مطران الدور هكذا « اذهب راشداً ، طاب مساؤك » (ص ١٠ ، س ٢) . وهذا التمني الاسلامي الشائع في كلام العرب « اذهب راشداً » يعيد الى الذهن معالجة السباعي التي مر ذكرها بكلام منينيوس الى كوريولانس حين ينصحه بكبح غضبه والتزام جانب الهدوء .

مشاكل أخرى

ومن العجب ان النصوص الشكسبيرية حين اوردت ايمانا قريبة من الايمان العربية كان ذلك يشوش بعض المترجمين العرب فيلجاون الى ترجمة حرفية غالبا ما حورت طبيعة القسم نفسه . مثال ذلك في مسرحية هاملت جاء على لسان هوراشيو حين رأى ظهور شبح الملك الميت « امام ربي / ما كنت لاصدق هذا / لولا التاكد الصحيح الواعي / لعيني رأسي » (ف ١ ، م ١ ، س ٥٧ ـ ٥٩) . والقسم بسيط لا تعقيد فيه كما انه مستعمل في كلام العرب الذين كثيراً ما يقولون « الله شاهد او الله شهيد او الله وكيل في لهجتنا العراقية » ولكن ترجمته اختلفت على ايدي المترجمين . ولقد جاء في معجم شمدت (١٣) ومعنى هذا القسم هكذا « والله » وهو قسم بسيط وشائع في كلام العرب . ولكن مطران اعطاه اداء معقداً بترجمته « اعترف بين يدي ربي » (ص ١٣ س ٦) . ومحمد عوض (١٤) ترجمه هكذا « اقسم امام الله » (ص ٣١ ، س ١٩) . اما ترجمة عبد القادر القط (١٥) التي

مشكلات في ترجمة شكسبير إلى العربية



يقول فيها « اشهد الله » (ص ٥١ ، س ٧) فاراها تجمع بين حرفية النص وجمال التعبير وشيوعه على لسان العرب . كما ان الترجمة البسيطة لكل من سامي جريديني (١٦) وجبرا ابراهيم جبرا (١٧) « والله » تجمع بين البساطة والأمانة للنص والانسجام مع كلام العرب .

مرة اخرى فى مسرحية هاملت تتباين الترجمات العربية حين يذكر هاملت الهة الاغريق الوثنية فى قوله « ذلك الملك الممتاز / مثل هايبريون الى ساتر » (ف ١ ، م ٢ ، س ١٤٠) فقد اثر المترجمون الاوائل لشكسبير اهمال ذكر هذه الآلهة كما فى ترجمة كل من جريديني ومطران ، للاسباب التى جعلت السباعى يهمل ذكرها فى ترجماته ايضا . وهى ادراك المترجم بان اكثرية من يترجم لهم من المشاهدين كانت تجهل اساطير الاغريق ولا تدرك قيمة ما ترمز اليه شخوصها . اما الترجمات المتاخرة لكل من جبرا وعوض والقط فانها تتعامل مع هذه الرموز بشكل مختلف بالنظر لعلمها بزيادة اطلاع الطبقة المثقفة العربية على اساطير الاغريق واسماء ابطالها وشخوصها ورموزها . مثلا جبرا فى تعريبه يضع اسماء الآلهة الاغريقية كما جاءت فى النص الاصلى ، ولكنه يفسر ماهية استعمالها فى شارحة على الهامش جامعا بذلك بين حرفية النص وبين تعريف القارىء العربى (وليس مشاهد المسرحية) بماهية الرموز الاسطورية . ذلك لان جبرا الاديب المبدع لا يمكنه ان ينسلخ عن جبرا الاستاذ الجامعى ورسالته فى نشر العلم . وعوض يفعل ذلك ايضا الا انه يسمى ساتر باسم « تيس » اى العنز (ص ٤٤ ، س ١١) . اما القط فكانه يحاول ان يسهل على المشاهد عبء التساءل عن تلك الاسماء فيترجم الاسماء برموزها ويسمى (هايبريون) « الشمس » (ص ٤٤ ، س ١) و (ساتر) « الشهوات » (ص ٦٥ ، س ٢) .

وفى مسرحية هاملت ايضا ، وبعد لقاء هاملت لشبح والده ، يساله صديقاه عن اخباره فيتردد فى البوح بسره خشية ان يفشياه لاحد فيطمئنه هوارشيو بقوله « لست انا ياسيدى والسماء » (ف ١ ، م ٥ ، س ١١٩) . فيتحول هذا القسم على يد مطران يمينا عربيا اسلاميا اذ يقول « اقسم برب العزة » (ص ٥٠ ، س ١٣) . وجبرا يترجمه « والله » وهو اليمين الشائع بين الناس . اما جريديني والقط فانهما يلتزمان بحرفية النص « وحق السماء » . واما عوض فانه يحذفه من ترجمته من دون مبرر والموقف يستوجب التاكيد لتطمين هاملت على سره .

كذلك يؤثر جبرا احيانا ان يحذف قسما موجودا فى النص الشكسبيرى كما فى المشهد الذى تذهب فيه اوفيليا الى والدها وتخبره بانها خائفة كثيرا . ففى الاصل يسالها والدها « مم تخافين ، بسم الله ؟ » (ف ٢ ، م ١ ، س ٧٦) ولكن جبرا حذف القسم فى نهاية السؤال وقال « ما الذى افزعك يا هذه ؟ » (ص ٥٦ ، س ٢٨) . ولا ارى مبررا لحذف هذا القسم فان الوالد العربى المسلم يستعمل قسما كقسم بولونيوس فى مناسبات مماثلة . وقد ارتاى مطران ان يحذف هذا المشهد كليا من ترجمته . اما جريديني فانه ترجمه مرة اخرى بالقسم الشائع « بالله » (ص ٣٩ ، س ٦) . ومحمد عوض يترجمه بقوله « ناشدتك الله » (ص ٧٤ ، س ٩) . والقط يترجمه « بالله عليك » (ص ١٠١ ، س ٨) . وكلها ايمان مقبولة للاذن العربية منسجمة مع اشفاق اب على ابنته فى موقف كهذا . ولكن حرفية النص التى تقول « بسم الله » تكاد ان تطابق التعبير العربى الاسلامى الشائع ولا افهم لماذا تجنب استعماله المترجمون جميعا .

اخيرا وكما يقول كمال نادر (١٨) فان قضايا العقيدة والدين والقسم لا تشكل مسالة اساسية فى النصوص الشكسبيرية . ولم يقصد شكسبير ان يستخدم مسرحياته للتبشير الدينى ولا للمواعظ العقائدية قط . والقسم فيها لم يكن مقصودا لذاته بقدر ما كان جزءا من طبيعة كلام شخوصه . ولكن عند الترجمة الى العربية لابد ان تؤخذ صيغة اليمين واسلوب ذكر الله بنظر الاعتبار كشان بقية اوجه اساليب الترجمة الموفقة ، علما بان اكثرية الايمان يمكن ترجمتها حرفيا الى ايمان عربية اسلامية شائعة فى لسان العرب . فان نجاح المسرحية المترجمة يقاس بسلاسة حوارها وحسن وقعه فى اذان جمهور المشاهدين الى جانب امانتها للنص الاصلى للمؤلف فى اللفظ والفكر والروح .

أمل أمين زكى

رئيسة قسم اللغة الانجليزية - كلية الآداب

جامعة الامارات العربية المتحدة - العين

هوامش

(١) كاظم فتحي الراوى - اساليب القسم فى اللغة العربية . بغداد (١٩٧٧) مطبعة الجامعة .

(٢) للاستزادة : انظر والتر رالي كوبدج (١٩٦٧) ايمان ولعنات شكسبير . اطروحة غير منشورة - جامعة اندبانا .

(٣) محمد السباعي - كوريولانس - القاهرة (١٩١١) مكتبة التاليف .

(٤) ج . ب . هاريسون - الاعمال الكاملة - صفحة ١٢٧٢ ملحوظة ٢٢١ .

* ف = فصل ، م = مشهد ، س = سطر .

(٥) علي امام عطية - كوريولانس - المكتبة الملوكية - القاهرة (١٩٢٧) .

(٦) جبرا ابراهيم جبرا - كوريولانس (١٩٧٤) وزارة الاعلام - الكويت .

(٧) ربنر وكتردج (١٩٧١ ،

(٨) علي احمد بكثير - روميو وجولييت - القاهرة ١٩٦٩ - مكتبة مصر .

(٩) عناني - روميو وجولييت - القاهرة ١٩٦٥ مسرع نيسان المجلد (١٦) .

(١٠) مؤنس طه حسين - روميو وجولييت - القاهرة ١٩٦٨ دار المعارف .

(١١) ادوردز ، ملريان (١٩٧٤)

(١٢) خليل مطران - هاملت - القاهرة ١٩٥٨ - دار المعارف .

(١٣) شمت (١٩٦٨) Shakespeare Lexicon

(١٤) محمد عوض - هاملت - القاهرة ١٩٧٢ - دار المعارف .

(١٥) عبد القادر القط - هاملت - الكويت ١٩٧١ - وزارة الاعلام .

(١٦) سامي الجريديني - هاملت - القاهرة ط . اولى ١٩١٢ ط ، ثانية ١٩٣٢ المطبعة الرحمانية .

(١٧) جبرا ابراهيم - هاملت - القاهرة ١٩٧٠ - دار الهلال .

(١٨) كمال نادر - شكسبير والمشاهد المتكلم العربية - اطروحة غير منشورة (١٩٥٨) جامعة برمنكهام صفحة ١٦٦ .

مسيرة الخير في قطر

جزء خاص بمناسبة ٢٢ فبراير

كلنا يعرف عظمة ماضي أمّتنا في العهود التي تجلى فيها تمسّكنا بأهداب مبادئ ديننا السامية. وجدير بنا ونحن نستذكر هذه الحقيقة التاريخيّة، أن نتخذ منها نبراسًا يهدينا إلى السبيل الأمثل لمواجهة الظروف البالغة الدقّة التي نجتازها، ذلك السبيل الذي يأمرنا الله سبحانه باتّباعه، ألا وهو توحيد صفّنا وتحقيق تضامننا.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع أمّتنا على طريق الحق، وأن يوفقها إلى الاعتصام بحبله، لتحقق - بما تملك من إمكانات هائلة - ما تنشده لنفسها من مكانة وعِزّة وقوّة ومنَعَة، وتسهم بنصيب موفور في تأمين ما نرجوه من خير عميم للإنسانيّة جمعاء.

قال الله تعالى، وهو أصدق القائلين:

"وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم"

من خطاب سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
في افتتاح الدور العادي الثاني عشر لمجلس الشورى
"٦ ربيع الأول ١٤٠٤هـ - ١٠ ديسمبر ١٩٨٣م"





حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

معالم السياسة التعليمية في قطر

بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم



يصادف ٢٢ فبراير ذكرى تولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم في البلاد ، وهذه الذكرى تعني اشياء كثيرة وكبيرة بالنسبة للتربية والتعليم . إن صاحب السمو امير البلاد المفدى كان من اول قادة مسيرة التربية والتعليم في دولة قطر الحديثة ، وبقيادة وتخطيط ومتابعة منه اتخذ قرار تعميم التعليم المنهجي المنتظم في دولة قطر ، لذلك ما ان تولى سموه مقاليد الحكم في البلاد حتى اخذ يعمل بكل اخلاص على تحويل الحلم الكبير الى حقيقة تعيش على ارض الواقع ، وبرغم اعباء الحكم فقد بقي سموه يوالي التربية والتعليم بالتوجيه الرشيد والارشاد السديد ، ويولي المشروعات التربوية كل اهتمام وعناية ورعاية .

لذلك كله حظيت التربية منذ ٢٢ فبراير سنة ١٩٧٢ حتى اليوم بقفزات رائعة في تطورها من حيث الكيف والكم ، فقد توسع التعليم افقيا حتى شمل كل تجمع سكاني على ارض قطر للبنين والبنات والصغار والكبار ولجميع مراحل التعليم ، وراسيا حتى شمل مراحل التعليم بما فيها التعليم الجامعي ، وشملت مجانية التعليم جميع مراحله بما فيها التعليم العالي حتى حصول المتعلم على اعلى الدرجات العلمية التي تحمله اليها امكاناته وقدراته . وتحسنت جميع مدخلات العملية التعليمية البشرية من إدارة تربوية وتوجيه وإدارة مدرسية ومعلمين ووظائف مساعدة ، ومادية من مناهج وكتب ووسائل واجهزة ومعدات وآلات وادوات وبيئة مدرسية وتسهيلات تعليمية ، وتضاعف الانفاق على التعليم للارتقاء بالكيف والكم معا .

ومجرد مقارنة بين ما كان عليه التعليم في العام الدراسي ١٩٧٣/٧٢ والعام الدراسي ١٩٨٤/٨٣ توضح مدى التطور الحادث في كم التعليم :

- كان عدد الطلاب في التعليم العام والتخصصي ٢٣٣٩٢ طالباً وطالبة فاصبح ٤٧٢٨٥ طالباً وطالبة .
- وكان عدد طلاب البعثات ٥٥٢ فاصبح ٤٢٠٢ طالباً وطالبة .
- وكان عدد طلاب مدارس الكبار ومحو الامية ٣٢٨٢ فاصبح ٩٤٦٥ طالباً وطالبة .
- وكان عدد المدارس ٩٣ فاصبح ١٦١ مدرسة .
- وكان عدد المعلمين ١٣٧٤ فاصبح ٤٥٤٩ معلماً ومعلمة .
- وكانت الميزانية ٦٨/٣٦٩/٥٢٠ فاصبحت ١/٠٨٤/٥٩٨/٩٧٤ ريالا قطرياً .

وهذا بخلاف اعداد الطلاب في جامعة قطر الذين اصبحوا ٤٢٠٢ طالباً وطالبة هذا العام ، واعداد الخريجين الجامعيين الذين وصلوا عام ١٩٧٣ إلى ١٤٥ خريج وخريجة ، فاصبحوا في العام الدراسي ١٩٨٤/٨٣ (٢٨٥٩) طالباً وطالبة .

ويتبين من هذه المقارنة مدى النمو الحادث في العملية خلال فترة تعتبر وجيزة جداً في عمر الزمن . على ان النمو الحادث في نوع التعليم من حيث نوعية المناهج والكتب المدرسية والوسائل والتسهيلات التعليمية والمستحدثات التربوية ، يعتبر اهم ما تحقق للتعليم في بلادنا ، حتى غدا مستوى التعليم في دولة قطر محل تقدير مختلف الأوساط التعليمية والتربوية اقليمياً وعربياً ودولياً .

وتتميز التربية في دولة قطر بعدة امور قد تلتقي فيها مع التربية في دول اخرى اقليمية وعربية من قريب او بعيد ، ولكنا نعتبرها اهم مميزاتنا التربوية وهي :

- استقلالية الشخصية التربوية : اننا امة لها مميزاتها الخاصة بها كامة عربية اسلامية لها عقيدتها السمحة ، ودينها الحنيف ، وحضارتها العريقة ، وتراثها الاصيل ، وتاريخها الناصع ، وسجاياها الجليلة ، وقيمها النبيلة ، لذلك يجب ان يشب ابناؤنا على الولاء الوجداني العميق لهذه الامة ، وعلى الاعتزاز بالانتماء اليها انتماء لا يخالجه شك ، ولا يخامره تردد ، مهما عصفت بها

الأنواء ، وتراكمت امامها التحديات .

ومن هذا المنطلق تحرص مناهجنا على ترسيخ التربية الايمانية فى نفوس ابنائنا من ايمان بالله الواحد الاحد وايمان برسوله صلى الله عليه وسلم ودينه وشريعته ، الى تمثل هذا الايمان منهاج سلوك واسلوب حياة ، ونموذج عمل وتعامل ، وتتضح هذه الصورة لكل من يطلع على مناهجنا سواء اكان ذلك فى العلوم الشرعية من علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والتوحيد والسيرة او فى اى مادة من المواد او اى ممارسة على المستوى الاجرائي فى العملية التعليمية . ويوضح الميثاق الاخلاقى لمهنة التربية والتعليم فى دولة قطر هذا الاتجاه بما لا يدع مجالا للشك .

● المواءمة بين الاصالة والتجديد : واننا مع حفاظنا على اصالتنا وعراقتنا وتراثنا واعرافنا وتقاليدنا المستمدة من ديننا الحنيف ، بحيث تبقى لنا شخصيتنا العربية الاسلامية المتميزة ، لم ننس اننا نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين ، حيث التقدم العلمي والتفجر المعرفى والتطور التقني ، وحيث كل يوم يحمل جديداً فى عالم تميز بازدياد الترابط وسرعة الاتصال ، لذلك فاننا قد عملنا بحرص على التوازن بين هذا وذاك ، نرعى اصالتنا بعين ونرمق التجديد والتطوير فى عصر الذرة وغزو الفضاء بالعين الاخرى .

● منطلقات السياسة التربوية : وسياستنا التربوية تنطلق من القيم والمثل التى نؤمن بها وندين لها ، ومن المبادىء التى تتبناها الدولة فى الرعاية الشاملة لابنائها ، وفى مقدمتها الرعاية التربوية لذلك تؤكد السياسة التربوية على مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لابنائنا ، وعلى مجانية التعليم مجانية مطلقة ، وعلى مسئولية الدولة مسئولية مباشرة فى تامين التعليم الملائم لابناء وطننا ، بما فى ذلك الموهوبون والمعوقون ، وعلى ان التعليم حق لكل من يعيش على ارض قطر ، وعلى قيام الدولة بواجبها فى ميدان التربية والتعليم تجاه البلاد العربية والاسلامية الشقيقة ، وتجاه الجاليات الاسلامية فى شتى ارجاء المعمورة ، لذلك تجد فى مدارسنا طلابا من مختلف البلاد العربية وفى معاهدنا وكلياتنا طلاباً من عشرات الجاليات الاسلامية فى شرقى العالم وغربيه . وبذلك تنطلق سياستنا التربوية من قيمنا ومثلنا وانتمائنا الوطنى والقومى والدينى .

● موضوعية استراتيجية التطوير : واستراتيجية التطوير التربوي لدينا تنبثق من احتياجات حقيقية ، تقوم على الدراسة الجادة والبحث المتعمق والتغذية الراجعة من الميدان ، فالتطوير له اهميته فى مواكبة المعاصرة ولكنه يجب ان يبنى على ارض صلبة بحيث يتقبله الواقع ولا يلفظه ، ويهضمه ويتبناه ، ويتحمس له ، فالتطوير ليس حلية تربوية ولا يجب ان يتم التطوير لوجه التطوير ، وانما لضرورات تربوية ملحة ، ولهذا فان التطوير لدينا يقوم على البحث التربوى المتعمق وعلى تحليل موضوعي لمعطيات الواقع ، ومن هنا ياتي اهتمامنا بالبحوث التربوية والبحوث العلمية ، وتشارك كل الكفايات المتوافرة لدينا فى عمليات البحث حتى اذا ما اكدت المعطيات والمؤشرات والوقائع ضرورة التطوير ، نجري عمليات التطوير ، بادئين بالتجريب للمنهاج المطور او النظام المطور مع موالاته بالمتابعة والتقويم المستمر ، وبعد ذلك يعمم .

● التحسب للمستقبل : ونحن ندرك ان ابناءنا خلقوا لزمان غير زماننا ، وهم رجال المستقبل بكل فئاته ، وواقع المستقبل يختلف كليا وجزئيا عن واقع الحاضر الحياتي ، لذلك نحاول ان تستوعب مناهجنا تحسباً علمياً مدروساً لهذا المستقبل .

والتربية والتعليم تعنى بالانسان والانسان بطبيعته حي نام متطور ، لذلك يجب ان تكون التربية بكل مدخلاتها متطورة نامية متجددة على الدوام وإلا حكم عليها بالتحجر والجمود والتوقف ، وتطوير اليوم لا يمكن ان يكون نهاية المطاف بل هو تطوير مرحلي سيناله التطوير غداً او بعد غد او فى اي فترة زمنية لاحقة . اما عن جهود التطوير فقد احتوت كل مدخلات العملية المادية والبشرية ، ومن اهم هذه الجهود : تطوير المناهج والكتب المدرسية ، وتطوير التقنيات التربوية ، وتطوير البيئة المدرسية ، وتطوير اعداد المعلم وتدريبه ، وتطوير الخدمات الصحية المدرسية الوقائية والعلاجية ، وتطوير النظم التربوية ..

اما التعاون الخليجى فى مضمار التربية والتعليم فهو يعود بجذوره التاريخية الى بداية النهضة التعليمية فى دول الخليج العربية ، فمنذ البدايات الاولى كان التعاون قائماً على اساس تبادل المعرفة والرأي والمشورة ثم تعزز هذا التعاون بتوقيع اتفاقيات ثقافية ثنائية بين بلدان المنطقة وفى اوائل السبعينات شعر وزراء التربية والتعليم والمعارف فى دول المنطقة بضرورة تنظيم جهد تعاوني جماعي بين دول المنطقة وبخاصة فى مضمار التربية والتعليم ، نظراً لشعورهم بالتقارب الكبير بين دول المنطقة فى الاهداف والغايات والطموحات واشتراكها فى مواجهة التحديات والمصير المشترك ، وتمخض عن هذه الجهود انشاء مكتب التربية العربى لدول الخليج فى الرياض ويمكن القول ان المكتب قد خطا خطوات كبيرة فى اجراء عمليات التنسيق والتكامل بين الجهود التربوية المختلفة .

اما النتائج الفعلية فقد كان من اهمها : انشاء جامعة الخليج فى البحرين بجهد مشترك ، وانشاء مركز البحوث التربوية فى الكويت ، وتوحيد الاهداف التربوية لدول المنطقة ، وعقد لقاءات دورية بين وكلاء وزارات التربية فى المجلس التنفيذى للمكتب ولقاءات دورية بين وزراء التربية والتعليم فى مؤتمرات وزراء التربية بدول الخليج ، ولقاءات متعددة ومتنوعة بين الاختصاصيين والمسؤولين فى مختلف قطاعات التربية ومديري الجامعات ، وكذلك اللقاءات الطلابية ، وهذه اللقاءات لها نتائج كبيرة على المدى البعيد اذ توحد المنطلقات الفكرية للعاملين فى التربية ، والمفاهيم الاساسية لاجيال المستقبل ، بما تتيحه من تبادل الآراء والافكار والخبرات وتفاعلها .

وما نؤكده هو اننا نشعر باننا نسير على الطريق الصحيح والسبيل القويم ، ومعنى ذلك اننا سنصل يوماً ان شاء الله فنحن ابناء شعب واحد ودين واحد واصول واحدة وتراث واحد ، وتاريخ مشترك ، ونواجه اليوم نفس التحديات ونفس المصير المشترك الواحد . واننا نرجو الله تعالى ان يبارك هذه الجهود لما فيه خير شعوبنا وامتنا .

محمد بن حمد آل ثاني

العمل الاجتماعي في قطر

واقعه الراهن وطموحاته المستقبلية

بقلم
علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية



استطاعت دولة قطر خلال السنوات الماضية ان تمضى فى مسيرتها المباركة بخطوات ثابتة ، وان تقطع شوطا جديداً هاماً على طريق الانجازات الكبيرة ، من اجل تحقيق اكبر قدر من التنمية فى اقصر وقت ممكن ، واثبتت الدولة الفتية طوال هذه السنوات ان انجازاتها التى تبلورت فى شكل مشروعات عمرانية وخطط تنمية ومواقف سياسية ، كانت ومازالت تشكل ترجمة عملية للمبادىء والالتزامات التى حددها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة ابن حمد آل ثاني امير البلاد المفدى ، فى النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم فى قطر .

والواقع ان مقومات التنمية الاجتماعية التى اكدها النظام الاساسى المؤقت المعدل للحكم فى البلاد ، ما هى فى الحقيقة إلا مقومات كل مجتمع ديمقراطى سليم ، تسوده العدالة الاجتماعية التى هى قمة الطموح الانسانى .

ومن هذا المنطلق كان تطلعنا إلى تحقيق تلك الاهداف السامية بامل مفعم بالايمان ، حيث سعت وزارة العمل والشئون الاجتماعية إلى وضع هذه الاهداف موضع التنفيذ بقدر المستطاع ، فاعطت القسط الاكبر من العناية والاهتمام لكافة مشروعات الرعاية الاجتماعية ، مستهدفة العمل على تطويرها على احدث وافضل السبل المتاحة .

وقامت خطة العمل فى وزارة العمل والشئون الاجتماعية على اسس عامة اهمها : رسم سياسة الوزارة على ضوء السياسة العامة للدولة واهدافها ، العمل فى اطار الخطة العامة للدولة ، التنسيق الشامل بين الخدمات الاجتماعية فى كافة المجالات تحقيقاً لمبدأ التكامل والتوازن فى الخدمات تبعاً للاحتياجات ، اتباع سياسة تطوير اعمال الوزارة فى المضمون والاسلوب ، التعاون مع باقى الوزارات والهيئات ذات الصلة بميادين عمل الوزارة وتنسيق العمل معها اسهاماً فى تحقيق الاهداف المرجوة ، الالتزام بمبدأ الاولوية فى اداء الخدمات والاستفادة منها ، وضع الضوابط الكفيلة بتنظيم ممارسة العمل ووضع مقاييس لجدية العمل فى ادارات الوزارة والأقسام التابعة لها ، ربط العمل بسياسة التخطيط العلمى ، وضع افضل الحلول للمشاكل والصعوبات التى تعترض كفاية الاداء وحسن التنفيذ .

العمل والتنمية الاجتماعية

ولان العمل الاجتماعى لم يعد محصوراً ضمن اطار المفهوم التقليدى الذى يتوقف عند تقديم الخدمات ، فان الانشطة المتعددة لوزارة العمل والشئون الاجتماعية وضعت فى اعتبارها اهمية ارتباط العمل الاجتماعى بالتنمية الاجتماعية المرتكزة على توفير الامكانات والوسائل التى تكفل انطلاق الطاقات البشرية والقدرات المادية فى ظل رؤية واضحة للاهداف، وخطة العمل السليمة التى تنشر تحقيق الرقى والرخاء للمجتمع كله .

وقد قامت وزارة العمل والشئون الاجتماعية على الصعيد الاجتماعى ، بتنمية الأنشطة الجماعية من خلال ايجاد المؤسسات الاجتماعية والاهلية ودعمها وتوفير الامكانات الفكرية والفنية التى تمكنها من القيام بدورها فى تنمية وتطوير المجتمع .. اما فى ميدان العمل فانها تتبع احدث تشريعات العمل ونظمه واساليبه وظروفه ، وتعمل على ايجاد المناخ الذى يساعد على رفع الكفاءة الانتاجية وتحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى فى ظل علاقات سليمة ومستقرة بين طرفى الانتاج.

وقد نهجت الوزارة منذ انشائها على تطوير وتعزيز اداراتها المختلفة ، فاعدت مشروع قانون باعادة تنظيمها تضمن انشاء ادارات جديدة للتعاون والتخطيط والشئون الفنية والشئون الادارية والمالية ، فصدر القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ بتنظيم وزارة العمل والشئون الاجتماعية وتحديد اهدافها وصلاحياتها ، ونظامها

الداخلى بشكل يؤمن تيسير وتنسيق وحسن تادية العمل الادارى بالوزارة .

واعطت الوزارة اهتماما كبيرا للجانب الاجتماعى ، فاصبحت هناك ادارة خاصة بالشئون الاجتماعية تعمل على تطبيق الضمان الاجتماعى وتوفير المساعدة والعون للفئة المحتاجة ، وانشات مكاتب فرعية فى مدينتي الخور والشمال لتقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين فى اماكن اقامتهم ، بالاضافة الى انشاء مركز التدريب والتاهيل الاجتماعى للسيدات والفتيات القطريات بهدف تحسين الوضع الاجتماعى للأسرة ، وإتاحة الفرصة امام المتدربات للعمل المنتج والانتفاع به من خلال التدريب على بعض المهارات والحرف التى تتوافق وقدراتهن . وقد بلغت المساعدات الاجتماعية التى شملت ٦٦٠٩ حالة اجتماعية هذا العام (٧٦ر٥٠٤ر١٥٠) أى ستة وسبعون مليونا وخمسمائة واربعة الاف ومائة وخمسون ريالا قطريا .. وهذا بالاضافة إلى تعاون الوزارة مع بعض المخلصين من ابناء قطر لانشاء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين ، التى حققت العديد من المساهمات الأهلية فى هذا المجال الاجتماعى والانسانى الهام .

وقد استمرت الوزارة ـ بالتعاون مع وزارة الاشغال العامة ـ فى تنفيذ سياسة الدولة الهادفة إلى انشاء المزيد من المساكن الصحية والعصرية للمواطنين ، فبلغ مجموع المساكن الشعبية والمجانية التى سلمت لأصحابها هذا العام (٧٢٧) مسكنا ، تتناسب مع عدد افراد أسرة المنتفع والتقاليد والعادات الاجتماعية .. كما انها حرصت ـ فى نفس الوقت ـ على تدعيم الحركة التعاونية وتعزيز الخدمات التى تقدمها الجمعيات التعاونية للمواطنين ، فراينا افتتاح سبع جمعيات تعاونية استهلاكية فى اماكن عديدة من البلاد ، ويجرى الاعداد لافتتاح المزيد من الجمعيات فى مناطق مختلفة ، وتولى الوزارة عنايتها ورعايتها لتامين مقومات النجاح لها ، وقد لمس الجميع النتائج الطيبة التى حققتها الجمعيات التعاونية القائمة ، وستظهر النتائج الفعلية بعد قيام الجمعيات الاستهلاكية الأخرى التى لا تزال قيد الانشاء فى مختلف المناطق المأهولة بالسكان فى البلاد .



منظر خارجى لاحدى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية



المساكن الشعبية

تنظيم العمالة

أما فى مجال العمل ، فقد سعت الوزارة إلى تنظيم استقدام العمال العرب والأجانب وتسجيلهم لديها ، وتم توقيع خمس اتفاقيات مع كل من جمهورية مصر العربية ، والجمهورية التونسية ، والمملكة المغربية ، وجمهورية السودان الديمقراطية وجمهورية الصومال الديمقراطية ، لتوثيق أواصر الاخوة والتعاون بين دولة قطر والدول العربية الشقيقة ، ولتوفير القوى العاملة اللازمة لتنفيذ المشاريع الانمائية فى الدولة .. وعملت الوزارة ايضا ـ على تحسين ظروف العمل للعاملين فى القطاعات المختلفة ، وتحسين مستويات العمال والحفاظ على حقوقهم التى يكفلها لهم القانون .. وفى هذا الصدد سعت الى تنظيم جهاز التفتيش العمالى وتطويره ، وقسم الاستخدام الذى ينظم مع اجهزة الوزارة الأخرى والجهات المختصة فى وزارة الداخلية عملية استقدام العاملين من خارج البلاد ، واصدار بطاقات العمل وحفظ السجلات الخاصة بالعمالة وطلبات الباحثين عن العمل أو العمال .

المشاركة الدولية

وبالاضافة لكل ذلك ، كان حرصنا الدائم على المشاركة فى العديد من المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية التى تعقد على المستوى الاقليمى والعربى والدولى للإطلاع على كل ما يجرى من تطورات فى مجالات العمل والشئون الاجتماعية ، من أجل تحقيق تطلعنا الدائم إلى التوسع فى العمل الاجتماعى وتعميق الشعور بالمسئولية لدى المواطنين ، والاستمرار فى انشاء المزيد من المراكز الاجتماعية والجمعيات التعاونية ، وتشجيع العمل الأهلى التطوعى وان تحتل رعاية الطفولة والأمومة مكانا بارزا فى خطتنا المستقبلية ، حتى نكون قد أدينا بعضا من الواجب الملقى على عاتقنا ، خدمة لبلد الخير والمحبة ـ قطر ـ فى ظل رعاية رائد نهضته صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

علي بن أحمد الأنصارى



عبد العزيز بن خالد الغانم رئيس مجلس الشورى

في لقاء
مع رئيس مجلس الشورى

تجربتنا الديموقراطية مستمدّة من مبدأ الشورى في الإسلام

في لقاء مع سعادة عبد العزيز بن خالد الغانم رئيس مجلس الشورى ، دار الحديث حول أهداف مجلس الشورى واختصاصاته ، وأهم الوفود العربية والأجنبية التي زارته خلال السنوات الماضية ، وأهم التوصيات التي أصدرها ، وأول اجتماع عقد عقب إنشائه ، وعدد أعضاء المجلس والشروط التي يجب أن تتوفر في عضو مجلس الشورى ، وغير ذلك من القضايا الهامة المتعلقة بهذا الصرح الذي يقوم بدوره الحيوي في إرساء قواعد الديمقراطية في البلاد ، انطلاقاً من شريعتنا الإسلامية السمحاء .

في بداية الحديث قلت لسعادة عبد العزيز بن خالد الغانم رئيس مجلس الشورى :

● نريد أن نتعرف على كافة الجوانب المتعلقة بالمجلس الموقر الذي يؤكد باستمرار أهمية التجربة الديمقراطية المستمدة من مبدأ الشورى في النظام الإسلامي كأسلوب للحكم .. ولذا هل تتفضلون بالحديث عن أهداف مجلس الشورى واختصاصاته ؟

ـ جاء في النظام الأساسي للحكم الصادر عام ١٩٧٢ أن الهدف من انشاء مجلس الشورى هو معاونة سمو الأمير ومجلس الوزراء في اداء مهامهما . فمجلس الشورى انطلاقاً من هذا الهدف يعاون سمو الأمير ومجلس الوزراء في معالجة شئون الدولة في مختلف المجالات ، ويسعى الى وضع التقاليد البرلمانية وتثبيت القواعد الديمقراطية في البلاد .

ولعل المجال يتسع هنا للتنويه بنجاح المجلس في تحقيق الأهداف التي انشيء من أجلها وما ذلك الا لحرص سمو أمير البلاد المفدى على دفع عجلة هذه التجربة الديمقراطية وارساء قواعدها على أسس متينة مستقاة من أحكام الشريعة الاسلامية ونابعة من واقعنا وظروفنا السياسية والاجتماعية ، كما يعود نجاح المجلس أيضاً الى حرص الأعضاء على التزام جانب الموضوعية في المناقشات تحقيقاً للصالح العام للبلاد ، وكذلك التعاون البناء القائم بين المجلس والحكومة الموقرة .

● وماذا عن قرار انشاء المجلس وتاريخ انشائه وأول اجتماع له ومحاضر جلساته ؟

ـ منذ أن تولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الأمور في البلاد في ٢٢ فبراير ١٩٧٢ حرص على أن تكون الديمقراطية أسلوبه في الحكم فأصدر النظام الأساسي المؤقت المعدل في شهر ابريل ١٩٧٢ ، وقد تضمن هذا النظام الأساسي انشاء مجلس الشورى والأحكام المنظمة له ، ثم صدر قرار أميري بتعيين أعضاء المجلس . وفي أول مايو ١٩٧٢ عقد المجلس جلسته الأولى التي افتتحها حضرة صاحب السمو الأمير بكلمة نوه فيها إلى الهدف من انشاء المجلس « ... ليعاون برأيه على معالجة شئون الدولة في مختلف النواحي ويساهم بمشورته في تهيئة وسائل تحقيق النهضة الشاملة التي نصبو اليها جميعاً في كافة المجالات » .

وأما عن محاضر الجلسات المتضمنة لأعماله ومناقشاته وانشطته فقد جرى تجميع محاضر كل دور من أدوار الانعقاد السنوية في كتاب مستقل تسهيلاً للرجوع اليها باعتبارها مرآة حقيقية ومظهراً من مظاهر الديمقراطية في هذا البلد منذ فجر الاستقلال .

● ما عدد أعضاء المجلس وما هي أحكام العضوية ؟

ـ تطبيقاً لأحكام المادة (٤١) من النظام الأساسي المؤقت لسنة ١٩٧٢ فقد أصدر سمو الأمير قراراً أميرياً بتاريخ ٢٣ ابريل ١٩٧٢ بتعيين أعضاء مجلس الشورى وكان عددهم آذ ذاك عشرين عضواً .

ثم قام سمو الأمير استناداً لنص المادة (٤١) المعدل بتعيين عشرة أعضاء جدد

في مجلس الشورى وذلك بالقرار الاميرى رقم ١٢ لسنة ١٩٧٥ حيث كان ذلك القرار بمثابة تدعيم للمجلس الذى اثبت منذ نشاته انه اهل لتحمل المسئولية والذى ثبت بالتجربة انه ادى دوره على احسن وجه .

وطبقاً لاحكام المادة (٤٢) من النظام الأساسي للحكم فانه يشترط فى عضو مجلس الشورى ان يكون قطرى الجنسية اصلا ، والا تقل سنه عند تعيينه عن اربع وعشرين سنة ميلادية ، والا يكون قد سبق الحكم عليه فى جريمة مخلة بالشرف مالم يكن قد رد اليه اعتباره طبقاً للقانون . كما بينت المادة (٤٣) من النظام الاساسى المؤقت المعدل للحكم ان عضو مجلس الشورى يجب ان يكون من ذوى المكانة من اهل الرأى والكفاية . ولقد روعى فى اختيار الاعضاء ان يكونوا ممثلين لكافة المناطق وفئات الشعب القطرى المختلفة بقدر الامكان .

● وكم عدد الموظفين العاملين بالمجلس؟

– تضم السكرتارية العامة لمجلس الشورى ، التى هى الجهاز التنفيذى بالمجلس الذى يتولى كافة الشئون الادارية والمالية والفنية والقانونية ، ويقوم بتنفيذ قرارات المجلس وتوصياته .. تضم ثلاثة وثلاثين موظفاً وعاملا موزعين على اقسام السكرتارية العامة التى يراسها السكرتير العام

● ما اهم الوفود العربية والاجنبية التى زارت المجلس ؟

– يحتفظ مجلس الشورى منذ انشائه بعلاقات طيبة مع مختلف المجالس النيابية سواء اكان ذلك على مستوى منطقة الخليج أم على المستويين العربى والدولى ، والوفود البرلمانية الزائرة هى احدى صور هذه العلاقة القائمة على التعاون المثمر البناء ولقد استقبل المجلس العديد من هذه الوفود القادمة من دولة الكويت وجمهورية مصر العربية ولبنان والولايات المتحدة الامريكية وسويسرا وفرنسا والمانيا وانجلترا واستراليا وموريشوس وغيرها .

● ما هى اهم التوصيات التى اصدرها المجلس ؟

– لقد قدم مجلس الشورى منذ انشائه عام ١٩٧٢ توصياته للحكومة فيما عرض عليه من مشروعات القوانين او المراسيم بقوانين ، اضافة الى ما تصدى له المجلس من مشاكل ومسائل تهم المواطنين،وذلك من خلال طلبات المناقشة العامة والاقتراحات



مجلس الشورى اثناء انعقاده

برغبة التى تقدم بها السادة الاعضاء . وحيث ان المجال لا يتسع لذكر كل هذه الانجازات التى حققها المجلس على مدى السنوات الماضية ، فاننا سنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

ففى مجال مشروعات القوانين :قام المجلس بدراسة ومناقشة عدد كبير منها كمشروعات القوانين المتعلقة بانشاء ديوان المحاسبة وانشاء بلديات جديدة فى المدن القطرية وانشاء جامعة قطر وانشاء المركز الفنى للتنمية الصناعية وتنظيم وزارة الخارجية ، والمناقصات والمزايدات ، وتوحيد المقاييس والمكاييل والموازين ، وانشاء مؤسسة النقد القطرية ، والجمعيات التعاونية ، ومشروع قانون المطبوعات والنشر ، وايجار الاماكن والمبانى ، والتوثيق، ومشروع قانون المرور وتقاعد الموظفين القطريين ومشروع قانون مزاولة مهنتي الطب البشرى وطب جراحة الاسنان وتنظيم مهنة الصيدلة والوسطاء ووكلاء مصانع وشركات الادوية ومشروع قانون ببدء الخطوات التنفيذية للاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

وفى مجال المراسيم بقوانين التى عرضتها الحكومة على مجلس الشورى طبقاً لاحكام المادة (٢٧) من النظام الاساسى المؤقت المعدل للحكم الصادر فى سنة ١٩٧٢ فقد كانت هناك – على سبيل المثال – مراسيم بقوانين تتعلق بتحديد اختصاصات وزارة الشئون البلدية ، وبوقف تصدير البترول الى كل من الولايات المتحدة الامريكية وهولندا فى عام ١٩٧٣ ، وانشاء المؤسسة العامة القطرية للبترول ، وتنظيم المدارس الخاصة ، وانشاء الجهاز المركزى للاحصاء ، وزيادة الرسوم الجمركية على السيجار والسجاير والتبغ ومنتجاته .

وهذا بخلاف طلبات المناقشة العامة التى تقدم بها السادة الاعضاء واتخذ المجلس بشانها التوصيات المناسبة ورفعها الى مجلس الوزراء

كما كان هناك العديد من الاقتراحات التى ناقشها المجلس مثل اقتراحات برغبة فى شان زيادة اطباء قسم الطوارىء بالمستشفى العام ، وتوزيع قطع من الاراضى على ذوى الدخل المحدود من المواطنين القطريين ، والاسراع فى تنفيذ طلبات الحصول على مساكن ، وتوسيع خطوط سيارات ركوب النقل العام داخل مدينة الدوحة ووضع تعريفة محددة لاجور سيارات الاجرة داخل مدينة الدوحة وخارجها ، ومساعدة المزارعين ومربى الماشية ، وانشاء قسم للكلية الصناعية بالمستشفى العام ، وزيادة المعونة الاجتماعية ، وانشاء ملجا للعجزة والمسنين ، وانشاء الحدائق والمنتزهات والمطاعم والشاليهات على السواحل ومدن لالعاب الأطفال ، وتشجيع الشباب القطرى على الزواج وذلك بمنحهم المساعدات المادية التى تعينهم على ذلك .

يوسف الحرمي

الإعلام القطري ولغته الجديدة

بقلم : عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

كانت الكلمات – وسوف تظل – مرادفة للأفكار فنعرف أن اختراع الانسان للكلمة كان بداية الخطوات لتقدم البشرية ، ونعرف أيضاً انه لولا التوصل إلى صياغة الأفكار على شكل كلمات لما كان لتلك الأفكار معنى سوى انها تهويمات تدور في العقل دون أن تؤدى إلى فعل إيجابى او حركة ملموسة .

ولو قارنا ما نتداوله اليوم من كلمات بيسر وسهولة بتلك التى كانت شائعة منذ خمسين سنة لوجدنا البون شاسعاً والفرق كبيراً ، ليس فقط فى موسيقى الكلمة او اسلوب الصياغة، بل ايضاً فيما تؤدى إليه من معنى وربما معان ، مما يؤكد أن الكلمات ما هى فى حقيقة الأمر إلا افكاراً ، وانه كلما نما العقل البشرى ولم تعد تسعفه الثروة اللغوية المتاحة ، لجأ إلى نحت كلمات جديدة تلبى متطلباته المتجددة .

والاعلام كلمات ، فى البدء كانت مكتوبة وهى فى عصرنا الحديث مسموعة ومرئية ايضاً. وهو نهر متدفق تنساب فيه المعلومات من مجال إلى آخر بسرعة فائقة .

وفى عصرنا الراهن دخلت إلى لغة الاعلام ، بل إلى لغة التخاطب اليومى ، الفاظاً جديدة ، إضافة إلى أن الكلمات التى كانت متداولة قبل ذلك اكتسبت مضامين جديدة .

والاعلام القطرى كمؤسسة قومية عايشت انتقال هذه الدولة الفتية من طور إلى طور حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من تقدم استثمر الثروة اللغوية المتاحة واضاف إليها واعطى للكلمات مدلولاتها المؤثرة .



عيسى غانم الكواري
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

فقد ساهم بكل الجهد فى تعميق معنى المواطنة وترسيخها فى وجدان كل مواطن يعيش على هذه الأرض ، وقد ادى ذلك إلى عمق احساس مواطنى هذا البلد بقيمة وطنهم واعتزازهم به واستعدادهم للحفاظ على ترابه حتى النفس الأخير . كذلك فقد اعطى للتنمية ملامح محددة تخلص فى وجوب مشاركة المواطن للدولة فى جهدها الدؤوب للنهوض بالبلاد اقتصادياً واجتماعياً .

والثقافة فى الاعلام القطرى اصبحت فعلا وحركة فهى بما تقدمه للمواطن من زاد ثقافى مستمر ، تعطى للحياة معنى وقيمة حضارية ، وهى تسير فى خط مرسوم ، إذ تبسط أعقد ما ابدعته حضارتنا الراهنة فى عبارات سلسلة قريبة إلى فهم الجميع ، وقناعتنا بذلك الدور هى بلا حدود ، فنحن لسنا مع بعض القائلين بان الاعلام بتبسيطه للمادة الثقافية فيه إفساد للفروق وهدم للثقافة ، فالثقافة للجميع وليست لقلة من الصفوة .

إن الحس القومى بما يتضمنه من مدلولات إزاء كافة القضايا المصيرية ، اصبح علامة من علامات اعلامنا فى العصر الحديث ، يعطيها البعد الحقيقى والمعنى الفعلى ، بما يصدر عنه من مادة مقروءة او مسموعة او مرئية ، تشرح وتحلل وتفسر قضايا الأمة العربية وتبرز ما فيها من عدالة وهو بذلك يكسب – باستمرار – أرضاً جديدة كل يوم ويستقطب نجاه تلك



قادة دول مجلس التعاون الخليجى اثناء اجتماعاتهم التاريخية فى الدوحة

القضايا متعاطفين ومؤيدين فى انحاء كثيرة من العالم .

وإذا كانت الضرورات المحلية والدولية قد أملت قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى هذه الظروف الهامة ، فان الاعلام القطرى كان على مستوى الحدث استيعاباً وتفاعلا ، وأصبحت كلمـــة « التعاون » مركزاً تشع منه انشطة عديدة يقوم بها الاعلام القطرى شارحاً معناها مؤكداً ضرورتها .

ولقد كان عقد القمة الرابعة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى الدوحة فى نوفمبر من العام الماضى محكا اظهر عمق فهم الاعلام القطرى لدوره فى هذه المرحلة التى تمر بها البلاد ومنطقة الخليج ككل ، فلقد كان صدق نبرته وموضوعية كلمتـه مثار الاعجاب فى كل مكان ، الأمر الذى بقي اثره فيما يصلنا إلى الآن من رسائل عديدة من كثير من دول العالم تسال وتستفسر، بل وتحلل وتطلب المزيد من المعلومات عن المنطقة ودورها ، وهو مكسب نعمل على استثماره للصالح العام .



قاعة المركز الصحفى اثناء انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

إن الانسانية تمر فى هذه الأيام بمرحلة من أهم مراحلها ، فقد زالت الحدود بفضل التطور المتواصل فى وسائل الاتصال ، وأصبح من غير المعقول عدم الاستفادة بهذه الوسائل الحديثة ، التى تواجدت فى هذه الأيام من أجل تنوير الناس وتثقيفهم ، ويقع على عاتق الاعلام فى ذلك العبء الأكبر بما هو متاح له من إمكانات ، وبما هو ميسر له من انتشار فى جميع المجالات وبين كل الفئات .

وإعلامنا القطرى ـ والحمد لله ـ يعي دوره بعمق ويحقق مهامه باقتدار ، وهو يسير وسلاحه الكلمة ، ومنهاجه الحوار ، وهدفه الاقناع والاقتناع ، وهو ينعم بثمار النهضة الشاملة التى نراها فى مجتمعنا فى كل مكان ، بقيادة سمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وولى عهده الأمين .

ماذا يقول السفراء العرب عن مسيرة الخير في قطر؟

إعداد: عبدالرحيم أبوعوف



الدكتور خالد عبيدات
سفير المملكة الأردنية الهاشمية



محمد المحرزي
سفير الجمهورية التونسية



عبد المحسن السليمان الزيد
سفير المملكة العربية السعودية



خالد عثمان الراوي
سفير الجمهورية العراقية

● قطر والقيادة الحكيمة ●

نحن عرب الأردن قوميون في كل منطلقاتنا ، لسبب واضح ، وهو أن مرتكز فكرنا ومحور تصرفنا نابع من المبادىء العظيمة للثورة العربية الكبرى ، وبالتالي فنحن ننظر الى كل مناسبة وطنية في كل قطر من اقطار امتنا بمنظار المحبة والتهنئة والأمل .

إننا في الأردن ملكاً وحكومة وشعباً نشارك اخوتنا في قطر فرحتهم واعتزازهم بذكرى المناسبة الوطنية التي تولى فيها سمو الأمير القائد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مهام الحكم ، والذي شهد له القاصي والداني بحنكته وحكمته وقدرته .

واذا كنا في الأردن نفتخر بالانجازات التي حققناها بقيادة جلالة الحسين بدءاً بالكفاح من أجل الاستقلال ووصولا الى المثابرة والاصرار من اجل التنمية .. فاننا ننظر بعين التقدير والأعجاب الى الانجازات التي حققها اخوتنا في قطر .. ويطيب لي ان اصف هذه الانجازات كما يلي :

- صادرة عن قيادة حكيمه تعتمد في قراراتها على الدراسة والتاني والشمولية .
- تسير هذه الانجازات بتان ولكن برسوخ وثقة .
- يعم خيرها جميع المواطنين .
- تقع كلها في اطار مجلس التعاون الواقع في المدار العربي العام .

وهذا الوصف للانجازات القطرية ينسحب على الانجـــازات الداخلية منها والخارجية على حد سواء .. فدولة قطر الفتية اصبحت تخطو خطوات واسعة ومرموقة على الصعيد الدولي . وليس تاهيلها الوحيد الى ذلك البعد الاقتصادي فقط بل وايضاً صواب نظرة قيادتها سواء في المجال الاقليمي او العربي او الاسلامي او العالمي ..

ولا يخفى على اي مهتم بالشئون العربية ذلك الاعجاب المتبادل بين قيادتينا وبين شعبينا ، وهذا الاعجاب المتبادل لم ينبع من فراغ .. بل جذوره عميقة جداً تغوص في اعماق الفهم والتفاهم .. وستنمو وتتفرع وتزهر وتثمر باذن الله تضامناً عربياً نسعى اليه جميعاً ..

الدكتور خالد عبيدات
سفير المملكة الأردنية الهاشمية

● كلمة حق ●

ليس من الانصاف في شيء ان تخصص صفحة .. او بعض صفحة لضيف من ضيوف هذا البلد الامين ليتحدث عما يغمره من مشاعر وانطباعات في هذه المناسبة الوطنية السعيدة التي يحيي فيها شعب قطر ذكرى استلام صاحب السمو الشـــيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الأمانة العظمى على راس هذه الدولة الشقيقة .

واذا كانت كلمة الحق التي اريد ان اقولها فياضة ونافذة من اعمق المشاعر الا انها دون الحدث لا محالة .

فهذه معالم النهضة الشاملة واليقظة الكاملة بادية في الريف والمدينة ، تشهد عما تم انجازه من خطوات في سبيل تغيير واقع البلاد والعباد من حسن الى احسن في كل يوم وفي كل مجال .. خطوات ثابتة على طريق بناء دولة عصرية بكل ما في لفظـــة

حققت دولة قطر تحت قيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى خطوات هامة على طريق بناء الدولة العصرية .. كما تعيش دولة قطر بقيادتها الحكيمة مشاكل الوطن العربى وتساهم بكل الجهد والطاقة فى السعى لتحقيق آماله الواسعة فى التقدم والرخـــاء

ومن قلب الحياة فوق أرض قطر الطيبة ، ومع شعبها العربى الأصيل تحدث بعض السفراء والدبلوماسيين العرب فى الدوحة حول انطباعاتهم عن النهضة التى تعيشها دولة قطر ، متعاونة مع أشقائها العرب ومع شعوب العالم لتحقيق العدل والسلام والرخاء لكل البشر .. وبأقلام هؤلاء السفراء والدبلوماسيين جاءت هذه الكلمات الموجزة المليئة بالمشاعر الفياضة الصادقة ونقدم هذه الكلمات القيمة للسفراء العرب حسب الحروف الأبجدية لأسماء الدول العربية :



جان ملحه
سفير لبنان



محمود مهدى
الوزير المفوض ـ المشرف على رعاية المصالح المصرية فى قطر



عبد الهادى بن جلون اندلسى
سفير المملكة المغربية



عيسى على اسماعيل
القائم باعمال سفارة سلطنة عمان

« عصرية » من معانى التقدم والنمو والنهضة والتطور فى كل ما يخص نواحي الحياة اليومية من اجتماعية واقتصادية وصحية وثقافية وعملية وتربوية وصناعية ورياضية وزراعية ..

كما اتيح لي بحكم تواجدي على اديم هذه الارض الحبيبة خلال ما يقرب من ثلاث سنوات ان اشاهد عن كثب اهمية الجهود الموفقة التى بذلتها قطر ـ بقيادة راعيها وامامها ـ من اجل التنسيق بين الامكانيات المتكاملة والحاجيات المتشابهة لاقطار الخليج العربى .

وعلى هذا الأساس لعبت دولة قطر دورها الهام فى تحقيق ما وصلت اليه هذه المؤسسة العتيدة من نتائج مباركة فى مختلف الواجهات لمعركة الجهاد الاكبر من اجل سعادة المواطن الخليجى وتحقيق رخائه المادى والادبى وتامين مناعته الكاملة .

محمـد المحرزي
سفير الجمهورية التونسية

● المسيرة المباركة ●

فى هذا اليوم الاغر مناسبة ذكرى الثانى والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٨٤ م الذى يعتبر من الايام المجيدة الخالدة والسعيدة يوم تولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد مقاليد الحكم ، وعلى امتداد السنوات الماضية حققت دولة قطر انجازات كبيرة فى جميع المجالات سواء فى المجال الداخلى او الخارجى اكدت بفضل المسيرة المباركة التلاحم بين الشعب وقيادته الحكيمة ، ففى هذه الذكرى المجيدة وعبر الحقبة الزمنية القصيرة الكبيرة فى طموحاتها وانجازاتها جسدت وترجمت هذه الانجازات والطموحات بفضل القيادة الحكيمة القوية الى افعال واعمال ، كل ذلك يستند على الارضية الصلبة التى ترتكز عليها حكومة صاحب السمو امير البلاد المفدى يسانده سمو ولي عهده الامين .

فقد انتقلت البلاد من عصر الى عصر بخطى ثابته ومدروسة وانطلاقة واسعة وشاملة بكافة مجالات البناء والتقدم ، لبناء الانسان القطرى والاسرة القطرية الواحدة .

وفى مجلس التعاون الخليجى كان لدولة قطر شرف احتضان مؤتمر القمة الرابع لمجلس التعاون لدول الخليج العربية خلال شهر نوفمبر عام ١٩٨٣ ، وفيه اكدت حرصـــها الـــدائم على عمق تلاحمهـــا مـــع اشقائها ، معززة هـــذا التـــلاحم لما فيه خير وامن دول المنطقة ، فالانجازات الكبيرة ، التى تحققت بفضل دول المجلس وما ترجمته من عطاءات خيره لابناء هذه المنطقة ، تدعم المسيرة الخليجية الواحدة نحو اهمية العمل المشترك بين دول الخليج العربى ، وتاكيد عمق تفاعلها مع القضايا العربية القومية .

وفى هذا اليوم السعيد انتهز هذه الفرصة المباركة لاشيد بالعلاقات القائمة بين المملكة العربية السعودية ودولة قطر الشقيقة القائمة على العلاقة الاخوية الصادقة القوية

كما وانه ليسرنى ان اشارك شعب قطر العظيم بفرحته بهذا اليوم المجيد ، منتهزا هذه الفرصة لارفع اخلص التهاني والتبريكات باسم حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وولى عهده حضرة صاحب السمو الملكى الامير عبد الله ابن عبد العزيز والنائب الثانى حضرة صاحب السمو الملكى

الامير سلطان بن عبد العزيز والشعب السعودى الى مقام حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى وولى عهده الامين والشعب القطرى الشقيق راجيا الله ان يعيد هذه الذكرى اعواما عديده وان يحفظ دولة قطر الشقيقة من كل مكروه .

عبد المحسن السليمان الزيد
سفير المملكة العربية السعودية

● قطر وقضايا الأمة العربية ●

بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم فى البلاد ، يسرنى ان اشارك اخوانى ابناء دولة قطر الشقيقة افراحهم بهذه المناسبة ويسعدنى ان اقدم التهنئة الى سمو الامير الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وسمو ولى العهد الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى باسمي شخصيا وباسم اعضاء سفارة الجمهورية العراقية فى قطر الشقيقة متمنيا لهذا البلد العربى وشعبه الابي .. دوام التقدم والعز والمنعة .. وبالرغم من التحاقى بعملى قبل فترة قصيرة فانني المس وبشكل مستمر الاهتمام والمتابعة من قبل اجهزة الدولة لتطوير الخدمات والسهر على راحة المواطنين والعمل الجاد والدؤوب لايصال فرص الحضارة والتقنية الى كافة ميادين العمل وتسخيرها لغرض التسريع فى تنمية امكانيات البلد والاخذ بيد هذا الشعب الشقيق نحو التقدم والازدهار .. وبكل اعتزاز اشير الى مواقف دولة قطر القومية فى قضايا الامة العربية وخاصة ما يتعلق بقضية العرب الكبرى فلسطين والذى عبرت عنه كافة الاجهزة الرسمية والاعلامية بصدق العربى الحريص على مستقبل امته ، وكذلك الموقف الايجابى لدولة قطر الشقيقة من الحرب العراقية الايرانية ومطالبة ايران بالاستجابة الى نداءات السلام والحذو حذو العراق عملا بروح الدين الاسلامى الحنيف .

اكرر تهنئتي لدولة قطر الشقيقة حكومة وشعبا داعيا الله جل وعلا ان يمن على هذا البلد الآمن باضطراد التقدم والرفاهية .. مع شكرى الجزيل لادارة مجلة الدوحة الغراء والعاملين فيها .. لاتاحة هذه الفرصة لنا للتعبير عن اعتزازنا بهذه المناسبة .

خالد عثمان الراوى
سفير الجمهورية العراقية

● قطر : مواقف وانجازات ●

تنسمت فيك يا قطر ، عطر لبنان وارزه الاخضر ، حيث تنبعث منه فى هذه الأيام الكالحة رائحة البارود .

وتوسمت بحكامك الميامين وعلى راسهم حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد كل الخير والسلام وهو الرائد والصانع والداعم لكل حركة عمرانية لبلده الطيب قطر ، ولشعبه المخلص .

فمنذ ان تولى سموه مقاليد الحكم فى مثل هذا اليوم ، نذر نفسه لتحقيق كل تقدم لحركته العمرانية هذه ليضمن لشعبه القطري الحبيب الازدهار المتواصل والمستمر والمتطور في كافة الميادين منها :

السياسية ـ عنيت الدستورية منها والتشريعية بالاضافة الى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها من الميادين التى يطول بنا ذكرها الآن ..

إن الدور الذى لعبته دولة قطر بالأمس ومازالت تلعبه اليوم وغداً ، لايسعنا الحديث عنه لتعدد مراميه بل يكفينا ذكر الدور الذى تقوم به دولة قطر متجسداً فى مجلس التعاون الخليجي وما بذلت وتبذل فى سبيله من نشاطات مختلفة ، بغية تعزيز وتدعيم فعالية هذا المجلس وامانته العامة ومختلف اجهزته ولجانه .

وعلى صعيد علاقات دولة قطر الدولية فقد قامت بها تحت رعاية صاحب السمو ، اجهزة وزارة الخارجية ، خير قيام اذ تعمل هذه الاجهزة من اجل تحسين وتنشيط العلاقات الخارجية لدى كافة المحافل الدولية . في الأمم المتحدة ـ مجلس جامعة الدول العربية ـ والمؤتمر الاسلامي .

واخيراً لا يسعني هنا الا ان انوه بالعلاقات الثنائية المتينة القائمة بين دولتي لبنان وقطر منذ القدم وخير دليل على متانة هذه العلاقات وقوف دولة قطر الشقيقة واميرها بجانب لبنان فى محنته القائمة .

فباسم فخامة رئيس الجمهورية الشيخ امين الجميل وباسم الحكومة اللبنانية والشعب اللبناني وباسمى وباسم الجالية اللبنانية فى قطر ، اتقدم باصدق واخلص التمنيات لحضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الامين ولحكومته الرشيدة وللشعب القطرى الشقيق بان يعيد هذه الذكرى الطيبة عليهم جميعا بالخير والسلام والازدهار .

جان ملحه
سفير لبنان

● الدوحة : لؤلؤة الخليج ●

يسعدنى ان اقدم على صفحات مجلة « الدوحة » الغراء تهنئة خالصة الى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لتولى سموه مقاليد الحكم فى البلاد .

وانتهز هذه الفرصة الطيبة لاسجل بكل الاعزاز والتقدير ما لمسته وشاهدته شخصيا خلال ثلاث سنوات سعدت فيها بالعمل فى هذا البلد الطيب ، من تقدم ونهضة فى شتى نواحى الحياة ، والمثل العربى يقول .. « ليس من سمع كمن رأى .. » .

فاذا ما عدت بذاكرتى للفترة الاولى من وصولى الى ارض قطر الشقيق ـ ومقارنة بما كان وبما هى عليه الآن اجد الفرق كبيراً بين ما كان وما هو كائن .. لقد تحولت العاصمة « الدوحة » ـ خلال هذه الفترة الوجيزة ـ الى لؤلؤة تفخر بالصرح المعمارية والحضارية التى تتميز بها .. وتطورت معاهد التعليم واصبحت جامعة قطر تقدم الخريجين فى كل عام من ابناء قطر الذين يعملون بنجاح فى ادارة البناء والتقدم .. ولم يكن التطور فى مجال الثقافة والفنون باقل مما حدث من تطور فى المجالات الاخرى .. وقد اضحى مسرح قطر الوطنى ، هذا التحفة المعمارية

نافذة على احدث ما يجرى على المسارح العالمية من مدارس فكرية وثقافية .. هذا الى جانب ما تزخر به البلاد من انشطة اخرى .. معارض وندوات ومواسم ثقافية وفرق مسرحية اهليه .. ناهيك عن المنجزات التى تحققت فى مجالات الاعلام والصناعة والزراعة والصحة وغيرها ..

والى جانب هذه المظاهر الحضارية التى تبشر بمستقبل زاهر لدولة عصرية تحتل مكانها اللائق بين الأمم فان مواقف دولة قطر من مختلف القضايا العربية والعالمية اتسمت بالحكمة والاعتدال والروح البناءة فى طريق السلام والرخاء وهو ما اضفى على العلاقات بين الشعبين القطرى والمصرى روح المودة وكان حافزاً للمساهمة الناجحة بين الاشقاء المصريين لاشقائهم القطريين فى البناء والتقدم .

ولعل التحية التى ازجاها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك إلى اخيه سمو الأمير فى حديثه التليفزيونى الى رئيس بعثة التليفزيون القطرى والذى شاهده الجميع خلال الايام القليلة الماضية هو أصدق ما أقدمه فى هذه المناسبة .. لسمو الأمير وللأشقاء القطريين .

محمود مهدى
الوزير المفوض ـ المشرف على رعاية المصالح المصرية فى قطر

● الأصالة العربية والاســـــلامية ●

... ان تسمع عن بلد وعن اوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وتعجب بما تسمع .. فتلك قضية قد لا تستطيع ان تصدق بكل ما تسمع عنها .. لكن ان ترى من الداخل ما تسمع وما لا تسمع .. ان ترى منجزات ومنشات وتجهيزات مما سمعت واشياء اخرى انجزت بصمت وهدوء وقامت شاخصة ناطقة بالعمل المتقدم .. الهادف الى بناء الدولة وبناء المجتمع وبناء الانســـان اســـاس هـذا وذاك واســـاس المســـتقبل ، فتلك هى الحقيقة التى لا تســـمح بالشـــك او الـتردد .

... ليس مهماً ان تملك دولة ما ثروة هائلة كثروة البترول .. بقدر ما هو مهم ان يكون مردود تلك الثروة يعود بالخير على شعب الأرض التى اختزنت تلك الثروة .. وايضاً على شعوب اخرى ممن لها علاقة ود وتعاون وسلام بشعب تلك الأرض .

والارادة الطيبة .. مع الادارة الحكيمة التى امتاز بها عهد النهضة فى قطر بقيادة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني الامير المعظم ، لها اكثر من شاهد ثابت فى اى مجال من مجالات الحياة .. والشواهد كلها تسير فى اتجاه واحد وتعبر عن التمسك بالاصالة العربية والاسلامية .. وتنطلق بها لهضم واحتـــواء ما جاء به التقدم الحضارى والتقنية الحديثة ، والشواهد تقول إن العمارة حديثة ، والتجارة نشيطة ،والمعروضات كثيرة ومتنوعة،والعمل مضمون وموصول .. والأمن موفور والى جانب هذا فالمساجد بمآذنها العالية تتوسط الأسواق والمنازل والمؤمنون يندفعون اليها شيباً وشباباً .. والمدارس والمعاهد والكليات والنوادى الرياضية تحتضن اليها جموع الأطفال والشباب من ذكور واناث .. والشارع .. انيق ونظيف .. ومنسجم ، وبكل المعانى المادية والمعنوية ، انيق ، ونظيف ومنسجم كاحدى علامات الحضارة والمدنية .

... استصحاب هذا الحال يوجب الرضى فى نفوس الناس من مواطنين ومتساكنين بما يكفله هذا البلد الطيب لمن يعيش فيه ويعمل من اجله ، وبما يوفره من حماية ، فهذا الحال يقوم على :

ـ حماية الانسان بتامين الكسب الحلال لحياة كريمة .

حماية الفكر والروح من التشكيك والتخريب لصيانة المثل العليا والقيم السامية .

ـ حماية الانسان بتامين التطبيب والعلاج

ـ حماية الدولة والوطن بالاندماج فى حركات التعاون والتكافل مع الاشقاء والاصدقاء .

ـ حماية الانتماء الى المجموعة الاقليمية والقومية والمؤسسات والمنظمات الدولية .

... من هذا الواقع .. ومن موقع الاخوة الصادقة .. والتعاون المثمر الذي تتميز به العلاقات المغربية القطرية ، والتى يعمل الجميع على تطويرها وازدهارها .. يسعدنى كثيراً ان انقل للشعب القطرى الشقيق ، مشاعر المودة والوفاء من الشعب المغربى الذى يعيش ظروفا مماثلة من العمل الدؤوب والنهضة الشاملة بقيادة مليكه جلالة الحسن الثانى،وان اتقدم باجمل التهانى وأبرك الامانى لكل فرد من افراد الشعب القطرى الشقيق فى هذا العيد الوطني ، حيث تتمثل مسيرة نهضته وتقدمه وازدهاره وحيث يرسى القواعد الثابتة للدولة الاصيلة والحديثة بقيادة القائد الحكيم صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني .

عبد الهادى بن جلون اندلسى
سفير المملكة المغربيـــة

● بناء الانسان والمجتمع ●

المتتبع لحركة التنمية والنهضة الحضارية فى دولة قطر يلاحظ التطور والبناء الحضارى المدروس والسليم بفضل القيادة القطرية الرشيدة ، وبتوجيهات صاحب السمو امير البلاد المفدى فنرى ان البلاد تموج بنشاطات بغير حدود فى مجال النهضة الصناعية والتنمية الاقتصادية والبناء العمرانى وبناء الانسان والمجتمع .

فان خط النهضة والبناء والرقى بالمجتمع والنهوض به يسير سيراً حثيثا .

فهناك حركة صناعية منظمة تقوم على اسس ثابتة الى جانبها حركة فى مجال التطور والتوسع الزراعى والحيوانى للوصول الى مرحلة الاكتفاء الذاتى كما ان هناك حركة ثقافية واعلامية واجتماعية لتنمية قدرات الانسان وبنائه حتى تتواكب سلوكياته مع التطور الحضارى الذى تشهده البلاد ..

كما ان ما نشـاهده فى دولة قطر من تطور وتقـدم عمرانى وحركة تشييد على احدث التصاميم العمرانية العالمية مستقاة من واقع بيئتنا العربية الاسلامية .

كما اننا نلاحظ انفتاح دولة قطر على بقية دول العالم وارتباطها بالعالم الخارجى مما جعلها تتبوأ مكانه لها وزنها .

كما تعمل ايضاً الى جانب شقيقاتها فى دول مجلس التعاون بتنسيق وتحقيق مفهوم التعاون فى شتى مجـــالاته .

عيسى علي اسماعيل
القائم بأعمال ، سفارة سلطنة عمان بالدوحة

يا نسيم الصبح

شعر: الدكتور محمد فوزي مصطفى - جامعة قطر

يا نسيمَ الصّبْحِ من أرضِ قطرْ
طابَ في العيدِ حديث وسَمَرْ
يملأ الدنيا طموحاً وفكرْ
كشعاع الشمسِ في الكونِ عَبَرْ

• • •

وَصِحَابي لا مُعينٌ لا خَبَرْ
وَرَفيقَ العمْرِ قَدْ مَلَّ الضَّجَرْ
في شَكَاةٍ وَحُرورٍ وَسَقَرْ
عَبْقَرِيَّ السِّرِّ في صَمْتِ الحَجَرْ

• • •

يَا غَرِيبَ الدَّارِ قَدْ طَالَ السَّفَرْ
وَوَجِيبَ القلبِ في النَّاسِ اشْتَهَرْ
وتَهَادَتْهُ العَذارَى وتَغَنَّاهُ الوَتَرْ
إنَّمَا الدُّنيا حَدِيثٌ وَفِكَرْ

• • •

فاسْمعينَا لا تُبَالي بالْكَدَرْ
قَدْ طَرَحْنَا الأَمْسَ في طَيِّ القَدَرْ
وَقَضَيْنَا اللَّيْلَ في نَحْرِ السَّحَرْ
نَمْسَحُ الأَحْزَانَ مِنْ وَجْهِ القَمَرْ

• • •

حَبَّذا الأَوْصَافُ في عِقْدِ الدُّرَرْ
هِمَّةٌ تُحْيِي مِنَ المَوْتِ البَحَرْ
وَيَفِيضُ الْعَذْبُ كَالنِّيلِ انْهَمَرْ
دُرَّةُ الْخُلْجَانِ في الْعِيدِ قَطَرْ





دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الحكمة

يقول الله تعالى فى سورة الاسراء (٢٣ ـ ٣٩) : « وقضى ربك : ان لا تعبدوا الا اياه ،وبالوالدين احسانا ..» الى ان يقول « .. ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا » ..

ويشير بقوله : « ذلك مما اوحى اليه ربك من الحكمة » .. الى الوصايا العديدة التى ذكرت قبل الآية : ابتداء من عبادة الله وحده .. الى عدم الخيلاء فى حركة السير . وهذه الوصايا :

١ ـ عبادة الله وحده .

٢ ـ والاحسان فى معاملة الوالدين .

٣ ـ واعطاء حقوق ذى القربى ، واليتامى ، والمساكين .

٤ ـ والاعتدال فى انفاق المال على النفس .

٥ ـ وتجنب قتل الأولاد ، خشية الفقر .

٦ ـ وعدم الاعتداء على الاعراض بالزنا .

٧ ـ وعدم الاعتداء على النفوس بالقتل

٨ ـ وعدم المساس باموال اليتامى والضعفاء .

٩ ـ والوفاء بالعهد .

١٠ ـ والعدل فى التعامل ، والوفاء بالحقوق والواجبات .

١١ ـ وعدم التجسس ، وعدم تتبع مالا يغنى الانسان .

١٢ ـ وعدم الخيلاء فى حركة السير .

... وهى وصايا عملية فى سلوك الانسان حتى عبادة الله وحده ، تحدد منهج السلوك التطبيقى فى الحياة ، وتكون قواعد الاخلاق التى يجب أن يسير عليها الانسان .

وعقب أن يذكرها القرآن الكريم فى وصاياه ـ التى هى اوامر ، او نواهي هنا ـ يشير اليها بانها وحى من « الحكمة » لله : « ذلك .. مما اوحى اليك ربك من الحكمة » .. والحكمة اذن هى المنهاج العملى للسلوك ، فى مقابل الاعتقاد . فاذا قرنت الحكمة بالكتاب ـ اى جاءت مقترنة معه ـ فى آية من آيات القرآن ، كما فى قوله تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته .. لهمت طائفة منهم (اى من المشركين الماديين الملحدين) ان يضلوك ، وما يضلون الا انفسهم ، وما يضرونك من شىء ، وانزل الله عليك : الكتاب .. والحكمة » (النساء : ١١٣) فالمقصود بالحكمة كذلك : المنهج العملى او ما يسمى بالشريعة . اذ الشريعة هى الطريق ، والسبيل .. والمقصود بالكتاب ما تضمن العقيدة . واذن قول الله : « وانزل عليك الكتاب ، والحكمة » معناه : انزل عليك العقيدة .. والشريعة معا .. اى انزل عليك دينا متكاملا ، يمثل الاعتقاد الصحيح كما يمثل المنهج العملى السليم . ولذا كان التعقيب فى هذه الآية بقوله : « .. وكان فضل الله عليك عظيما » . لان الجمع فى الوحي الى رسول من الرسل : بين العقيدة والشريعة .. يعبر عن ميزة الرسول وفضله بين الرسل .

وكذا قوله تعالى فى سورة البقرة : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا » (البقرة : (٢٥١) .. بعد تلك الآيات التى اوصت بالانفاق فى سبيل الله : ابتداء من قوله : « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ..» الى قوله .. « الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » (البقرة : ٢٦٩) .. فان الحكمة هنا اقرب الى المنهج العملى فى السلوك . لان الانفاق سبيل وطريق عمل فى الحياة .

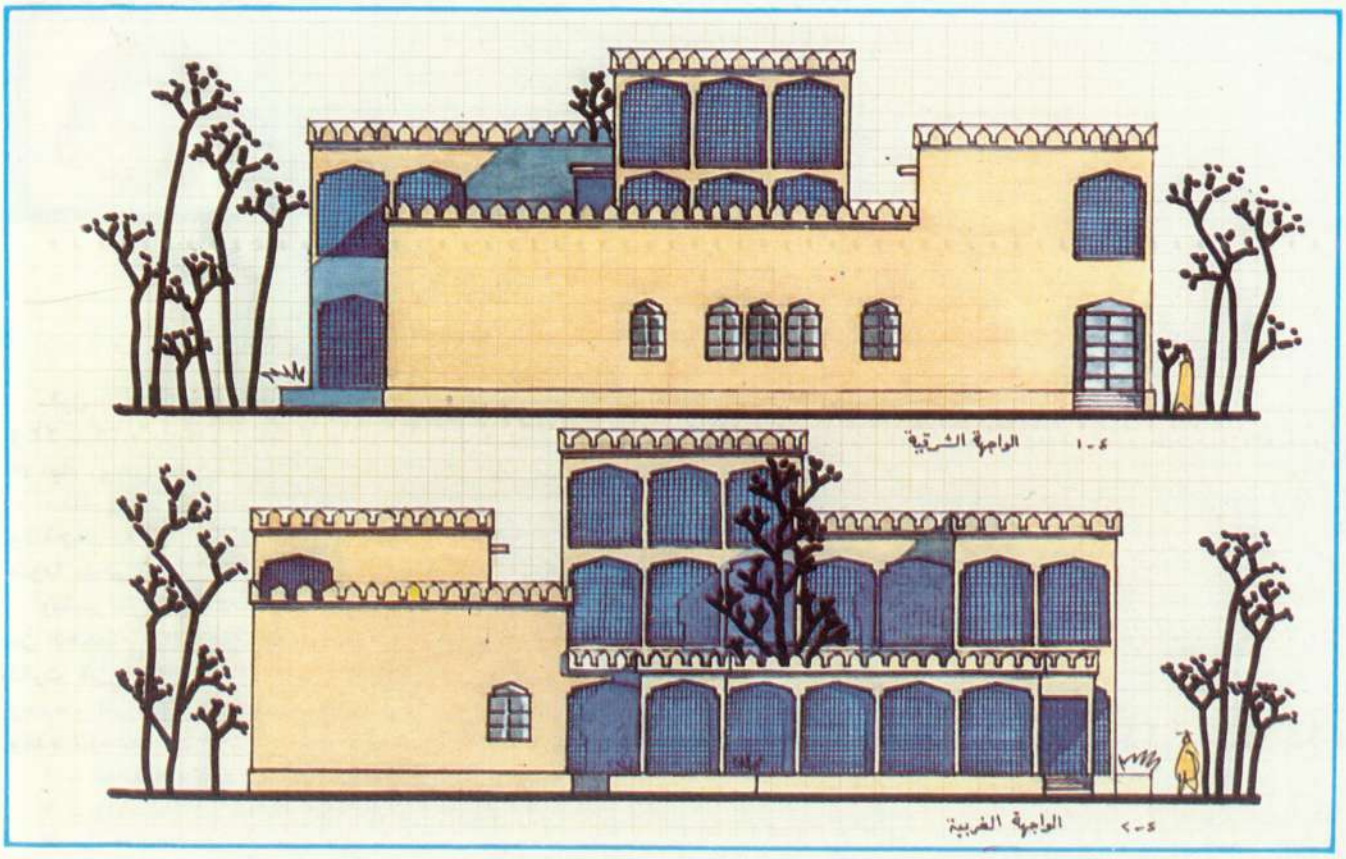
وعلى هذا النحو ما جاء فى قصة داود فى قوله : « ... وقتل داود جالوت ، واتاه الله الملك ، والحكمة ، وعلمه مما يشاء ... » (البقرة ٢٥١) .. فالحكمة التى اعطيها داود من قبل الله هى : الاخلاق والسلوك المستقيم . فقد عرف عنه انه كان ذا خلق كريم ، وذا شجاعة فى سبيل الايمان بالله . ولذا انتصر فى القتال ضد الاشوريين لتخليص اسرى بنى اسرائيل لديهم . وقد كان اسرهم الاشوريون فى حرب معهم : اذلوهم ، واقتحموا عليهم ديارهم ، وهدموا ما كان لهم من حضارة مادية ومعابد وبينها هيكل سليمان ، والى هذه الهزيمة يشير القرآن الكريم فى سورة الاسراء :

« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (اى لتطغون طغيانا ظاهرا) . فاذا جاء وعد أولاهما (اى وعد عقاب الاولى) بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد (وربما يقصد القرآن الاشوريين هنا) فجاسوا خلال الديار (اى اقتحموها واهلكوا ما وجدوا فيها) وكان وعدا مفعولا » (الاسراء : ٤ ، ٥) (اى ناجزا ونافذا) .

وعلى هذا المعنى يحمل مفهوم : « الحكمة » ـ وهو معنى الشريعة او المنهج العملى والاخلاقى للسلوك ـ اذا جاءت كلمة الحكمة فى آية وحدها ، او مقترنة مع كلمة : « الكتاب » . على أن يقصد بالكتاب عندئذ : ما يحدد مضمون العقيدة . كما فى قوله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم : يتلو عليهم آياته (اى آيات الله التى يوحي بها اليه مما يشمل الشريعة ، والعقيدة معا) ويعلمهم الكتاب (اى العقيدة) والحكمة (اى الشريعة وآداب السلوك) وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (الجمعة : ٢) .

وفيما يقوله جبريل ـ مبشرا مريم بعيسى المسيح عليه السلام ـ ردا على سؤالها : « قالت ربى : انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال : كذلك ، الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له : كن فيكون . ويعلمه الكتاب (اى العقيدة) والحكمة (اى الشريعة) و التوراة والانجيل (اى ما يجمع الأمرين من عقيدة وشريعة) ورسولا الى بنى اسرائيل ... » (آل عمران : ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩) .. وفيما يقوله جبريل هنا فى هذا الحوار : من كتاب ، وحكمة .. لا يخرج معناهما عما ذكر من قبل .

وذكر التوراة والانجيل بعد ذلك هو ذكر لما عرف عند بنى اسرائيل مما يعم العقيدة ، والشريعة .. وتاكيدا بان رسالة عيسى هى فى نطاق ما جاء به موسى من قبل . وبذلك تكون حجته فى بنى اسرائيل حجة واضحة



الواجهتان : الشرقية والغربية للبيت الخليجي الذى يطالب الفنان بضرورة الحفاظ على ملامحه فى المبانى الجديدة

فنان كويتى يحاول إنقاذ البيت الخليجي



الفنان الكويتى احمد زكريا الانصارى

بقلم : يوسف أحمد

يلعب الفن المعمارى دوراً هاما فى تعديل سلوك الفرد فى الدول المتقدمة ، وتاخذ هذه الدول على عاتقها تحديد مساره واشكاله مترجمة بذلك افكارها وظروفها الاجتماعية والبيئية والاقتصادية .

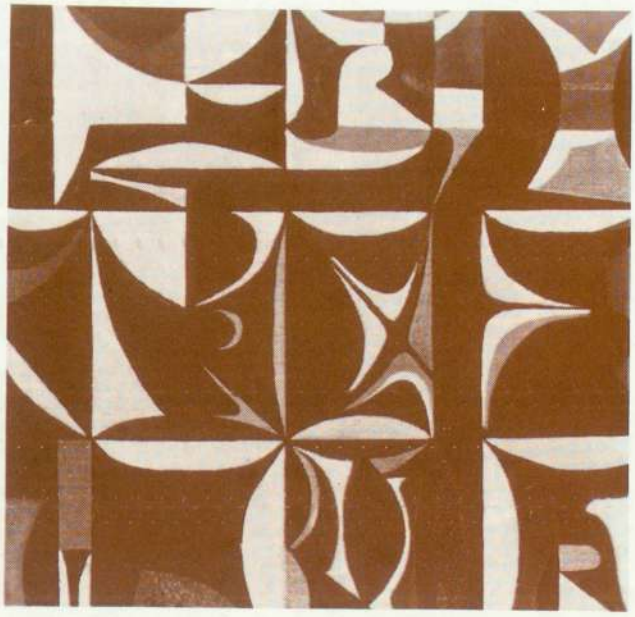
ولقد كان الفن المعماري فى الخليج قبل مائتي عام يفى بحاجات ومتطلبات مواطنيه ، فنجد ان تصميم البيت الخليجى لا يعدو اكثر من فناء كبير تحيط به غرف النوم والمطبخ والحمام ، بحيث يتيح هذا البيت الفرصة الكبيرة لمعيشة عدد كبير من افراد الاسرة ، ويساهم بشكل طبيعى فى تكوين علاقاتهم الاجتماعية الوطيدة !

وقد كان التصاق هذه البيوت فى شكل افقي ومتراص إنماهو ترديد طبيعى لماكان عليه اهل زمان من مودة ومحبة وإخاء ساعدت على ترابطهم وتماسكهم واهتمامهم بتبادل الزيارات وحل المشاكل والمشاركة الجماعية فى الافراح والاحزان !

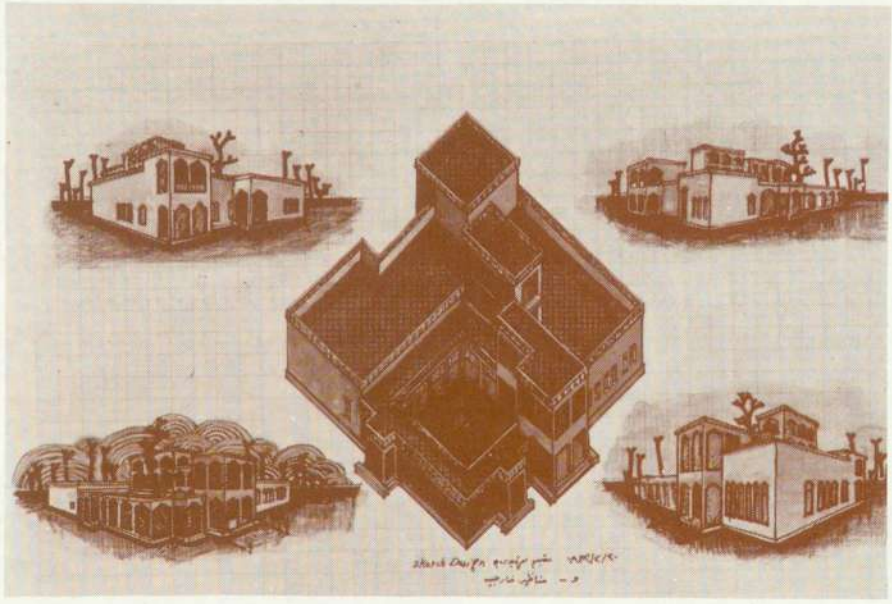
اما اليوم ونتيجة للقفزة التى طرات على منطقة الخليج نتيجة للثروة البترولية الهائلة التى غيرت الكثير من التقاليد والتى جعلت العديد يجرى وراء وهم المدنية الزائفة التى هى بحق اغرب الغرائب على مجتمعنا المعاصر ، فقد وجدنا اننا معرضون خلال السنوات المقبلة لحقيقة مؤسفة تقول ان المعمار



إحدى لوحات الفنان التى تتميز باسلوبها الخاص .. اللوحة اطلق عليها اسم : الحجاب



تصميم جداري لحائط سيراميك .. من اعمال الفنان التي حاول فيها الربط بين الشكل والالوان



مناظر خارجية للبيت الخليجي الذي يرى الفنان انه يتيح فرصة كبيرة لمعيشة عدد كبير من افراد الاسرة ، ويساهم في تكوين علاقاتهم الاجتماعية الوطيدة .

الخليجي سيلفظ انفاسه الأخيرة ، مسدلا بذلك عصراً ذهبياً كانت منطقتنا تتميز به بين كافة المجتمعات .

وبسبب هذا الخطر المقبل ، انبرى بعض المهتمين بهذا الفن وبعض عشاق التعلق بهذا التراث الفني ، وخرجوا ببعض الحلول والطرق للحفاظ على ما تبقى من تراث معماري وانقاذ ما يمكن انقاذه من هذا الفن الجميل ..

ومن بين المهتمين بهذا التراث العظيم الفنان احمد زكريا الأنصاري ، الذي قرر أن يسلك هذا الطريق الوعر حتى لو اصطدم ببعض الأفكار المعارضة لتطلعاتـــه وتصوراته .

فاحمد زكريا الأنصاري تربى وترعرع في مدرسة والده التي كان يشرف عليها خدمة منه لأبناء الحي والأحياء المجاورة حتى دخل مدرسة المباركية في الكويت عام ١٩٤٢ ، وهنا بدات مرحلة التأمل في حياته حيث التقى بخبرات أساتذته واستفاد من مهارتهم في النحت والتصوير

ووجد فناننا نفسه مغرماً بتصميم البيوت والنماذج للأحياء القديمـــة ، مستخدماً في تنفيذها العلب الفارغة والأدوات البسيطة ، وهنا تاصلت في اعماقه روح الموهبة ، فارسلته دولة الكويت الى مصر لتكملة المرحلة الثانوية في المدرسة السعيدية والتحق بعدها مباشرة بجامعة الاسكندرية ليدرس فن العمارة ، وفي هذه المرحلة قدم عدة دراسات بديعة لفن المعمار المصري القديم وللأعمدة الفرعونية ، حتى انهى سنته الأولى في الاسكندرية ، ليغادرها الى انجلترا حيث التقنيات الحديثة في التعليم المعماري واسلوب التدريس المتقدم الذي ينمي موهبة وافكار الطالب عن طريق تشجيع آرائه وتصوراتـــه الخاصة في المنهج الدراسي !

وعاد الى الكويت عام ١٩٥٦ ليعمل مساعد معماري في القسم الهندسي التابع لدائرة المعارف ، وفي هذه الفترة قام بتصميم عدة مدارس حكومية منها مدرسة المتنبي والأمين والمامـــون ومدرسـة جول جمال التي سميت فيما بعد بمدرسة « حولي » والتي جاء تصميمها مطابقاً للبيوت الشعبية القديمة في الكويت ، حيث الفصول تحيط بالفناء وحيث الأرض الفضاء واماكن تسلية الأطفال !

وبهذا التصميم الشعبي يكون احمد زكريا الأنصاري أول معماري كويتي ربط الطفل ببيئته وحيه القديم ومدرسته !

وما ان انجز فناننا هذا التصميم حتى اوفدته دائرة المعارف عام ١٩٥٨ الى ايطاليا لدراسة الفن المعماري الايطالي الذي كانت تتميز به ايطاليا ـ خاصة ـ في القرن الرابع عشر وحتى القرن التاسـع عشر ، وعاد إلى الكويت مرة اخرى عام ١٩٦٠ ليعمل في وزارة الأشغال ليرسل مرة اخرى الى لندن ليتخصص في التصميم الجداري الذي كان شغله الشاغل ، حيث ابدع فيه مستخدماً البعد الواحد في احياء الكتابة والتعامل معها تعاملا تشكيلياً ، وفي هذه الفترة انجز عمـلين هامين ، احدهما لمكتبة مركزية جديدة لمدينة في جنوب (ويلز) ، والآخر لسكن للطلبة في لندن .

وبعـــد ذلك عـاد إلى الكويت ليعمل رئيساً لمكتب البرمجة والتخطيط بوزارة الأشغال العامة ، وتوج خبرته الطويلة باصدار كتاب ضخم يقع في حوالي ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير عن تصوراته وافكاره في مجالات عديدة من الفنون المرئية والسمعية .

ان هذا الكتاب بحق يعتبر عملة نادرة في منطقة الخليج ، حيث ان المؤلف قد بذل جهداً كبيراً لاصداره ، واستعرض فيه انجازاته وتخطيطاته تحت عنوان : افكار وتصورات حيث التخبط العشوائي في التصاميم الهندسية والمعمارية .. فقد انتقد المعمار في هذه الأيام حيث الأبواب مفتوحة على مصاريعها (لا في الكويت



نحت من خشب « التيك » صممه الفنان واهتم فيه بجرراة الكتلة ، والعمل يعود انتاجه إلى عام ١٩٦٤

فحسب بل فى منطقة الخليج) نتيجة الهجرة الاجنبية ومعتقداتها وافكارها وظروفها النفسية والاجتماعية ، ونتيجة ايضا للترف المادى الذى اصاب المواطن الخليجى وجعله يستعين بمهندسين غرباء على المنطقة ، لا يفهمون ظروفها الاجتماعية والنفسية ، حتى تراكمت العمارات ذات الزجاج اللامع وكانها علب خاوية لا تلمس المشاعر والوجدان الخليجى !

لقد صرخ احمد زكريا الانصارى من الجهة الغربية للخليج العربى محذراً المسئولين فى المنطقة حتى يسارعوا للابقاء على الرصيد الحالى وحتى يتحركوا فى ظل احتياجات المنطقة !

ويستعرض الفنان المعمارى احمد زكريا فى الفصول الأربعة التى حواها كتابة القيم ، آراءه فى تعريف الفن والاصالة فى العمل الفني وضرورة الفن كقيمة أساسية فى حياة الانسان وكيف ان هذا الفن يعد مظهراً حضارياً لكل مجتمع ، ويستعرض - كذلك - مفاهيم التذوق الفنى العام وأسباب هبوط المستوى الفنى الحالى ، وتغلب العصر المادى على بعض المفاهيم تحت ستار التطور التكنولوجى !

ويؤكد كتابه على دور الفن والصناعة فى خدمة انسان العصر الحديث ، ويتطرق الى الفنان الموهوب كثروة قومية يجب أن نحافظ عليها ونفتح كل الطرق لرعايتها واحاطتها بكل عوامل النجاح .

ويتناول فناننا فى الفصل الثانى من كتابه ، اهمية العمارة واشكالها وتصميماتها والدور الذى تلعبه فى تنمية ذوق المواطن وانعكاسه على سلوكه اليومى ، ويتناول قضية المباني التعليمية حيث انه عاصر هذه المشكلة ووقف على مشاكلها ووضع حلولا لها !

وفى الفصل الرابع نراه يضع الحلول لملامح المستقبل مشيراً فى ذلك الى الدور الكبير الذى تقوم به الاجهزة الاعلامية والثقافية والتخطيطية ، ويشير فى نفس الوقت الى الشارع الكويتي بما يتضمنه من عمائر ومبان وحدائق ، مؤكداً بانه لا خلاص لنا من هذه الفوضى المعمارية الا باحترام الانسان مادياً وروحياً والانتقال به من مادية التمدن الى الحضارة الحقه حيث الحق والخير والجمال .

انه يقول فى احدى مقدمات كتيباته التى اصدرها بمناسبة اقامة احد معارضه عام ١٩٦٧ عن التصميم الجدارى : « إن التصميم الجدارى ملازم للعمارة على مر التاريخ ، وقد عرفته شعوب كثيرة وبخاصة التى سكنت منها البلاد العربية مثل الفراعنة ، والآشوريين ، والبابليين والفينيقيين ، والحميريين ، واخيراً الدولة الاسلامية .. وقد اصبح هذا الفن ضرورياً بالنسبة للعمارة الحديثة ، لانها خالية من الحليات والنقوش ، وتسيطر على تصميماتها ميكانيكية العصر المادى الذى يعيش فيه » .

وعندما يتحدث عن الاصالة والمعاصرة فانه يقول : « قد يقول قائل ان ما سيراه فى اعمالى لا يمثل البيئة . وهذا عدم فهم ، لانى لا احتاج الى تصوير « بوم » او امراة « لابسة » عباءة حتى امثل بيئتى ، فانا قبل كل شىء عربى ، ولدت وعشت بالكويت وعاصرت ايام الشدة والرخاء فى بلدى ، غنيت وصفقت مع البحارة للغوص والسفر ، غنيت السامري ، وركبت الجمل ، وعشت فى خيمة بالصحراء ، والفن الكويتى متفاعل مع نفسى ، إذن فكل تصميم او خط اخطه سيكون نابعاً من اعماقى ويمثل بيئة بلدى ! » .

هذا هو احمد زكريا الإنصارى الذى يعتبر من الفنانين القلائل فى منطقة الخليج الذين اهتموا بفن العمارة الخليجى ، واستطاعوا بعد عناء طويل ومشقة الالتزام بتقديم فن العمارة الخليجى من منطلق حضارى لهذه المنطقة المعطاة .

يوسف أحمد



(١) هذه الرقبة الطويلة المنتهية براس صغيرة مستطيلة ، قد تعنى اشياء .. هل هى لوحش بحيرة نيس الذى ظل جسمه الكبير مغموراً فى الماء ؟ أم لكتلة خشبية طافية ؟ .. أم لذيل حيوان ؟ .. ام خدعة ضوئية ؟ .. لا احد يدرى يقينا .

على هامش ظواهر حيّرت الناس

وحش البحيرة المنقرض

هل عاد وظهر ؟!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

على شاطىء بحيرة نيس ـ المشهورة في اسكتلندا باسم « لوخ نيس » ـ وقف الايرلندي « كولامبا » بين بعض رجاله في انتظار قارب ياتيه من الشاطىء الآخر ، ولقد تطوع احد رجاله في ان يسبح لاحضاره من حيث يرسو هناك ، خاصة وان اتساع البحيرة في هذا المكان لا يزيد عن الميل ، وبينما هم يرقبون الرجل الذي كان يندفع في الماء بمهارة فائقة ، انشقت البحيرة فجاة عن وحش مخيف يزار كالرعد وينطلق بفمه الواسع المفتوح ليلتهم الرجل وتجمدت الدماء في عروق الجميع ، ونظروا الى كولامبا عله يفعل شيئاً ، فراوه وقد رفع يديه نحو السماء خاشعاً ، والى الله متضرعاً وداعياً ، ثم الى الوحش آمراً « لا تذهب الى ابعد من ذلك ، ولا تلمس ذاك الرجل ، ولتسرع بالعودة الى الاعماق من حيث اتيت » !

هذه القصة الغريبة يرجع تاريخها الى اكثر من ١٤ قرنا ، وكانت قد كتبت بعد موت كولامبا بمائة عام واضيف لها : ان الوحش الرهيب قد اذعن بالفعل لامر كولامبا ، وغاص في البحيرة ، ولم يتعرض بعدها لانسانٌ باذى على الاطلاق !

قد تكون هذه القصة مريحة ومقبولة للذين يعتقدون في الخوارق ، الا انها قد لاتكون كذلك بالنسبة للعلماء الذين يتوقون للكشف عن طبيعة هذه الظواهر المثيرة ، فالذي كان يهمهم حقا ، هو ان يحصلوا على وصف ـ ولو موجز ـ لشكل هذا الحيوان الاسطوري وحجمه وطوله وعرضه علهم يعرفون شيئاً عن هويته ، لكن يبدو ان القصة كانت رمزاً لواحدة من الخوارق ، ولهذا فلم تضف الى العلم شيئاً مذكوراً !

الظاهرة تتكرر في القرن العشرين

لكن هذه القصة التي يرجع تاريخها الى عام ٥٦٥ م ميلادية قد ظهرت من جديد في



(٢) صورة أخرى لوحش البحيرة ـ كما يدعى الذى التقطها .. صحيح ان لها راسا ورقبة وجسما .. لكن ماذا تخفى تحتها ؟ .. لم يستطع احد حتى الآن ان يتحقق من هويتها ، فربما كانت شيئا طافيا ، وليست كائنا حيا .



(٣) تبدو كانما هى لكائن تحت مياه البحيرة ، او انه ينطلق سابحا تحت السطح مباشرة ، لكنها قد تكون خدعة تصويرية او ضوئية .





(٤) دنسديل يرقب سطح البحيرة من خلال الة تصوير سينمائية عله يلتقط شيئا ، فيعود بالخبر المثير .. والصورة التى بجانبها لمجموعة من العلماء الذين يبحثون عن الوحش فى الاعماق من خلال جهاز « السونار » الذى بدا يتدلى فى الماء

عام ١٩٣٣ ، وبصورة أكثر اثارة ، لكن بدون معجزات هذه المرة ، اذ بينما كان الجراح الانجليزي جوم ماكاي وزوجته يتجولان على شاطىء البحيرة ، لفت نظرهما جسم غريب له ما يشبه الراس المدببة ، والرقبة الطويلة ، ومن حسن حظهما انهما كانا يحملان معهما الة تصوير ، فالتقطا له صورة (شكل ١) ، فنشرتها جريدة اسكتلندية محلية مع تعليق مختصر ، ومن الصحيفة انتقل الخبر الى صحف لندن ومنها الى بعض صحافة العالم وقتذاك ، حيث اثار اهتماما كبيرا بين الناس ، خاصة وان بعضهم كان قد سمع من قبل ان البحيرة مسرح لنوع من الحيوانات الضخمة التي كانت تعيش في عصر الديناصورات التي انقرضت منذ حوالي ٧٠ مليون عام !

من هنا بدات القصة الحقيقية للبحث عن هذا الوحش الخرافي ، فسارعت جريدة « ديلي ميل » اللندنية بارسال بعثة الى البحيرة ، وكانت مكونة من ثلاثة : رئيسهما عضو منتسب الى الجمعية الملكية لعلم الحيوان ، ويصاحبه صحفي ومصور ، وظل الثلاثة يطوفون حول شاطىء البحيرة اياما علهم يسجلون فيها شيئا ، لكن محاولاتهم لم تسفر عن شيء ، ولم تشا المجموعة ان تعود بخفي حنين ، اذ وجدت على الشاطىء آثار اقدام كبيرة وغائرة ، فالتقطوا صورها وعادوا لنشرها ، وتطوع عضو الجمعية في كتابة تقرير عنها ، واشار الى انها قد تكون للوحش الذي يسكن البحيرة ، وذهب خياله الى ابعد من ذلك وقال : انه من الحيوانات البرمائية الضخمة ، اذ قد يحلو له ان يخرج ويتجول على الشاطىء ، ثم يعود الى البحيرة ليختفي فيها !

لكن مما لا شك فيه ان القفز الى الاستنتاجات بمثل هذه السرعة ربما بغرض الاثارة ، او لتحقيق سبق صحفي ،

وحش البحيرة المنقرض
هل عـــاد وظـــهـــر؟!

عادة ما يجـر الى اخطـاء فاحشـة ، فسر ازدهار العلم ، وجدية مساره ، ومصدر احترامه ، يرجع الى رقابة العلماء على العلماء ، فاذا حاد احدهم بشطحات افكاره عن الطريق القويم ، قوموه ـ ليس بالسب او التحقير والتشهير وما شابه ذلك ، بل بدراسة الظاهرة دراسة متانية ، او باعادة التجربة مرة ومرات ، ذلك ان الحد الفاصل بين الغث والسمين ، يكمن اساساً في التجربة العلمية التي تسير على مناهج واضحة .

ولـقد كـان اول من اضير في هـذه الاستنتاجات المتسرعة الجمعية الملكية نفسها ، اذ ان المتحدث كان واحداً من المنتسبين اليها ، ومن اجل هذا سارع بعض اعضائها لدراسة الظاهرة ، فظهر ان طبعة الاقدام ليست الا لشيء قريب بطبعة القدم اليمني الخلفية لفرس النهر ، وسخر احدهم من ذلك وعلق قائلا : ان اثر القدم هو طبعة متقنة لقاعدة حامل مظلة شاطىء بحر كانت على هيئة قدم فرس النهر ، كما ارادهـا صاحبها الساكن فى « لوخ نيس » .. وكان هذا التهكم الواضح بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير !

وصور أخرى لها حكايات

لكن الصورة التي التقطها الجراح قد جذبت انتباه الكثيرين ، وكان لابد من تعليل ، وظهر لها مؤيدون ومعارضون ، وظلت الامور حائرة بين الشك والرفض واليقين ، وبقيت هكذا معلقة بضع سنين ، فظهرت اثناءها تعليقات وتفسيرات ، بعضها يرفض الظاهرة واخرى تؤيدها .. فاما المؤيدون فقد نهبوا الى القول بان سبب ظهور هذا الحيوان الغريب يرجع الى الضوضاء الشديدة التي حلت حول شواطىء البحيرة لانشاء طريق مرصوف في بداية الثلاثينات من هذا القرن ، وفيه استخدم المهندسون المتفجرات لازالة بعض العوائق والصخور ، فازعجت الحيوان الذي ظل مختفياً عن العيون ، وعندئذ اندفع الى السطح وكانما هو يهرب من قضاء الى قضاء !

لكن الرافضين ارجعوا الظاهرة الى جذع او فرع نبات ربما كان يكمن فى القاع او مغموراً تحت سطح الماء ، وحدث فيه تخمر ادى الى انطلاق غاز ثانى اوكسيد الكربون ، فتجمع الغاز فى فجوات الى ان رفع الكتلة وطفا بها الى السطح ، او قد يكون ذلك لذيل حيوان القضاعة او ثعلب الماء طويل الذنب ، وان الصورة قد التقطت فى وضع غير مضبوط ، وهم يستبعدون وجود حيـــوان ينتمى الى عصـــر الديناصورات بعد ان حل بها الانقراض منذ زمن سحيق .

ثم تجيء صورة اخرى مثيرة بعد ١٨ عاماً من صورة الجراح ، ففى الصباح الباكر لاحد ايام عام ١٩٥١ ، وبينما كان المدعو لاكلان ستورات متجهاً الى حظيرة مواشيه الواقعة قرب شاطىء البحيرة لاحظ وجود شيء من الاضطراب على سطح الماء ، ثم اذ بثلاثة اجسام تشبه سنام الجمال تطفو ، ومن حركتها تجاه الشاطىء تاكد انها لحيوان واحد ، وهنا اسرع الرجل عائداً الى منزله ، ثم عاد مهرولا وبصحبته آلة تصوير ، ورجل اخر من عائلته ليؤمن على ما راى ، واستطاع ان يلتقط صورة للجزء الطافى من الحيوان وهو يسبح على مسافة من الشاطىء قدرت بحوالى ٥٠ متراً (انظر شكل ٢) .. ومرة اخرى اثار نشر هذه الصورة فى الصحافة اهتماماً كبيراً فى بريطانيا وفى غيرها من الدول ، ومـع ذلك فقد اختلفت حولها الآراء .

وزاد الاهتمام بوحش البحيرة اكثر عندما ظهرت صورة اخرى لحيوان طاف على الماء يشبه القارب المقلوب ، ويرتفع عن السطح حوالى المتر وربع المتر ، وحوله كان الماء يضطرب او يتموج كلما تحرك او سكن او غطس .. ومن ثم فقد تحمس مهندس الطيران « تيم دنسديل » لهذه الظاهرة ، وأراد ان يضع حداً للشكوك التى تثور حولها ـ خاصة من العلماء الحريصين على عدم اللغو فى مسالة شائكة اختلفت فيها آراء الناس ، وتعددت اوصافهم ، حتى لكانما البحيرة تموج بمئات الانواع من الوحوش الضخمة التى لا يجد العلماء لها فى مراجعهم اية اوصاف يمكن ان يستدلوا منها على نوعها وجنسها ورتبتها بين الكائنات .. ذلك ان عدد المشاهدات التى ترددت بين الناس قد وصل الى ما يقرب من ثلاثة آلاف مشاهدة ، وكان معظمها خدعا بصرية ، او تموجات مائية ، او انعكاسات ضوئية (شكل ٣) ، او اجساماً طافية ، او تخيلات اطلقها بعض المخمورين ، او روايات كاذبة كانت تتلقاها الصحافة ، وتجد فيها مادة مثيرة ، فتسارع بنشر الحكاية مع صورة صاحب الرواية الذى يسعده ذلك سعادة بالغة .

لقد كان من المعروف ان دنسديل مصور بارع ، ولهذا فقد حمل معه آلة تصوير سينمائية فى عام ١٩٦٠ ، واستاجر قارباً ، وعاش فيه على سطح البحيرة متجولا ، عله يلتقط لهذا الوحش الخرافى فيلماً متحركاً ، فيكون له ولغيره خير دليل على مسالة طال اللغو فيها ، دون ان يصل فيها احد الى راى قاطع (شكل ٤) .

وبالفعل نجح دنسديل فى التقاط بعض الصور لشيء يطفو على الماء ، وله جسم مقوس كالسنام ، ويسبح بسرعة مبتعداً عن الرجل الى ان غاب ، وعندمـا عرض التليفزيون البريطانى هذا الفيلم المثير ، واستضاف له العالم البريطانى موريس بيرتون ليقول فيه رايه ، اصيب دنسديل والمشاهدون بخيبة أمل ، اذ قال عالمنـا البيولوجي : ان الصور تشبه صورة قارب ذى محرك نفاث وهو ينطلق بسرعة بعيداً عن عدسة المصور !

البحث الجاد يأخذ مجراه

واستمرت اللعبة ، وكانما حالها كحال المشاهدات والحكايات التى يتناقلها الناس وتذيعها اجهزة الاعلام عن ظاهرة غزو الارض باطباق طائرة تحمل مخلوقات عاقلة من الفضاء .. اذ تظهر هذه الحكايات فترة وجيزة ، ثم تختفى لفترات طويلة ، لتعود وتختفى .. وهكذا حكاية وحش البحيرة ، اذ كلما اذاع احد الناس خبراً ، تناقلته الصحافة ، فتصيب الناس بمزيد من الهوس ، والعلماء بمزيد من الأرق ..

وارقهم نابع من مطالبة الجماهير لهم بابداء رايهم فى مســـالة هى من صـــميم اختصاصهم ، وهم لا يستطيعـــون ان يشيدوا حكمهم على اقوال تتردد بين الناس دون ان يساندها دليل ، والدليل يستلزم بحثاً علمياً جاداً ، والبحث يحتاج الى تمويل ، والتمويل يتطلب ميزانيـة ، والميزانية قد لا تكون متاحة .. الى آخر هذه الحلقات المفرغة .

فى بداية الستينات من هذا القرن تكونت هيئة شبه علمية اطلقت على نفسها اسم « المكتب الاستطلاعى لبحيرة نيس » ، وكان يراسها عضو البرلمان الانجليزى الاسبق دافيد جيمس ، ويعاونه اثنان من العلماء البيولوجيين ، وانضم اليهم افراد

من المتحمسين والمتطوعين للكشف عن هذا الوحش الغريب .. ومن بينهم محامون ومهندسون وصحفيون ومصورون .. الخ ، وبدأ تمويل الجمعية من جمع الاشتراكات من اعضائها ، وكان التمويل الاكبر - بطبيعة الحال - من الرئيس ، ولقد انشات الجمعية مراكز مراقبة ، زودتها باجهزة تصوير متطورة ، ومناظير مقربة ، وكل ما يلزم لاستطلاع سطح البحيرة من اولها لاخرها ، وهو امر ميسور ، اذ ان طول البحيرة حوالى ٣٧ كيلو متراً ، متوسط اتساعها ١٦٠٠ متر ، واعمق بقعة فيها ٢٣٠ متراً .

ورغم ان آلات التصوير ووسائل الملاحظة كانت تغطى البحيرة باكملها ، ورغم ان الرصد قد استمر شهوراً طويلة (خاصة اشهر الصيف حيث تتيسر الاجازات للاعضاء ، وحيث المناخ الاسكتلندى مناسب) .. ورغم آلاف الصور التى جمعت - رغم ذلك فلم تسفر هذه المحاولات عن شيء يذكر ، اللهم الا بعض صور جد قليلة لا تختلف كثيراً عن الصور التى التقطت من قبل .

وفى نهاية الستينات وحتى ما بعد منتصف السبعينات ، دخل العلم بثقله وخططه واجهزته ، وطبيعى ان العلماء هنا لا يفعلون كما يفعل الناس ، فلا يقفون على الشواطىء فى انتظار ظهور الشيء ، فيلتقطوا له صوراً ، فهذه وسائل بدائية ، لاتسعف فى البحث الاصيل ، ولا تشفى الغليل .. بل عول العلماء من البداية على اقتحام البحيرة ذاتها ، والبحث فى اعماقها ورصد ما يجرى فى جنباتها .

ورسمت الخطط ، وتقدمت اليابان باحسن ما لديها من اجهزة التصوير تحت الماء ، وساهمت جامعتا اكسفورد وكامبريدج ببريطانيا بخططهما وبعض اجهزتهما وعلمائهما ، وشاركت الولايات المتحدة ممثلة فى اكاديمية العلوم التطبيقية ببوسطن باجهزة غطس متطورة ، ومزودة باجهزة راصدة ومصورة .. الى آخر هذه التجهيزات التى اصبحت وسيلة متكاملة للبحث ، ووراءها مجموعة مخططة من العلماء .

ونحن لا نستطيع ان نتعرض هنا للتفاصيل ، ففيها يتشعب الحديث ويطول ، لكن يكفى ان نختصر ونقول : إن وسائل البحث قد تمت باستخدام كل ما يطرأ ومالا يطرأ لنا على بال .. بداية من اجهزة السونار (صدى الصوت المرتد من اى عائق الى جهاز يحدد بعض تفاصيله) .. الى آلات تصوير تحت الماء ، الى كاميرات تليفزيونية .. الى شرائط فيديو .. الى اجهزة تصنت على اية اصوات او اشارات قد تطلقها تلك الحيوانات .. الى فخاخ مزودة بطعم جاذب لشهية تلك الكائنات .. الى خطاطيف وكلابات تنطلق «اتوماتيكيا» بمجرد ان يدخل جسم كبير فى مجال الموجات الصوتية ، حيث تندفع اليه ، علها تنهش شيئاً من لحمه ، وبه تعود لتحفظ فى كبسولة خاصة ، لحين فحصها ومقارنتها باى كائن حي معروف .. ليس هذا فحسب ، بل تنطلق فى التو واللحظة سلسلة من التوجيهات المبرمجة على حاسب اليكترونى ، لتضيء الكشافات ، وتسجل الأصوات ، وتفتح العدسات فى كاميرات تليفزيونية وستريو وبولا رويد .. الخ (شكل ٥ ، ٦) .

نتائج تحتاج الى تمحيص

ورغم هذا الجهد الكبير فى التخطيط والمسح باحدث الوسائل والاجهزة التى يمتلكها العلم فى الوقت الحاضر ، الا ان ذلك لم يسفر عن نتائج مشجعة .. اذ لم يقترب حيوان ضخم لينهش الطعم الكبير ، حتى تنطلق الأجهزة للرصد والتصوير ، وعليه فلم تسجل الكاميرات اية صور يمكن الاعتماد عليها ، لكن بارقة من امل قد تحققت باجهزة السونار - اى الصدى الصوتى المرتد - ولقد التقط هذا الجهاز شيئاً اخترق مجاله وكان يبعد عنه ١٢ متراً وعلى عمق عشرة امتار ، وبلغ سمكه مابين متر وربع الى متر ونصف ، وفي الوقت ذاته انطلقت اجهزة التصوير لتلتقط بعض الصور ، ولكنها لم تظهر صوراً واضحة ، وارجع بعض العلماء ذلك الى عدة احتمالات ، منها ان الشيء المعترض ربما اثار الماء لدرجة انه احدث فيه سحابة من مواد دقيقة معلقة ، فحالت بين ضوء الكشافات وبين الهدف والكاميرات (المعروف ان مياه البحيرة غير صافية) ، او ان العدسات نفسها قد ترسب عليها - بمرور الوقت - هذه المواد ، فلم تعط النتيجة المطلوبة .. الخ .

لكن الغريب ان اجهزة التصنت المنتشرة في بعض ارجاء البحيرة قد سجلت اصواتاً لكائنات مختلفة ، ولأعماق تصل الى مائة متر ، او اقل من ذلك ، لكن احداً لم يستطع ان ينسب هذه الأصوات الى اي حيوان مائي معروف .. وكان من الممكن تتبع مصادر هذه الأصوات ، لكن حركة الغاطسات تحت الماء كانت - لاسباب تكنولوجية - ابطأ من حركة هذه المصادر المجهولة !

ولقد كانت اكاديمية العلوم التطبيقية ببوسطن اكثر حظاً ، اذ استطاعت آلات تصويرها - بعد تجنب بعض العقبات - ان تلتقط عدة صور تحت الماء ، لكن اثنتين منها قد اوضحتا شيئاً اقرب الى صورة عام ١٩٣٣ (انظر شكل ١) .. اي براس مدببة ، ورقبة طويلة ، وجسم ضخم (شكل ٧) .. وفي صورة ثالثة ظهر تكوين غريب لم يستطع احد ان يحدد معالمه .. ويعتقد الذين فحصوا هذه الصور ان اضخم هذه الحيوانات تتراوح كتلته ما بين ٨٠٠ - ١٥٠٠ كيلوجرام ، وعرضه حوالي المترين ، وطوله في حدود ثمانية امتار .. لكن ما هي هوية هذا المخلوق ، او الى اية فصيلة ينتمي ، فلا احد يعرف ذلك يقيناً .

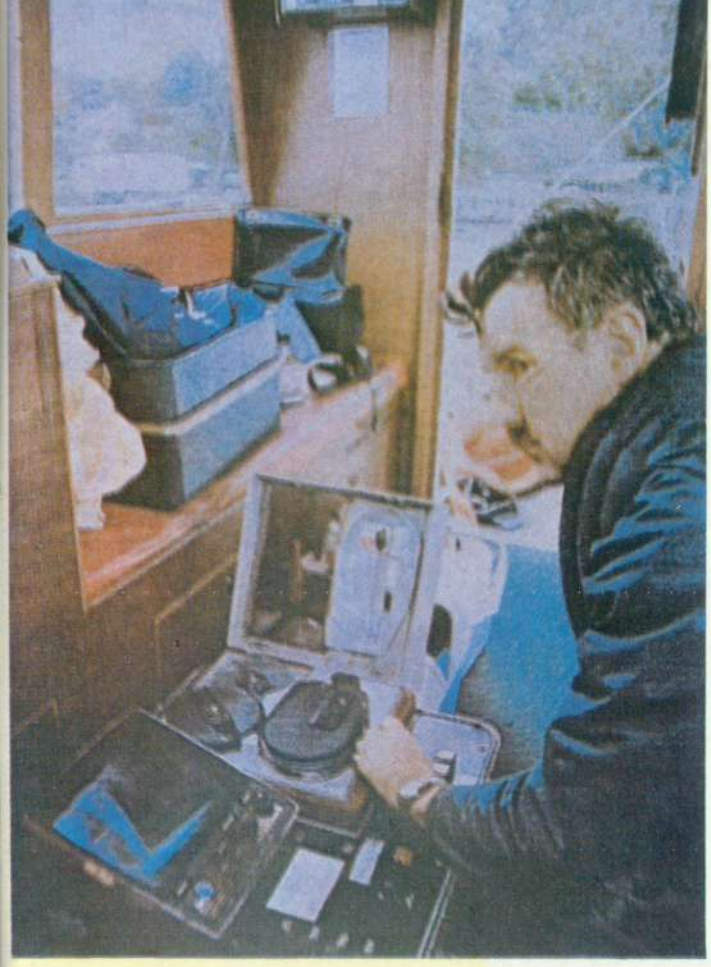
ويبدو ان تلك النتيجة قد دفعت بعض العلماء الى مزيد من البحث عن ذلك الحيوان الضخم ، وهذا ما حدث بالضبط ، اذ بدأت دراسة اخرى بداية من شهر مايو عام ١٩٨٢ حتى آخر اغسطس من نفس العام ، تحت اشراف وتخطيط دكتور ادريان شاين ، وباشتراك عدة جامعات بريطانية لتدرس طبيعة بحيرة نيس وبحيرة اخرى مجاورة تعرف باسم مورار ، ولم يكن ذلك مقصوراً على البحث عن كائنات ضخمة في هذه البحيرة او تلك فحسب ، بل ايضا لدراسة نشاتهما وخواصهما الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والجيولوجية ... الخ (شكل ٨) .

والشيء الذي يهمنا في تلك الدراسة هو ما اسفرت عنه البحوث التي تمت بحثاً عن اي حيوان ضخم ، ولقد نشر شاين هذا البحث في العام الماضي (اي ١٩٨٣) وفيه يذكر ان ثلاثة طرازات مختلفة من اجهزة السونار بترددات موجية مختلفة (٥٠ ، ٨٠ ، ١٥٠ كيلوهيرتز) قد ظلت تمسح اعماق بحيرة نيس لاكثر من ١٦٠٠ ساعة متواصلة (اي حوالى ٦٧ يوما كاملا) واظهرت الأجهزة علامات غريبة ليست مفهومة مصادرها ولا طبيعتها ، لكنها على اية حال تشير الى شيء ما . ومن هنا يختتم بحثه بقوله « اننا لم نجد وحوشا ، ولم نتاكد كذلك من عدم وجودها ، لكن لدينا - على اية حال - حالة تستحق جوابا » .

الغريب ايضاً ان اثنين من العلماء هما دكتور هـ . رايتز ، « وسير» بيتر سكوت قد اطلقا على الوحش اسماً علمياً هو « نيس تيراس رومبو بيتريكس » وهو اسم لاتيني



(٥) اثنان من العلماء وهما يقومان بارسال الكاميرات التليفزيونية المتصلة باجهزة مساعدة فربما يمر الوحش بجوارها ، فتلقط له صورا دامغة .



(٦) على سطح سفينة الابحاث يجلس العلماء امام اجهزة تلتقط لهم ما يجرى تحت سطح الماء بالصوت والصورة والحركة ، وفى الصورة نرى احد العلماء وهو يقوم بمهمة ضبط الاجهزة الغاطسة على شاشة تليفزيونية موجودة امامه



(٧)
اخر بعثة كشفية تقوم بمسح البحيرة ، ومعرفة نباتها وحيوانها ، ثم البحث عن امكان وجود كائنات ضخمة تسكنها ، والصورة التى تحتها هو ما سجلته الاجهزة ، وطبيعى ان ما سجلته لغة خاصة يعرف العلماء مضمونها ، فيميزون الغث من السمين .

مركب ، ويعني « اعجوبة نيس ذو الزعنفة الماسية » ونشرا عنه شيئا عام ١٩٧٥ في مجلة نيتشر البريطانية (الطبيعة) العلميـــة المشهورة ، وطبيعي ان ما نشره لا يعنى ان الحيوان موجود ، بل هو تكهن او مجرد اشارة توحي بان كائنا بهذه الصفات ربما يشبه مجموعة من الكائنات التي تنتمي الى رتبة الحيوانات البرمائية الضخمة التي انقرضت مـع انقـراض الديناصورات ، وكان اشهر نوع من هذه الرتبة يسمى بليسيوسور ، ولقد عرفناه من بقاياه الحفرية المطبوعة على الصخور ، ومنها استطاع العلماء ان يكونوا له صورة تقريبية (شكل ٩) وهي في خطوطها العريضة تشبه الى حد ما بعض الصور التي التقطت طافية على سطح الماء ، او مغمورة فيه (قارن شكل ٩ بشكلي ١ ، ٧) .

حرص واجب

والنتيجة ؟ ... هل الوحش موجود ، او غير موجود ؟

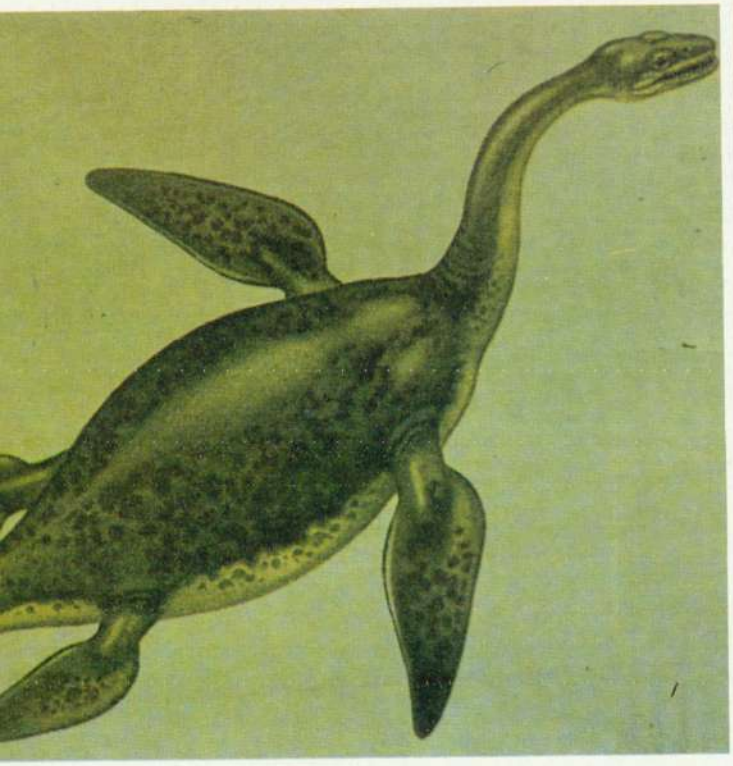
الناس تقول : نعم .. موجود ، لكن العلم لا ياخذ باقوال الناس ، ولا يعتمد على مشاهداتهم ، اذ ان كثيراً منها خادع ، والعلماء يرفضون التعليق او التحدث او ابداء الرأي في امر لا تزال تثور حوله شكوك واضحة .

ولا احد يستطيع ان يلوم العلماء على ذلك ، ولا ان يتهمهم بالجمود والتزمت والوسوسة ، فالتسرع بالحكم على اية مسالة علمية ليس الا نوعاً من التسيب والغوغائية التي تنال من قدسية العلم ، فللعلم مناهجه الصارمة ، ونتائجه الواضحة ، وهو يبحث اساساً في نظم



(٨)
صورة غريبة ومثيرة التقطت على عمق حوالى عشرة أمتار لجسم غريب يبدو هو الآخر وكأنما له رأس ورقبة طويلة وجسم .. لكن الصورة لازال مشكوكاً فيها (قارنها باشكال ١ ، ٩)

(٩)
الهيكل الحفرى يمين لحيوان بلسيوسور كما طبع على الصخور منذ حوالى ٧٠ مليون عام ، ونموذج لذات الحيوان (يسار) شيد على أساس ما وجده العلماء مسجلا على صفحات الصخر ، وهو من الحيوانات البرمائية الضخمة ، لكن هل لازال بعضها يعيش حتى الآن فى « لوخ نيس » ؟ .. لم يثبت ذلك بالدليل القاطع حتى وقتنا الحاضر





الكون الصامدة ، وشرائعه المنضبطة ، وتكويناته المنتظمة ، فانتظمت انماط تفكير اصحاب المنهج العلمي تبعاً لذلك ، اذ ليس من يتعامل مع نظم الله في كونه ، ويستمد منها زاده في تطبيقات نافعة لا نستطيع حصرها ، كمن لا يعرف عن اساسياتها شيئاً ، ثم يحاول أن يقحم نفسه فيما لا يعرف ، ويفرض نفسه وآراءه على من يعرف .. « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » !

ونحن لا نسوق ذلك من قبيل تحصيل الحاصل ، ولكن لهدف واضح .. اذ لا يهمنا وحش البحيرة بقدر ما يهمنا أن نعرض هنا معنى المنهج العلمي الذي لا ينشأ من فراغ بل هو دراسات متانية واعية لظواهر طبيعية لا خلل فيها ولا فروج ، فهناك الكثير من الآراء المضللة التي ينساق وراءها معظم الناس - خاصة شبابنا - دون أن يتفكروا فيها بفكر صائب ، وعقل ناضج ، ليعرفوا الغث من السمين ، أو الصالح من الطالح .. لان المنهج العلمي ، او التفكير العلمي هو الاساس في التخطيط والحكم على كل ما يعترض حياتنا من مشكلات في عالم متصارع بكل ابعاده ومعانيه .. لان العلم ذاته يستقي زاده من قوانين الكون ، وشرائع الحياة ، فكل ما فيها منظم وبديع وجميل واصيل !

ومن هذا المنطلق ، كان علينا ان نقدم المزيد - على صفحات هذه المجلة - من الظواهر الغريبة التي يتحدث بها الناس ، ويعتقدون في صحتها ، بحجة ان العلم قد حققها ، واعترف بها ، رغم ان العلم بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب . فالى مقال قادم ان شاء الله .

عبد المحسن صالح

لماذا لم نعد نغني؟

بقلم: محمد فتحي

● يبطل الغناء فى أفواه الناس .. ولا يبطل من أبواق الاذاعات !

● الغناء فى الاذاعات يتمشى تمشياً عكسياً مع واقع المجتمع

● الراديو لا يبطل الغناء .. وإذا أبطله لحظات من أجل كلمة أو خبر .. عاد إليه بعزم أشد وصوت أعلى وأغلب !

من جيل او جيلين مضيا ، كان السائر فى الطريق العام لا يفتا يطرق اذنيه ، من حين لحين ، غناء منبعث من باعة الفاكهة بشتى صنوفها ، من عنب وتين وبلح ورمان او من سقاة شراب العرقسوس والخروب والتمر هندى والليمون والحليب ، فهو شفاء ، ومروق للابدان ، ومن ماء زمزم .. ! وإذا دخلت البيت رن فى بئر السلم غناء لشاب هائم او لشغالة تنقى الارز او تخرط البصل ، حتى الرجل الوقور ، فى الحمام ، كان يحلو له ان يرفع عقيرته بالغناء !

وفى القرية عبر الغيطان والحقول الخضراء الممتدة إلى نهاية الشوف ، يجيئك صوت المزمار الحزين وناى الغاب ، او نحيب الموال تترقرق موجاته إلى قرارات النفوس تثير شجن الحقب والقرون .. والغاب فى افواه اولاد القرية يستلهمون الانغام من الحمام واليمام ، ومن الديك والغراب ، ومن الساقية والنورج .

الغناء والشعر مسالة تمت الى الوجدان فهل فقد الوجدان سلطانه فى نفوس الناس ؟ هل انزوى وران عليه الصدا فى وجه الحاجات الملحة للابدان ؟ هل لذلك صلة بالغناء الذى يتكبده إنسان العصر لقضاء احتياجاته فى زحمة المعيشة الصعبة ومسالكها الوعرة ؟

وقد يدور فى الأذهان تساؤل آخر .. هل لانعدام الأمان العالمى العام والقلق وعدم الثقة فيما قد يجيء به الغد من كوارث واهوال نووية دخل فيما اصاب وجدان البشر عندنا ، وربما عند غيرنا بدرجة اكبر وافظع ؟!

مهما يكن الأمر فى هذه التساؤلات وغيرها ، فالظاهرة جديرة بالتامل ، وجديرة بان يعكف الباحثون الاجتماعيون على درسها والتقرير فى شانها ، بيد ان الذى يعنينا هنا هو الموقف الذى تتخذه الاذاعات إزاءها .

الغناء يبطل فى افواه الناس ، يموت على شفاههم ، لكنه من ابواق الاذاعات المسموعة والمرئية يتضخم ويتعاظم وتزداد حصصه . اى انه فى الاذاعات يتمشى تمشيا عكسيا مع واقع المجتمع . وهذه اولية ينبغى ان يتوقف عندها المخطط الاذاعى وقفة طويلة تاملية .

هل تفعل الاذاعات ذلك تعويضا عن الغناء الحي التلقائي المفتقد ؟! هل تفعله إيماء وإحياء للغناء فى نفوس الناس ، بالبث وتكرار البث ومداومة البث ؟! او هل تفعله إيهاما لهم بان الصفاء ما يزال يهيمن على الدنيا .. البلابل تصدح والعصافير تزغرد .. واعية تسكب فى وجدانهم ما ينسى ويزيح الهموم والتوترات والانشغالات بامور المجتمع من سياسات وغير سياسات ؟ !

قد يقول قائل إنها تفعل ذلك بثا لافكار معينة فى نفوس الناس مثل الدعوة إلى الوطنية والى الانتماء الوطنى ، وهوو الأمر الملحوظ ، كما السيل ، فى الانتاج اللغنائى الاذاعى فى الوقت الحاضر . بيد ان هذه قضية بت فى امرها من زمن بعيد .. إذ لم يثبت على مدار السنين ان الغناء يشحذ الهمم او يرفع الحالة المعنوية ، او حتى يبث السكينة والطمانينة فى النفوس إبان الشدائد . عندما كانت بريطانيا تتحارب حربها المصيرية الضروس ضد المانيا ، كانت موجاتها الاذاعية تجلجل بضحكات الكوميديا الساخرة ، إلى جانب اللوقائع الحية والرسائل الميدانية الواردة من ساحات القتال ، والتى كانت طوال سنين لا تحمل سوى اخبار الهزائم المتتالية ، هزيمة فى إثر هزيمة ، فى اوربا وآسيا



كانت ام كلثوم تغنى قبل ظهور الراديو فى حديقة الأزبكية مقابل اجر لا يقدر عليه المريد من عامة الناس



محمد عبد الوهاب .. كانوا يسمونه قبل عصر الراديو مطرب الملوك والامراء

والصحراء الغربية . لم تلجا الاذاعة البريطانية أبداً ، وهى منهزمة محصورة مدحورة، إلى اصطناع ما يسمى بالاناشيد الحماسية الايهامية ، التى قد تسحر او تخدر هنيهة او تسبح بالافئدة فوق غيوم الخيال !

وحتى المانيا النازية ، فى عز سلطانها وانتصاراتها ، وطول باعها فى الاثارة بابتداع التنظيمات الهائلة والتجمعات الضخمة والمواكب الباهرة والاعلام التى تملأ السماء ، لم تلجا ابداً إلى ما يسمى بالاناشيد الوطنية تبث من دور الاذاعات .

النشيد الوطنى ـ واحسبه نشا مع الثورة الفرنسية بنشيد « المارسييز » اضحى فيما بعد الثورة رمزاً ، واحسب ان الدولة لحديثة من ذلك التاريخ اتخذت النشيد الخاص بكل منها رمزاً للوطن ، لسيادته ومجده وعظمته ، لا يعزف إلا فى اغلى واعز المناسبات ، وليس له ان يبتذل او يهلهل او تصب له القوالب والاشباه !

ثم بعد ذلك كله ، افلا يرى مطلقو الابواق بالمغانى دون ما توقف ، ان السرف فى إذاعة الأغانى تزهيد للناس فى الغناء ، جيده مع رديئه ، وصد للنفوس وصرف للآذان عن سماعه ؟ !

ما نظن ان هذه هى غايتهم .. ؟!

ليست كلمتنا هذه دعوة للاذاعات ان تكف عن بث الغناء وإطلاقه فى الاجواء والارجاء . إنما نقول إن الغناء فرع من تصنيف الموسيقى وهو واحد من تصانيف الترويح . والترويح ذاته ليس إلا وظيفة واحدة من الوظائف التى تؤديها الخدمات الاذاعية إلى جانب وظائف اخرى كاذاعة اخبار المجتمع ووقائعه ومجريات الامور فيه ثم وظائف التعليم والتثقيف والتنشئة الاجتماعية . لكنه فى إذاعاتنا ـ دون إذاعات العالم قاطبة ـ ياخذ حجماً بالغ الضخامة ، اكبر كثيراً من حجمه المستحق . فاذا كان له ان يحظى بنصيب لا يتجاوز خمسة فى المائة من وقت البرامج ، نراه يلتهم ما يزيد فى بعض القنوات عن خمسين فى المائة ! ! وهى نسبة مذهلة تخل بالميزان ، وتنحرف الخدمة عن اداء وظائفها الجوهرية فى نواحي عرض الوقائع الحية والتعليم والثقيف والتنشئة والتنمية وما إليها ، ومن ثم تحرم المواطن من حقه فى الاعلام السليم الذى يتلقاه غيره .

لا نريد ان ناخذ المخططين للاذاعات بسوء الظن ، وانهم إنما يفعلون ذلك ليكفوا انفسهم مئونة الجهد والمشقة فى الابتداع والابتكار وتغطيـــة الوظائف الصـــعبة الاخرى ، فليس أيسر من ان نكلف من يصك كلمات لاغنية ثم من يلحنها ، ثم من يغنيها من عشرات المتكسبين المشكوك فى مواهبهم والذين استمراوا العيش الهين وركبوا موجات الاثير مقتحمين اسماعنا ، واصبحوا كما يقول العامة بتعبيرهم البليغ الضائق « اكثر من الهم على القلب » . وقديماً كان التكسب بالشعر والغناء معرة .

قد يكون المخططون للاذاعات ضحية وهم جاءهم عن طريق التقليد ، التقليد لعهد بداية الاذاعات ، عندما كان الغناء متعة أهل الدعة واليسار ، فى حين لا يجد اليه عامة الناس السبيل ! فى ذلك العهد أشاع الراديو الغناء الرفيع والموسيقى كما أشاع المعرفة والعلم وذخائر الدين ، حلالا للناس كافة ، لا لفئة محظوظة دون غيرها .

أليس يحق لنا ، على ضوء المتغيرات التى جرت فى الزمان والمكان ان ندعو المخططين للاذاعات بتدبر الامر ؟ .

فهل يتدبرون .. ؟ !

الحياة في الغابات

مخزن هائل للطبيعة نحصل منه على الخشب والورق وألعاب الأطفال والحرير

بقلم : د. عزالدين فراج

تلعب الغابات دوراً كبيراً فى حياة بعض الشعوب ، فالخشابها مصدر ثروة كبيرة ، ودعامة من دعائم الصناعة الحديثة، ففضلا عن اهمية الاخشاب فى بناء الدور والمنازل ، وفضلا عن اهميتها كمصدر من مصادر الوقود ، فانها تمدنا فى كثير من الاحيان بالصموغ التى تدخل فى صناعة العجائن ، وبالقشور التى تدخل فى صناعة الدباغة ، كما تمدنا ببعض المواد الراتنجية وبعض مواد الطلاء .

ولولا الاخشاب لما قامت صناعة الورق ، وكلنا يدرك اهمية الورق فى موكب المعرفة والحضارة ، ولولاها لما قامت ايضا صناعة لعب الاطفال ، ولما تقدمت صناعة الحرير الصناعى .

وتنتشر الغابات فى المناطق الحارة والباردة على السواء ، إلا انه لكل منطقة طابع خاص يميزها ، فغابات المناطق الحارة تنمو فى مناطق تهطل فيها الامطار بغزارة طول العام ، ولهذا نجدها متكاثفة الأشجار ، متشابكة الأغصان .

وعندما تدخل غابة من غابات المناطق الحارة تجد الأشجار باسقة ، قد علت فى الجو امتاراً طوالا ، وتجدها تقاربت جذوعها

الغابات التى تقوم بدور هام فى حياة كافة الشعوب ، ولولاها لما قامت صناعات عديدة فى عالمنا المعاصر



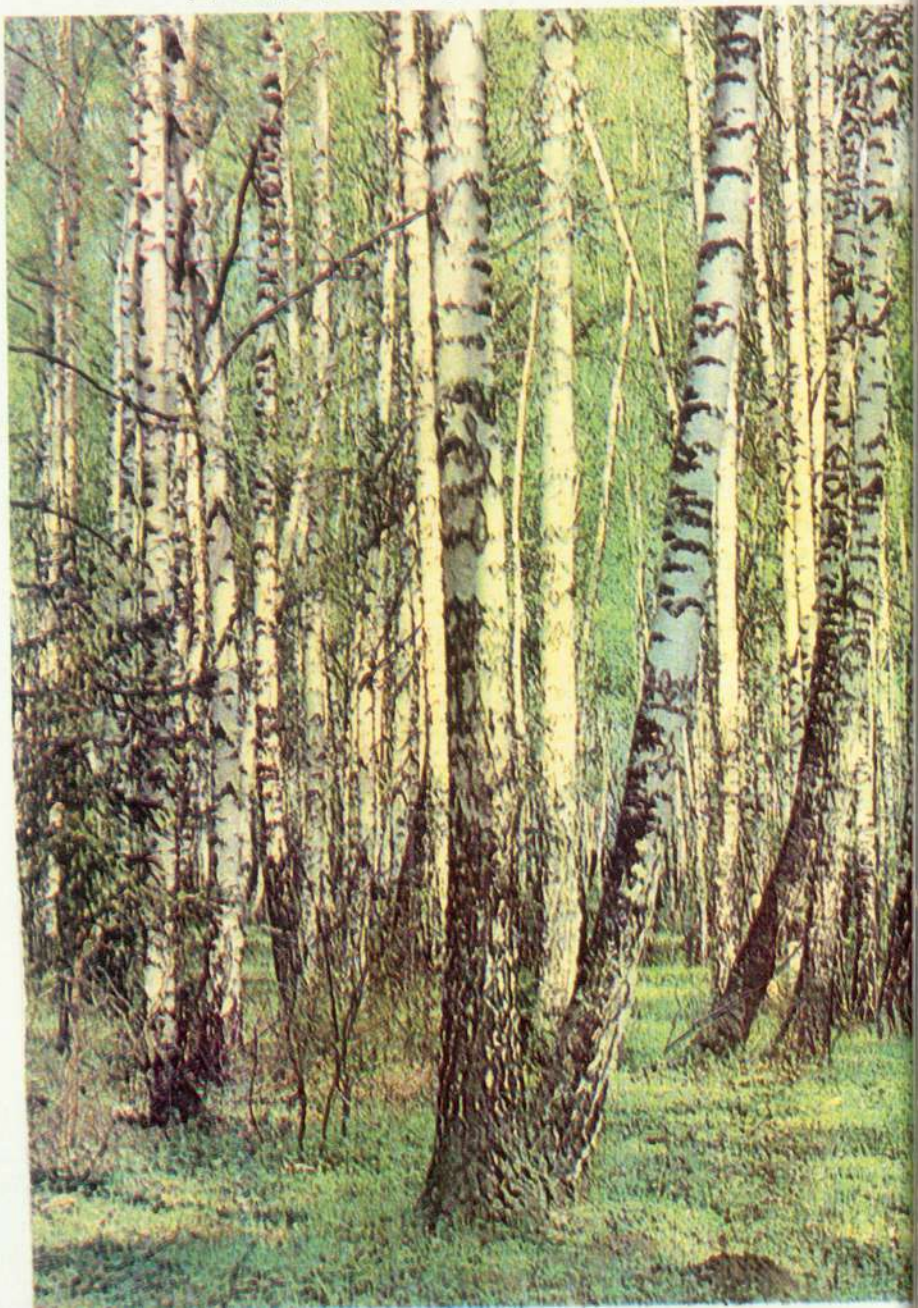


غابات متشابكة من غابات المناطق الحارة ، تزخر بانواع مختلفة من الحيوانات والطيـــور



القطيع إلى مصدر المياه فى الغابة فى جماعات ، فهذا من وجهة نظرهم أسلم الطرق للحماية من الاخطار !

غابات المناطق الباردة وشبه المعتدلة ، لا تتزاحم ولا تتشابك فيها الاشجار



وتلامست رءوسها او كادت ، فكانت كالمظلة أظلت الأرض طولا وعرضا ، واحتجبت الشمس إلا شعاعات قليلة تجاهد أن تخترق هذا الكون المظلم .

أما غابات المناطق الباردة التى تنتشر في شمال آسيا وامريكا فهى غير كثيفة الأشجار ، وغير متشابكة الأغصان ، ولهذا يمكن السير بين أشجارها الطويلة ذات السيقان المستقيمة ، فى سهولة ويسر ، على نقيض الحال فى غابات المناطق الحارة ، حيث يتعذر السير بسهولة لتشابك اغصانها وتقارب أشجارها .

وتختلف طبيعة الأخشاب وقوتها ومتانتها تبعاً لنوع الغابات التى نمت فيها فاخشاب غابات المناطق الحارة تمتـــاز بمتانتها ولونها القاتم ، ونجد فى الغابات الحارة أشجار « الأبنوس » « واشـجار « الماهوجنى » التى تستخدم بكثرة فى صناعة الأثاث ، كما نجد فيها خشب التيك الدهنى الملمس ، وخشب الجوياكم الشمعى الملمس ، وهذان النوعان الأخيران من الخشب أمتن الأخشاب وأكثرها مقاومة لتاثير الأحماض والمركبات الكيماوية .

أما غابات المناطق الباردة فتمدنا باخشاب السرو والصنوبر والعرعر ، وكلها أخشاب غير متينة ، ولذلك فهى قليلة الاستعمال فى صناعة الأثاث ، ولكنها تستخدم على نطاق واسع فى صناعة الورق ، وهذا ما يفسر لنا انتشار صناعة الورق فى السويد والنرويج وشمال كندا ، لكثرة هذه الأشجار المخروطية الشكل .

الحياة في الغابات

أشجار اقتصادية

ومن الأشجار الاقتصادية فى غابات المناطق الحارة شجرة جوز الهند التى تراها بكثرة فى جزر الهند الغربية وجزر الهند الشرقية وبلاد الفلبين والملايو ، وهذه الشجرة تعلو فى بعض الأحيان الى مائة قدم ، وينتهى ساقها فى العادة بتاج من الأوراق المروحية الجميلة ، وتحمل هذه الأشجار ثماراً تختلف كثيراً عن الثمار التى اعتدنا أن نراها نحن معشر الشرقيين فى أسواقنا المحلية ، فالثمرة وهى فوق شجرتها ذات غلاف خارجى مندمج غير منفذ للماء ، يليه غلاف آخر وسطى ليفي هش يتخلله الهواء ، فاما الغلاف الداخلى فهو غلاف خشبى صلب يضم قلب الجوزة بما فيها من عصير لبنى يقال له « لبن جوز الهند » .

ويحتوى لب الثمرة على زيت بنسبة من ٣٠ الى ٤٠٪ ، وزيت جوز الهند يستخدم فى صناعة الشمع ، وفى صناعة الصابون ، وفى صناعة مواد التجميل ، كما يستخدم فى صناعة الزبد الصناعى .

ومن الأشجار الاقتصادية التى نجدها فى بعض الغابات الباردة وشبه الباردة ، خصوصاً فى غابات اسبانيا والبرتغال أشجار البلوط .

ومن هذه الأشجار يؤخذ الفلين من محيطها الخارجى عندما يصل قطرها خمسة عشر سنتيمتراً ، وعندئذ تكون قد بلغت من العمر خمسة عشر عاماً .

ويراعى عند نزع الفلين وجمعه من أشجاره أن يكون بين كل جَمعة وأخرى سبع سنوات .

وبعد أن تكشط طبقة الفلين تترك فى الهواء والشمس حتى يتم جفافها ، ثم يغلى بعد ذلك ليسهل ضغطه وحزمه .

ومن الفلين نصنع سدادات القوارير ونحوها . لقابليته للضغط ، لأن السوائل لا تنفذ منه .

ويستخدم الفلين فى قوارب النجاة ، لأنه يطفو فوق الماء ، كما تجده فى الأفران والثلاجات ، لمقاومته الحرارة والرطوبة ، وتتخذ منه الواح مضغوطة تستعمل فى المبانى الحديثة لامتصاص الصوت .

سكان الغابات وأعمالهم

يسكن بعض غابات المناطق الحارة زنوج طوال الأجسام ، ويسكن بعضها الآخر أقزام لا يزيد طول الواحد عن ١٢٠ سنتيمتراً .

ويعيش هؤلاء السكان على جمع الثمار من الغابات وصيد الحيوانات البرية بالقوس والرمح ، ويندر أن يخطىء هؤلاء القوم المرمى . هذا بجانب قطع الأخشاب وجمع الجلود وسن الفيلة .

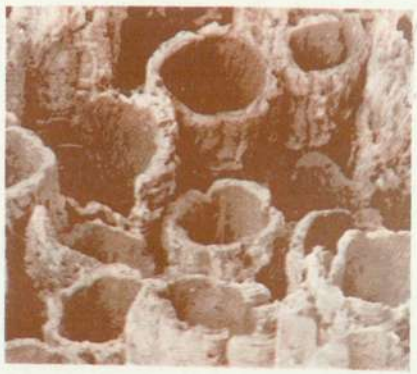
ولا يبنى سكان الغابات الحارة مساكن ثابتة ، لأن حياتهم تنقل من مكان إلى آخر للبحث عن الغذاء . ومساكنهم أكواخ بسيطة يقيمونها من أغصان الأشجار .

وإذا تركنا غابات المناطق الحارة وذهبنا إلى غابات المناطق الباردة شمال آسيا وأمريكا وجدنا الأشياء غير متقاربة ووجدنا الثلوج تغطى أرضها طول الشتاء . وفى هذا الفصل ترى أهالى هذه المنطقة الطوال الأجسام ، البيض الوجوه ، يشتغلون بقطع الأخشاب وينقلونها إلى أقرب مجارى الأنهار ، حتى إذا ما ذاب الثلج جرت مياه الأنهار ودفع التيار الأخشاب معه ، إلى محطات النشر والقطع .

وسكان الغابات الباردة وما جاورها يهتمون اهتماماً كبيراً بصيد الحيوانات ذات الفراء كالدب والثعلب لتصدير فرائها الى الأسواق الخارجية . فهذه الفراء بجانب الأخشاب تعتبر مصدراً هاماً من مصادر الثروة القومية فى هذه المناطق الباردة .

وفى وسط غابات المناطق الحارة وعند حوافها نجد الفيلة والضباع والأسود والحمير الوحشية . أما القرود والطيور فتكثر فى الأجزاء العلوية من أشجار الغابة بينما تكثر الثعابين على اختلاف أنواعها فى الأجزاء السفلية من الغابة .

تكشط القشرة من شجرة الفلين ، لتعطينا الفلين الذى نستخدمه فى اغراضنا المنزلية والصناعية



عند عمل كشط أو جرح فى ساق نبات المطاط يسيل عصير لبنى أبيض يصنع منه المطاط



انتقال القرود بين الأشجار

ولما كان التسلق والقفز والقبض على الأشياء من دعامة حياة القردة فى الغابات نجد أن أجسامها قد حل بها بعض التحور لتحقق الحياة في هذه البيئة ، فنجد في القرود المتسلقة عظام الساعد منفصلة انفصالا يساعد على التواء الرسغ ومرونة حركته .

ومما يساعد القرود على القبض على الأشياء تحور شكل الأصابع بطريقة تسمح بالقبض على الأجسام الصلبة، فنجد فيها الابهام يمكن أن يتقابل ويلتقى مع باقى الأصابع .

وهناك طائفة من القرود تستطيع التعلق بالأشجار والقبض عليها باستخدام ذيلها الطويل القوى العضلات .

واذا وطىء دنيا الغابات مخلوق يخشى شره كالانسان مثلا ، فللحيوان اساليبه الخاصة فى تبادل الانذار والتحذير والتنبيه بقدوم هذا الغريب . وربما كان الغراب فى الغابة أول من يلمح هذا الخطر القادم فيصيح منذراً محذراً .. فلا تلبث الطيور والسناجب أن تحذر بدورها وتنقل هذا الانذار الى كل مكان .

عز الدين فراج

صبحي
الشارونى



الفنانة رعاية النمر فى متحفها الشعبى ، وهى ترتدى « برقع » من منطقة الشرقية فى مصر ، مزين بالعملات الذهبية

لماذا لا تتبنى الجامعة العربية هذا العمل الفني الكبير؟

متحف "رعاية النمر" للفنون الشعبية العربية

إنه واحد من المتاحف الشعبية النادرة فى العالم العربى .. استطاعت فنانة عربية أن تقيمه بجهدها الخاص فى قرية صغيرة من قرى الجيزة فى مصر يسمونها « الحرانية » .. لقد اقامت الفنانة رعاية النمر هذا المتحف على الطراز العربى ، نسقت بداخله مجموعتها الخاصة التى ضمت الأزياء الشعبية وبعض الصناعات والحرف التقليدية الشائعة فى واحات وصحراء مصر والعديد من البلاد العربية مثل تونس والعراق واليمن والجزائر والمغرب والسودان وفلسطين وغيرها .. فما هى قصة هذا المتحف النادر ؟! كيف بدأ ، وكيف يواصل الحياة والتطور ؟



زى بدوى ونماذج من الصناعات الشعبية النحاسية والخشبية والفخارية التى جمعتها من قرية « الحرانية » فى الجيزة .



داخل متحفها الشعبى بالجلباب الفلاحى وبجانبها رداء من العريش

تحت سفح الهضبة التى تحمل اهرامات الجيزة ، وبالقرب من قرية الحرانية التى اشتهرت بسجادها ذى الزخارف والرسوم التلقائية ، تنتشر مجموعة من بيوت الفنانين التشكيليين ومتاحف انتاجهم .. وعلى مسافة تمتد ٢ كيلومتراً من الطريق الموصل الى منطقة سقارة حيث آثار الدولة القديمة فى مصر .. تتوالى هذه البيوت الفنية والمتاحف الخاصة : متحف درويش للخزف لصاحبه الفنان نبيل درويش ، ثم بيت الفنان العالمى آدم حنين الذى يقيم حالياً بباريس تنتصب تماثيله فى حديقة بيته النوبى الطراز بهذه المنطقة ، ثم المحترف الخزاف محيي الدين طاهر بجوار « بيت الفن فى الحرانية » الذى اقامه المهندس المعمارى الراحل « رمسيس ويصا واصف » وبه متحف حبيب جورجى للفن التلقائى ، ثم متحف زكريا الخنانى ، واخيراً متحف « رعاية النمر » للفنون الشعبية مع مرسم الفنان « عبد الغنى أبو العينين » .

بداية الهواية

وقد بدأت هواية الفنانة رعاية النمر فى جمع الوحدات الشعبية ودراستها منذ الصغر ، واتجهت الى دراسة الفنون الجميلة حيث تخرجت من معهد التربية الفنية للبنات عام ١٩٥٥ ، ثم اتجهت الى العمل الصحفى وتخصصت فى الاخراج وتحرير ابواب المرأة والأزياء والهوايات الفنية ، وتنقلت بين « مجلة الاذاعة » و « حواء » و « المجلة الزراعية » و « صوت الشرق » و « نهضة افريقيا » . واثناء عملها فى هذه المجلات انشأت وزارة الثقافة المصرية مركزاً للفنون الشعبية ، كان ذلك فى أوائل الستينات ، فانتقلت الفنانة للعمل بهذا المركز .. وكانت مهمتها انشاء متحف للفنون الشعبية وجمع النماذج المتميزة من مختلف الأقاليم فى مصر ، وكان



هذا الزى يمثل ما ترتديه نساء الواحات الداخلة ويلاحظ فيه الجهد الفنى والالوان المبهجة والتطريز والعملات المعدنية .



زى يمنى قديم مطرز بالخيوط المذهبة (القصب) .. فقد بدات الفنانة فى جمع نماذج من الفنون الشعبية العربية بعد ان استكملت المجموعة المصرية .

يوجهها فى هذا المجال خبراء فى الفنـون الشعبية من رومانيا التى ذاع صيتها فى هذا الميدان ، فتعلمت الأسلوب العلمى فى دراسة هذه الفنون واختيار النماذج المناسبة منها وتوثيقها وعرضها ، لكنها مالبثت ان اتجهت الى جهاز الثقافة الجماهيرية الذى يخدم قطاعات واسعة من الجمهور فى جميع انحاء مصر ، وذلك لكى تتعرف عن قرب على هذه الفنون بتعمق اكثر ، ولكى تقدم خدماتها فى هذا الميدان لقطاعات أوسع من الجمهور ، ثم تركزت مسئوليتها عن وحدة ثقافية فى الريف هى وحدة قرية « كفر الشرفاء » التى تقوم بتعليم الحرف والفنون الشعبية لأبناء القرية . وفى نفس الوقت كانت مسئولة عن قصر ثقافة الجيزة . وهكذا استفادت من تنقلاتها بين قصور الثقافة الجماهيريـة واهتمامها المركز بهذا الميدان لتستكمل مجموعتها من نماذج الفن الشعبى ، وعلى مدى ربع قرن او اكثر تجمعت لدى الفنانة كل ما وصلت اليه يداها من فنون شعبية سواء كانت ملابس أو صناعات يدويـة ، حتى تكونت لديها اكبر مجموعة للفنون الشعبية المصرية والعربية فى الشرق الاوسط .

ولقد شاركت الفنانة فى تاسيس الجمعية المصرية للفنون الشعبية وهى الجمعية التى تتيح للمهتمين بالفن الشعبى أن يتبادلوا الخبرات والمعرفة وتهدف الى المحافظة على هذا التراث من الاندثار وتعريف الجمهور بالتراث الشعبى واتاحة نماذجه أمام الفنانين الذين يتجهون الى دراسته واستيحائه فى انتاجهم الفنى . وقد اقامت هذه الجمعية ستة معارض حتى الآن قدمت للجمهور من خلالها نماذج متميزة ومشوقة من هـذه الفنون .

متاحف الفنون الشعبية

إن المتحف الذى أسسته الفنانة فى مركز



ركن بالمتحف يضم مجموعة أشغال الألياف النباتية (السماد والجريد والخوص ..) من بلاد عربية مختلفة : العراق واليمن ومصر

الفنون الشعبية التابع لوزارة الثقافة لم يتسع ولم تضف اليه نماذج جديدة بعد أن تركته الفنانة عام ١٩٦٦ لتعمل فى متحف المسرح ثم الثقافة الجماهيرية ، اما متحف وكالة الغورى بالقاهرة ومتحف الجمعية الجغرافية فهما فقيران فى النماذج بالقياس الى مجموعة الفنانة التى اقامت لها متحفا خاصا تحت سفح الأهرام بالقرب من قرية الحرانية بالجيزة .

إن الفنانة بعد أن استكملت المجموعة المصرية التى تمثل معظم اقاليم مصر اتجهت الى جمع نماذج من الفنون الشعبية العربية ، ورغم انها واجهتها عدة صعوبات على رأسها تكاليف السفر والاقامة ثم تكاليف الاقتناء ، الا انها قطعت شوطا كبيراً فى استكمال المجموعة العربية اذ لديها نماذج من اليمن والعراق والمغرب والجزائر وتونس ، اما باقى البلاد العربية فيضم متحفها اشياء رمزية تحقق وجودها وإن كانت لا تمثلها تمثيلا كاملا .

متحف الحرانية

لقد اقتطعت الفنانة جزءاً من الأرض التى تملكها هى وزوجها الفنان « ابو العينين » لتقيم عليها مبنى على الطراز العربى بقرية الحرانية التى اختارت موقعها لتكون فى مناخ متكامل مع مجموعتها من الفن الشعبى بغير تنافر .

ويضم هذا المتحف نماذج للملابس والحلى وصناعات الخزف والفخار والنسجيات وصناعات الخوص والقش وتشكيل النحاس والمصنوعات الجلدية .

اما ازياء الرجال فهى غير متداولة اى انها لا تعرض عادة للبيع حتى يمكن اقتناؤها للمتحف وهى غير مبهجة وليست بها زخارف ولا يوليها الفنان الشعبى اهتماما كبيراً . ومتحف « رعاية النمر » لا يضم فقط اعمال الفلكلور ولكنه يضم ايضاً بعض الصناعات والحرف التقليدية

الفن التشكيلى الشعبى

الفولكلور هو فن « المأثور الشعبى » وتطلق هذه الكلمة عادة على الفنون المنطوقة والمسموعة ، اما الفن التشكيلى فيحلو للبعض أن يطلق عليه « فولك آرت » اى فن الشعب تمييزاً له عن الفنون المنطوقة والمسموعة ، خاصة أن دارسي الفنون الشعبية يتخصصون عادة فى واحد من الفرعين الكبيرين المسموعة أو التشكيلية .

والمأثور الشعبى هو العمل الفنى الذى لا يزال يعيش حتى وقتنا الحاضر ولا يزال يستخدم ويتوارث جيلا بعد جيل .. وهو مجهول الاصل ومجهول المؤلف . فنجد مثلا لحنا شعبياً يعزف فى أكثر من مكان وتصاحبه كلمات تختلف فى موقع عن آخر



الزى التقليدى للبدويات فى سيناء ، حيث نرى لكل قبيلة ما يميزها من الملابس ، ويكون دائما الاختلاف فى لون البرقع



.. ولكن لا مؤلف اللحن معروف ولا مؤلف الكلمات معروف ، فجميع الفنون الشعبية اصحابها مجهولون .

وإننا نرى وحدات زخرفية فى التطريز على الملابس والمنسوجات او الطـــراز المعمارى ولا نعرف صاحبها ، وطالما هذه الوحدات مستخدمة فهى من الفن الشعبى أما ما بطل استخدامه فهو من الفنـــون التاريخية .

كما ان الصناعات الشعبية والبيئيـة تتاثر تاثيراً واضحاً بالمناخ الجغرافى وطبيعة البيئة ، فالمساحات المزروعة الخضراء لها تاثيرها فى المناطق الريفية ، أما بدو الصحراء فصناعاتهم الشعبية مختلفة ، وعلى سبيل المثال فملابسهم الصوفية من الغنم والوبر حيث لا ينبت القطن او الكتان فى الصحراء ، لهذا ففنون البدوى على الوبر والصوف والجلود لأنه يصنع منها ملابسه ويبنى بها خيمته وينسج منها فراشه ، ولأن البدو رحل فهم يتصلون باطراف المدن والقرى فيشترون الملابس التى تلائم بيئتهم ، وهم يفضلون الاقمشة السوداء للمراة حيث انها اللون الذى يظهر بوضوح عن بعد فى الصحراء القوية الضوء ذات اللون الاصفر على امتداد البصر ، أما الخيوط الملونة فيطرزون بها ما بين الخياطات .. وكلما كثر التطريز وتنوع كان ذلك دليلا على مهارة الفتاة او السيدة ، وهو امر يدعو للفخر والتباهى ، وكل بيئة لها مثل هذه المواصفات .

تجاوز الحدود السياسية

ان التجاوز الجغرافي يحقق وحـدة فى الفنون الشعبية لا تعترف بالتقسيم السياسى .. مع ان اختلاف المناخ له تاثيره الحاسم .. فالجو الحار فى النوبة جعـل الملابس اخف منها فى سيناء حيث الجو صحراوى قارى .. وفى سيناء لكل قبيلة



هذا الركن الهام فى متحف رعاية النمر تتوسطه « طرحة » من سيناء معروضة فوق النافذة ، وبجانبها برقع بنت البلد للصرية (فى المدن) وعلى الجانب الآخر جلباب من الواحات البحرية ..... ثم معروضات من الصوف والجلد من الجزائر وسوريا



ركن اخر من المتحف يضم غطاء راس من الصوف الاحمر من تونس .. ومراتين على الجانبين من المغرب .. وبعض المقتنيات من فلسطين والسودان والجزائر

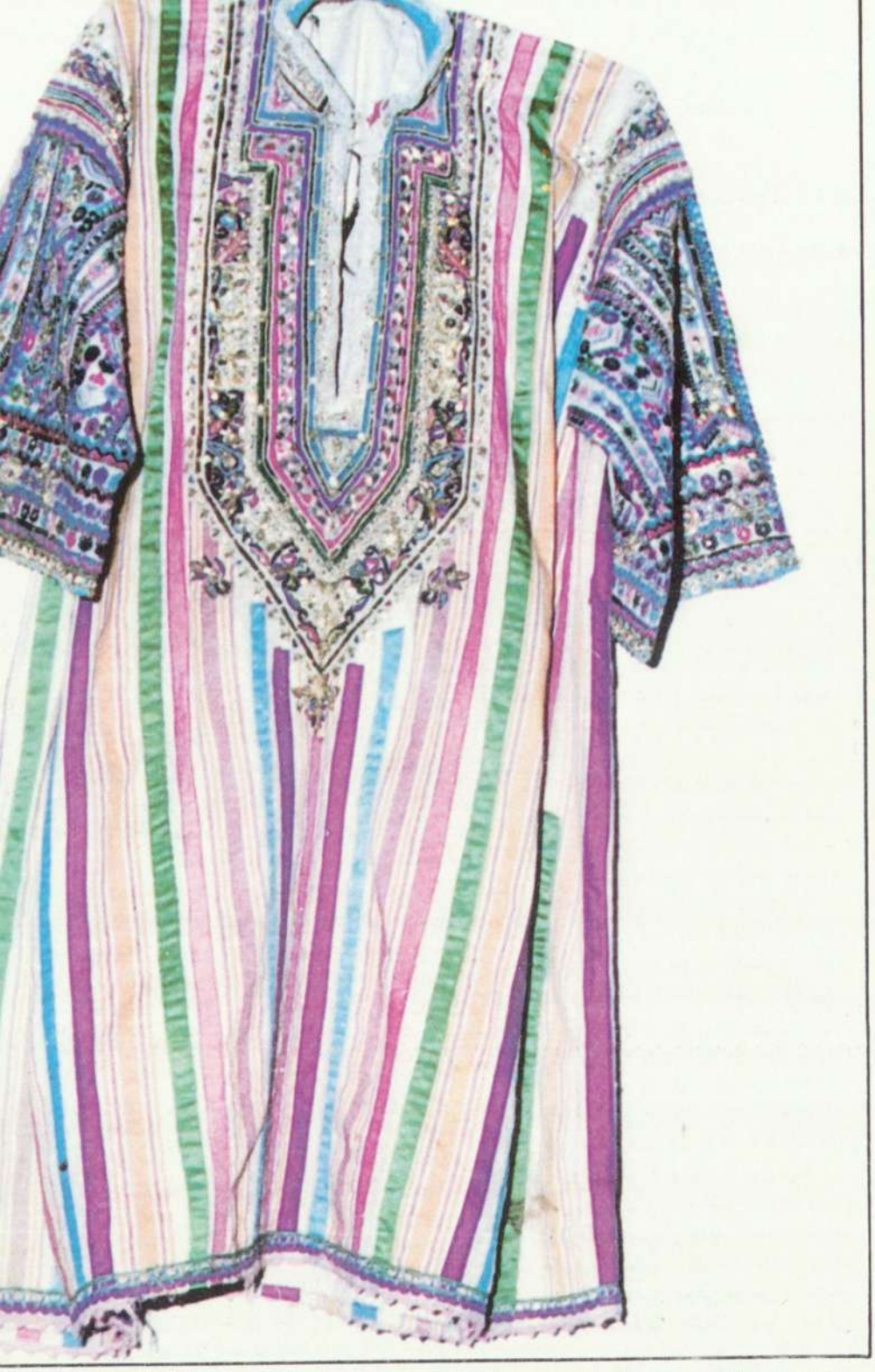
ما يميزها فى الملبس ويتركز فى لون البرقع ونوعه ، فهو كالعلم : يتيح معرفة الانتماء القبلى من شكل البرقع . وهناك ملابس للمناسبات ، كما ان ملابس المراة المتزوجة تختلف عن ملابس الفتاة العذراء .

ونلاحظ ان كل الملابس الشعبية فيها جهد فنى والوان مبهجة وتطريز وحليات وعملات معدنية او ترتر او ازرار (كما هو الحال فى واحة سيوة) مع كمية كبيرة من الحلى .

كما نجد ان اغلب الملابس التى تخرج بها النساء من الدار باللون الأسود بينما الشال الملون للفتيات والشال الأسود للمتزوجات .. وفى المغرب نجد ان اللون الابيض بدلا من الأسود فى ملابس النساء

ومع ذلك فالفنون الشعبية تتضمن فنونا مهاجرة من بلد الى اخر وهى تواصل الحياة ولا تندثر تبعا لتشابه المعتقدات والعادات والتقاليد ، وقبل كل هذا جغرافية المكان والمستوى الاقتصادى فى الموقع الجديد الذى هاجرت اليه .

إن تشابه البيئات يؤدى الى تشابه فى مواصفات الانتاج الشعبى ، ومن هنا نجد تشابها بين بدو العراق وبدو سيناء وبدو المغرب ، ولكن اذا كانت الهجرة الى بيئة مختلفة فان الفنون المهاجرة تتاقلم مع البيئة الجديدة حتى تؤدى المنتجات الشعبية وظيفتها بكفاءة ، ولو طبقنا ذلك على العمارة او الملابس او الحلى او الفخار نجد ان هذه النظرية صحيحة ، فبالنسبة



زى عروس تونسية .. بين هذا الزى وغيره من الازياء العربية تتحقق وحدة التراث وتقارب التقاليد

للملابس نجد ان سكان الجبال يرتدون ملابس تختلف عن اردية سكان الوديان من ناحية الاتساع والضيق وسمك النسيج وعدد الأردية التى يلبسها الشخص الواحد فوق بعضها .. كما نلاحظ اختلاف ملابس المناسبات مثل الأعياد والزواج والحج ورؤية هلال رمضان .. الخ . فلكل منها مميزاتها التى تتمشى مع المناسبة .

ومما لاشك فيه أن الفنون الشعبية تقع دائما تحت تاثير الحكام والاغنياء ، اذ يتجه الفنان الشعبى فى كثير من الأحيان الى تقليد الحكام ومحاكاتهم ، فنرى تاثير الفاطميين ثم الاتراك ثم الانجليز باقية آثارهم حتى الآن .. وهناك اشياء تدهشنا اذ يرفض البعض التخلى عنها ، مثل الطربوش التركى مع الجلباب البلدى مع البالطو الانجليزى بينما الحذاء ايطالى ! !

وحدة الفنون العربية

وتعلل الفنانة رعاية النمر اهتمامها بالفن الشعبى الى انحيازها للشعب وللناس البسطاء .. لقد اكتشفت ان الجمال ليس قاصراً على ما يمتلكه الاغنيـــاء والقادرون اقتصاديا ، لكنه يشمل الانسان اينما وجد .. فالانسان ذواق للجمال ومحب للتجميل فى كل مكان وكل البيئات ، سواء فى الصحراء او الريف ، وهو يحقق ذلك رغم ظروفه الاقتصادية المتواضعة .

والفن الشعبى هو فن تلقائي صادر عن الفطرة ، متوارث ، يتعلمه الصغار عن الكبار ، به اضافات باستمرار ، يعبر عن الاحاسيس والمعتقـــدات والظـــروف الاجتماعية لكل بيئة .. ونستطيع ان نلاحظ تاثير البيئة والمعتقدات على بعض انواع الفنون الشعبية مما يجعلها لا تعترف بالحدود السياسية او الجغرافية .. وعلى سبيل المثال فان منطقة النوبة تقع داخل الحدود السياسية بمصر ولكن تجاورها مع السودان جعل فنونها الشعبية امتداداً لفنون السودان ، كذلك نفس الامتداد والتشابه بين فنون قبائل الصحراء الغربية فى مصر والفنون الشعبية الليبية ، ونفس الظاهرة نجدها فى فنون سكان شبه جزيرة سيناء التى تعتبر امتداداً للفنون الشعبية فى فلسطين وشبه الجزيرة العربية .

وعلى المستوى العربى تحقق وحـــدة المعتقد وتقارب التقاليد نوعاً من التشابه فى الفنون الشعبية تجعل من الصعوبة التفريق بينها رغم وجود التمايز فى التفاصيل .

لقد اكتشفت الفنانة مع طول معايشتها للفنون الشعبية فى البلاد العربية انهـا تتضمن نوعاً من الوحدة فى الذوق العام لا تعترف بالحدود السياسية والخلافات العارضة ، وهى تستنتج من هذه الظاهرة وجود وحدة فكرية ووحدة فى المزاج العام للشعوب العربية تمثل اساساً مناسباً وتشير الى امكانية تحقيق درجات اخرى من الوحدة العربية فى عصرنا الحاضر .. ان التقارب فى الظروف قد حققت تقاربا شديداً فى مجال الفنون الشعبية .

وتتمنى الفنانة لو اهتمت حكومات البلاد العربية او الجامعة العربيـــة بمساعدتها فى استكمال رسالتها ولو بالمراجع العلمية والكتب والصور وافلام الفيديو ثم اتاحة فرصة السفر والدراسة والاقتناء .

صبحي الشاروني

بقلم: جمال قطب

بين الحرّية والإبداع



الفنان الفرنسي جاك لويس دافيد (١٧٤٨ ـ ١٨٢٥)

فرنسا .. وعاصمتها مدينة النور باريس لا يمكن لأى باحث فى مجال الفن إلا ان تكون باريس محوراً لاهتماماته منذ افول نجم عصر النهضة الايطالى باساطينه العظام فى القرن السادس عشر ..

إلا ان معظم الآثار الفنية ذات القيمة التى ظهرت فى فرنسا خلال القرون الثلاثة التى سبقت الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر ، كان إما مستورداً او مسلوبا باعتباره من غنائم الحرب وبخاصة من إيطاليا والبلاد الواطئة (بلاد الشمال الاوروبى) .

ومنذ أن استقدم الملك فرنسيس الاول فى عام ١٥١٦ رسام عصر النهضة الايطالى الشهير ليوناردو دافنشى لتزيين البلاط الفرنسى بابداعاته ، اصبح الاهتمام بالفن وإكبار شانه من التقاليد المتوارثة بين رجال الحكم فى فرنسا .

نعود الى رسامى البلاط الفرنسى فى القرن الثامن عشر قبيل الثورة ، وكانوا هم خير من انجبتهم البلاد حينذاك ،فنراهم وقد وجدوا انفسهم منساقين إلى ارضاء الارستقراطية المترفة وإظهار الرونق والابهارات البصرية فاضحت اعمالهم اقرب إلى البريق الزائف منه الى المضامين والأبحاث الفنية الجادة الرصينة . ولذلك عرف اسلوبهم الناعم الحالم باسم (الروكوكو) Rococo وهو نوع من الزخرف يقوم على الاقواس القصيرة الشبيهة بالتفافات القواقع ، ومن هنا كان هذا الاسم الذى اطلق عليه : إذ هو مقتبس من الكلمة الفرنسية Rocaille ومعناها النقوش القوقعية الشكل .

وكان فن البلاط هذا بعيداً كل البعد من واقع الحياة وتجاربها ، ويكاد ان يقتصر على حياة الترف الفرنسى الغارق فى البذاخة والارستقراطية .

وكما هو معروف ، فان لكل فعل رد فعل .. وبقدر التطرف فى الأمور ، بقدر ما تكون عليه ردود افعالها !

حدث فى عهد لويس الخامس عشر ان انتشر فجاة التهوس بالفن الكلاسيكى ، على إثر ما كشفت عنه التنقيبات التى كانت جارية إذ ذاك فى إيطاليا من اطلال وتماثيل رومانية تحاكى الفن الاغريقى القديم .. وقد كانت هذه المكتشفات بمثابة دفعة جديدة للروح الوطنية فى نفوس الشباب .. ووجد فيها بعض الفنانين متنفساً للتحليق فى افاق الأصالة والتراث العريق .. وتمرداً ـ فى الوقت ذاته ـ على فنون الرونق الزائف وترف (الروكوكو) !

وتزعم هذا التيار الوطنى الجارف رسام شاب قدر له ان يصبح عظيم الشان والنفوذ فيما بعد هو (دافيد) واسمه الكامل : جاك لويس دافيد . ولكى يبرهن لويس السادس عشر على مشاركة الشعب فى مشاعره الوطنية ، طلب شراء لوحة (دافيد) الشهيرة المسماة : قسم الاخوة هوراس ، تلك التى استوحاها دافيد من احد المواقف الوطنية فى التاريخ الرومانى القديم . وبذلك انقلبت الأوضاع .. ورأينا لويس السادس عشر يتملق الفنان بدلا من تكالب الفنانين على تملقه قبل ذلك .

وعندما قامت الثورة الفرنسية .. اصبح (دافيد) زعيم المصورين فى فرنسا .. وبعد ان انتخب فى عام ١٧٩٢ عضواً بالجمعية الوطنية ، لم يصبح رسام الثورة فحسب ، بل الحاكم بامره فى كل ما يتعلق بشئون الفن ، فقض بقبضته الحديدية على كل اثر لمذهب الروكوكو ، وفرض مذهبه الجديد المرتكز اساسا على العودة إلى الكلاسيكيات الماضية وإلى الأسلوب الرصين البارد المتزن الذى يتميز به الفن الاغريقى .. وأسمى هذا الاتجاه : الكلاسيكية الجديدة !

وقد بلغ من شدة باس دافيد انه جعل الرسامين فى عصره يحسون بان المقصلة فى انتظار رقابهم إذا لم يهتفوا فى لوحاتهم بسقوط الروكوكو ، وبحياة الكلاسيكية الجديدة !

ونفي دافيد إلى ان مات فى بروكسل عام ١٨٢٥ عقب تطور الأمور ونفي نابليون إلى (سانت هيلانه) .

وما يؤخذ على فناننا (دافيد) انه كبل حرية الفنانين بالارهاب وفرض سيطرته بالحديد والنار على آرائهم وافكارهم على مدى اثنين وثلاثين عاما ، ولم يترك ادنى قسط من الحرية لأى فنان مبدع ، وبذلك ضرب مثلا صارخا للاستبداد الفنى فى التاريخ ..

وللحق ، فيرجع إليه الفضل فى تحرير الفن الفرنسى من الزخرف السقيم ومذهب الروكوكو الزائف .. والعودة إلى البحث عن الجمال الرزين وحبكة الخطوط القوية المستقيمة .

وعلى الصفحة للقابلة يرى القارىء احدى روائع دافيد وهى صورة رسمها لشقيقته وطفلها عام ١٧٩٥ ، ومحفوظة حاليا بمتحف اللوفر .. وإن كانت هذه اللوحة ليست من اهم اعماله الشهيرة : مثل (قسم الاخوة هوراس) او (بروتوس يتلقى نبأ وفاة ابنائه) وغيرهما مما استلهمها من تاريخ الرومان ، إلا انها ـ على اية حال ـ تبين بجلاء ملامح اسلوبه وطابعه الهادىء الرصين .



احدى اللوحات التى رسمها الفنان العالمى جاك لويس دافيد لشقيقته (مدام سبرازيبه) مع طفلها عام ١٧٩٥ ، وهى محفوظة فى متحف اللوفر بباريس



زهرة الآلام .. وهى من الزهور الجميلة التى تغنى بها الشعراء فى امريكا الجنوبية حيث موطنها الاصلى ، ويطلق علماء النبات على الزهور من جنسها اسم : « باسيفلورا » وعادة ما تكون الوان ازهارها ارجوانية او بيضاء .

لغة الزهور

في الأدب والأساطير وعادات الشعوب

بقلم : حسني شحادة



زهرة عرف الديك ..تتميز بازهارها الحرشفية المكتظة فى سنابل غليظة ، ومنها ذلك النوع المخملى كالقطيفة .... إنها إحدى الزهور التى تشبع فى المكان دفئا بلونها الاحمر القانى

الازهار كواكب عطر تتزين بها الطبيعة . وعلامات انس ومسرة ، وصلات بين القلوب والأرواح ، كم حركت فينا عواطف الحب والحنان ، وكم كانت وسيلة ود بين انسان وانسان ، وقد بلغ من مكانتها ان جعلوا لها أعياداً ومواسم ، وقد ذكرت كتب التاريخ الكثير من تلك الاعياد ، فكان الفاطميون يقيمون للورد مهرجاناً فى كل عام (١) .

ودرجت دول شتى على إقامة معارض الزهور ، يجمع فيه العارضون ثروة من الالوان والعطور ، وذخراً من البشاشة والرواء ، ومحفلا من الأرواح الباسمة ، والخواطر الناعمة ، التى ترف حول الرياحين ، رفيف الفراش حول المصابيح ، والتى يعجب الانسان وهو يناجيها ، فيحس قربها ، فيستروح منها انس محضرها ، بتحية يبثها الزهر إليه .

الأزهار والشعراء

وأسعد الناس بالأزهار ، واكثرهم تاثراً بها ، هم الادباء والشعراء ، والموسيقيون والرسامون والمصورون ، فهم الذين يستطيعون أن ينقلوا الى الناس جمال الأزهار ، واشكالها ، والوانها الحافلة بالبهجة والنضارة والجمال . ولهذا نسجت حولها الاساطير ، فاصبح لكل زهرة اوصاف ، جعلها الفنانون شخوصاً تتكلم ، وتتحرك ، وتحس ، وتشعر ، وتخجل وتفرح ، فيقول الشاب الظريف (٢) :

قامت حروب الزهر ما
بين الرياض السندسية



لعلنا رأينا تلك الزهرة فى الكثير من حدائقنا بالوانها الجذابة
إنها زهرة عصفور الجنة التى تعتبر من اجمل زهور العالم .

واتت باجمعهـا لتغـزوا
روضـة الـورد الجنيـة
لكنهـا انكسـرت لأن
الـورد ، شوكتـه قويـة

وكان المتوكل (٣) ، يعظم الورد فى ريعانه ويقول :

« انا ملك السلاطين ، والـورد ملك الرياحين ، وكل منا احق بصاحبه » .

وقال اردشير بن بابك (٤) يصف الورد :

« هو در ابيض ، وياقوت احمر ، على كراسي زبرجد اخضر ، توسطه شذور من ذهب اصفر ، له رقة الاريج ، ونفحات الطيب والعنبر » .

اما امير الشعراء احمد شوقي ، فجاء يؤكد زعامة الورد على الزهور فيقول :

الورد فى سرر الغصون مفتح
متقابل يثني على الفتـاح
ضـاحي المواكب فى الرياض مميز
دون الزهـور بشوكة وسلاح
مر النسـيم بصفحتيه مقبلا
مر الشفاه على خدود مـلاح

اما النرجس فقد تغنى به الشعراء ، وشبهوه بالعيون ، وقد ابدع ابو نواس وهو يقول :

لدى نرجس غض القطـاف كانه
اذا منحناه العيون ، عيـون
مخالفـة اشكالهن بصـفرة
مكان سـواد ، والبياض جفون

ويصف مطران (٥) النرجس فيقول :



لوحة فنية لغصن تتناثر فوقه زهور أبدع الخالق فى صنعها ، وقد وجدت الأزهار على اليابسة قبل الانسان بزمن طويل ، وعندما بدا تحضر الانسان اتخذها لغة للتخاطب والتعبير عما يخالج النفس فى بعض المناســـبات

إنما النرجس ابتســـامة فجر
الطف نســـجها يدا نيســـان
قام فى حلة البيـــاض فكانت
ثوب روح .. لا ثوب جســـم فان

أما زهرة السوسن ، تلك الزهرة التى يستدل بتفتحها على موعد إقبال الربيـــع ، فتعد رمز النقاء ، والتواضع ، ويسميها الالمان « ناقوس مايو الصغير » ، ويطلق عليها الفرنسيون « دموع العذراء » وقد نالت اهتمام الشعراء والأدباء ، ومن أجمل ما قرأناه عن السوسن قول ابي الحباب فى ثلاث سوسنات :

أبدت ثلاثا من السوسان مائلة
أعناقهن من الأعـياء والكســـل
فبعض نوارهـــا للبعض منفتـح
والبعض منغلق عنهن فى شـــغل
كأنها راحة ضمت أناملهـــا من
بعد ما ملئت من جودك الخضـل

أما الشقائق ، فيروى عن النعمان بن المنذر (٧) انه شاهد فى إحدى رحلاته نوعا من الشقائق ، ذا وريقات حمراء ، فاعجب بها ، وأمر بحمايته ، فكان لا يقطف إلا له ، ولم يلبث أن حمل اسمه ، فاطلق عليه شقائق النعمان . ويقول الشاعر ابن الزقاق.

ورياض من الشـــقائق اضحى
يتهادى فيها نســـيم الريـــاح
زرتهـــا والغمام يجلد منـــها
زهرات تـــروق لـــون الـــراح
قيـــل ما لونها ؟ فقلت مجيبـــاً
سرقت حمـــرة الخـــدود الملاح



كانت هذه الزهرة بشكلها البديع والوانها الجذابة عنصراً من عناصر الجمال للانسان منذ قديم الزمان ، واطلق عليها العلماء فى عصرنا الحديث اسم « زهرة الحام »

وقد صورت الشاعرة شريفة فتحي باقة جمعت البنفسج والياسمين والورد والاقحوان ، فى لوحة شعرية بديعة فقالت

اذا كانت الازهار ذات معـــــان
او صـــور الاحســـاس بالالـوان
كان البنفســـج آهـــة الاشجان
وتنهد الشـــكوى من الحـــرمان
والياسمين كاعين من نـــــور
ولهى تنم عن الهـــوى المتسور
والورد يحكي قصـــة العشـــاق
فى لونـه شـــعل من الاشواق
ولكل زهر فى الهـــوى معنـــاه
ولـكل حسن اعين وشـــفاه
الله بارئه ونحن صـــــداه
لـون بديـــع جـــل من ســـواه

لغة الزهور

لغة الزهور هى لغة الحب ، فيقـــول « لامرتين » شاعر فرنسا الكبير :
« الحب وردة ذات اشواك ، وكلما كانت الوردة جميلة ، كثرت حولها الاشواك » .
والمثل الهندى يقول :
« ولد الحب مع تفتح زهرة فى إحدى ليالى الربيع المقمرة » .

اما الكاتب الكبير عبـــــاس محمود العقاد (٨) فيقول :
« لاحت لي الازهار كانها الفاظ حب رفيعه ، مغشات باستعارات ومجازات ، والنسيم حولها كثوب حسناء فيه شذى ، وكل زهرة كابتسامة ، تحتها اسرار واسرار فى معانى القلب .. اهي لغة الضوء الملون من الشمس ، ام لغة الضوء الملون على الخد والشفة والصدر والنحر والديباج والحلى » ..

اما مصطفى صادق الرافعى (٩) الاديب والكاتب المشهور فيقول :
« الزهرة يا صاح .. الزهرة الجميلة التى تطويها فى يدك ، قد تروى لك من فخامة هذه الاسرار ، ما تمتلىء به آفاق الارض وابراج الشموس والاقمار ، فاذا اخذتهـا بين اصبعيك ، فاذكر انها رمز الحب ، وإذا ذكر الحب ، فاذكر انه الجمال الآلهى والخلود السرمدي » .

والشعوب والأزهار

وتنسيق الازهار تعبير عن النفس البشرية ، ترسله فى تصوير إبداعي لتعبر به عن الاحاسيس ، ولترمز به الى الآمال ، والرغبات ، والاماني ، لتكون راحة للنفس ، ومبعثاً على الرضا ، وتحقيقا لقناعة روحية

وقد اختلفت البلاد والشعوب فى طرق تنسيق الازهار ، انطلاقا من رسالة التنسيق التى تتميز بناحيتين ، التصوير والتعبير (الرمز) ، اما التصوير ففي آنية التنسيق ، واما التعبير ، فيكون عن معنى قائم او اهداف عليا ، او امان يرنون إليها .

لقد هام العرب بالزهور ، فاحتلت آثارهم الادبية واشعارهم ، وعندما انتشر الاسلام فى ممالك الارض ، حفلت آثار التاريخ بتجميد الازهار وتصويرها والتغني بجمالها واريجها ، فقصور الامويين فى الاندلس ، وقصور العباسيين فى بغداد ، تنطق بالحس المرهف والجمال البديع ، فكانت مادة الادباء والشعراء بما فيها من مباهج وجمال .

اما فى مصر التى تمثل حضارة عريضة امتدت آلاف السنين ، فقد رفع الفراعنة مكانة الزهور وجعلوها فى مكان سام فى تكوينهم السياسي ، اذ علت زهرة «اللوتس» تيجان الملوك ، واستخدمت رمزاً نقش على آثارهم ، وزينت بها معابدهم .

وكان الصينيون يحبون الازهار لذاتها ، وكان بوذا يتحدث عن جمال الطبيعـــة ،





زهرة « صبير السحلب » التى تستخرج منها الأصباغ الهامة، وهذا بخلاف زيوتها العطرية



يقال انه فى زمن السفن الشراعية كان البحارة يعرفون انهم يقتربون من اليابسة قبل ظهورها فى الافق ، إذا جاءتهم نسمة تحمل اريج الأزهار إلى انوفهم.. ثم زهرة جميلة اخرى لاتكتفى باستعراض ما لديها من جاذبية خاصة ، ولكنها مصدر هام لطعام النحل التى ترشف منها الرحيق ثم تودعه فى بيوتها عسلا .

فبنى اول معبد ، فوضع فى محرابه ، حاملا من الابنوس عليه زهريات من الخزف الصيني ، ونسق الأزهار وفقا لما تاثر به فى الطبيعة ، فبعض النباتات الطويلة يظل غيرها الصغيرة التى تنمو بجوارها ، وتحنو عليها كصديقين عزيزين ، وهنـــا يبعث الجمال من أسفل ، وينتهى بالسيادة من أعلى ، وقد سمي هذا النظام « ريكوا » .

الأزهار فى اليابان

وتعتبر اليابان بحق ، مصدر وحي وإلهام فى فن تنسيق الأزهار ، وارتبط فن النسيق بحياة اليابانيين ، ولم يقتصر ذلك على الناحية الروحية ، بل ارتبط باخص الطقوس الاجتماعية ، وادقها بحياة الاسرة فى المنزل ، حتى اصبح هذا الفن من اصول الثقافة الوطنية .

ولتنسيق الأزهار عندهم فلسفة خاصة ، مبنية على المشاهدة والتامل والرمز فالمشاهدة فى الطبيعة ، والتامل فى الخطوط الثلاثة ، فيعبرون باحدها الى القوة الغامرة التى تسيطر على حياتهم ، ويرمزون اليها بالشمس او السماء ، اما الخط الثاني ، فيرمز الى الانسان وصور حياته ، بينما الخط الثالث يرمـز الى الأرض منشا الحياة ونهايتها .

ولعل اهم ما يميز الفن اليابانى فى تنسيق الزهور منذ القدم ، ذلك الجمـال الناتج عن البساطة التامة فى الايقاع الموسيقى للجمال ، هذا الايقاع الذى صمم بعناية ودقة ، حتى اصبح طبيعة فى نفوس اليابانيين ، وليس فنا تخصص فيه البعض دون الآخرين . بل اصبح التعبير بالخطوط طبيعة عادية عندهم . فتوضع الزهرية على حامل له ثلاث قوائم ، ويوضع لكل زهرية منظر خلفي ، عبارة عن لوحة عليها رسوم زيتية ، تمثل منظراً يخالف ما بالزهرية ، وتسمى الزهرية وما حولها باسم « تولونوما » ، ويعرف تنسيق الأزهار باسم « ايكيبانا » .

ويعتبر فن تنسيق الأزهار فى اليابان ، صحيفة الشرف التى تمجد تكوين الطبيعة التقليدى ، عن طريق التجمع والتالف ، وليس ادل على ذلك من زهرية تجمع بين فرع من الصنوبر وازهار من الورد ، فالصنوبر يرمز الى القوة والرجولة ، حيث تقف اشجارها فى الطبيعة شامخة بهاماتها المرفوعة ، واوراقها الابرية الخضراء ، تصارع احداث الشتاء وقيظ الصيف ، اما الورد بالوانه الجميلة ورقة اوراقه ، فيمثل السيدة الجميلة الرقيقة الاجتماعية ذات الحديث الطلي ، تستظل فى حمى جبروت الصنوبر .

حسني شحاده

هوامش :

(١) الربيع فى الادب والفن لمصطفى عبد الرحمن
(٢) هو عفيف الدين التلمساني من شعراء عصر المماليك الذين عنوا عناية بالغة بالبديع .
(٣) هو المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم الخليفة العبقي العاشر .
(٤) احد ملوك الفرس من السلالة الساسانية
(٥) خليل مطران شاعر القطرين ورائد الشعر الحديث .
(٧) ملك الحيره .
(٨) كتاب مراجعات ص ٢٦ .
(٩) من كتاب وحي القلم ج١ ص ٣٨ .

مراجع البحث

١ – حلمي ابراهيم سلامه عون : تنسيق الازهار .
٢ – عز الدين فراج : فن تنسيق الازهار .
٣ – الشيخ علي بن عبد الله الثـــاني : المختارات الشعرية .
٤ – مصطفى عبد الرحمن : الربيع فى الادب والفن والحياة .
٥ – محمد يسرى الغيطاني : الزهور ونباتات الزينة .









اربع لقطات لتلك الأنواع الغريبة من الأسماك .. إلى أعلى السمكة الببغائية التى تمضى طفولتها ملونة بخطوط حمراء ثم تغير شكلها الى الوان يغلب عليها الأخضر والأزرق عندما تتحول إلى ذكر كما ترى فى الصورة الثانية .. والصورة الثالثة لسمكة شقائق النعمان التى تغير جنسها وليس لونها ، وأخيراً صورة لسمك الهاملت النيلى اللون الذى يغير جنسه عدة مرات فى اليوم الواحد !

أنماط من الحياة نراها غريبة .. ولكنها حقيقة واقعة :

ذكور تتحول إلى إناث وإناث تتحول إلى ذكور عندما تتغيّر ظروف المعيشة !

إعداد : حسام جميل مدانات

صدق أو لا تصدق : هناك أنواع من الأسماك تخضع لظاهرة تغيير الجنس ، الاناث تتحول الى ذكور ، والذكور تصبح إناثاً ، وهذه الأسماك تعيش فى المناطق المدارية والاستوائية ، وبين ٢٣ عائلة على الأقل ، وهذا التحول الغريب يعطى هذه الأسماك أفضلية فى التناسل ، كما أنه يوفر لها سلاحاً جديداً تواجه به الأعداء عندما يتم القضاء على كل ذكور أو كل أناث العائلة ، فهنا يستطيع الجنس الآخر أن يعوض النقص الواضح ، وأن ينقلب إلى النقيض ، وأن يستمر فى دورة الحياة !

عرض من الألوان المتراقصة بين الصخور الملونة في قاع البحر ..

لوحات طبيعية مذهلة تتطلب لغة شاعر مبدع للتعبير عنها ..

ففي ناحية من الماء ، ترى مجموعة من أسماك « اللبروس » زرقاء الرأس .. الانثى تميل للصفرة ، بينما الذكر أكبر حجما ، أزرق اللون ، بظهر مخطط .. وفجاة تمر أنثى سمكة الببغاء ببطنها الاحمر ، وببقع بيضاء سداسية الشكل كخلايا النحل تتوزع على الجسم الرمادي. بينما يبدو الذكر بلون شراب النعنع .. اخضر اللون مع ظلال برتقالية ووردية وببقعة صفراء على ذيله .

إن اختلاف اللون بين الجنسين في الاسماك ، يظهر صارخا في مثل هذه الانواع حتى أنه كان يعتقد في السابق أنها تنتمي لانواع مختلفة ، ولكن مراقبة هذه الاسماك اثناء التزاوج ، مكنت علماء الاحياء البحرية من حل الالغاز ، ومعرفة وتحديد الذكور والاناث من نفس النوع ، كما كشفت هذه المراقبة أموراً محيرة ، ففي بعض الاحيان ، كانت بعض أسماك « اللبروس » تبدو وكأنها ليست ذكراً ولا أنثى . وانما شيئاً ما بينهما ، كان لونها يظهر اصفر مخططاً ، ولم يتمكن العلماء كذلك ، من العثور على ذكور « اللبروس » صغيرة ، وكأنما الذكور كانت تظهر فجاة ناضجة كبيرة الحجم دون أن تكون قد مرت بمرحلة الطفولة .

وكان تفسير هذه الظاهرة الغامضة مثيراً للحيرة والدهشة ، فذكور «اللبروس» كانت تمر بمرحلة الطفولة ، ولكنها عندئذ كانت إناثاً ، وهكذا فان جميع صغار اللبروس تكون إناثا ، ثم يغير بعضها جنسه وتصبح ذكوراً عندما تصل الى سن وحجم معينين !

ظاهرة منتشرة

وقد تبين أن ظاهرة تغيير الجنس منتشرة بين العديد من أنواع الأسماك ، وخاصة تلك التي تعيش في المناطق المدارية والاستوائية ، وقد اكتشفت هذه الظاهرة في ٢٣ عائلة على الاقل ، تنتمي الى سبع رتب منفصلة.

والتحول الجنسي قد يكون في أي الاتجاهين . ولكن تحول الاناث الى ذكور Protogyny هو الغالب ويظهر في أسماك اللبروس .

وقد يكون صحيحاً أن معظم أسماك الشواطىء المرجانية تبدأ حياتها إناثاً ، اما التحول الجنسي من ذكر لانثى Protandry فهو أقل انتشاراً ، ولكنه ليس نادراً ، ويظهر في اسماك ذئب البحر Bass Protogyny والأخنس Parrotfish والسمكة الببغائية واللبروس Wrass .

ما هي الفائدة ؟

ولكن ، لماذا يغير أحد الأفراد جنسه ؟ وهل من فائدة يجنيها ذلك النوع من الاسماك الذي يتميز بظاهرة تحول الجنس ؟

من التفسيرات المحتملة ، أن هذه الظاهرة تحصل في الأنواع التي يكون للأفراد كبيرة الحجم فيها امتيازات وأفضلية في مجال التكاثر والجنس ، فمثلا عندما تنجح ذكور قليلة كبيرة الحجم باحتكار التزاوج مع مجموعات كبيرة من الاناث ، فان الذكور الاضعف والاصغر حجماً تجد نفسها منبوذة محرومة من حقها في التزاوج ، وعليها عندئذ أن تنتظر حتى تنمو

أما الاناث في هذه الانواع فليست مجبرة أن تنتظر طويلا ، فهناك دائما ذكور تنتظر الفرصة لتلقح البيض الذي تفرزه هذه الاناث !

وهكذا فالفرد الذي يتحول من انثى الى ذكر يتمتع بحياة خصبة في كلا العالمين ، فهو يضمن تزاوجاً ناجحاً في صغره في عالم الأنوثة ، وله فرصة كبيرة في الحصول على اناث كثيرة خاصة به

أما في الأنواع التي لا يظهر فيها تحول الجنس ، فان أحد الجنسين على الاقل يكون خاسراً في احدى مراحل حياته .

ولكن ، لاحظ ، أن هذه الاستراتيجية (إذا صح أن نعتبرها كذلك) ، لا تعتبر فعالة وضرورية إلا في تلك الأنواع التي تتمتع فيها الذكور كبيرة الحجم بحق التزاوج مع عدد كبير من الاناث ، وحيث لاتسنح الفرصة لصغار الذكور لممارسة هذا النشاط ، وقد أيدت الملاحظات والدراسات هذا الرأى ، فسمك « اللبروس » «والسمكة الببغائية» «وذئاب البحر الصغيرة» تتكاثر بتواجد مجموعات كبيرة من الاناث مع ذكر قوي يسيطر عليها ، أو أن الاناث تتكاثر بوضع البيض في مواضع معينة من البحر ، وهذه تقع عادة ضمن ملكية بعض الذكور كبار الحجم !

وعلى النقيض من ذلك ، نجد في بعض أنواع « اللبروس » الاوربية . ان الذكر يبذل جهداً ووقتاً كبيرين في تجهيز بيت تضع فيه الاناث بيضها ، ثم يرعى ويحمي هذا البيض ، ولهذا ، ففي هذه الأنواع لا نلاحظ ظاهرة التحول الجنسي

وفي بعض أنواع سمك « اللبروس » التي تعيش في مياه البحر الكاريبي ، نجد في نفس الوقت تحول إناث الى ذكور وأيضاً وجود ذكور صغيرة ، فكيف تتمكن هذه الذكور الصغيرة من الحصول على إناث لتلقح بيضها ؟

إنها تلجأ لواحدة من وسيلتين : إما أن تتجمع الذكور الصغيرة في قطعان تجبر ذكراً كبيراً على التخلي عن قسم من ممتلكاته من الأرض والاناث ، أو أن ينسل الذكر الصغير مع قطيع الاناث حيث لا يمكن تمييزه عنها سواء بالحجم أو باللون ، وهكذا لا يثير انتباه الذكر الكبير أو يسبب اعتداءه ، ويحاول اثناء ذلك حفز انثى مجاورة له على وضع البيض ليلقحه .

لماذا التحول ؟

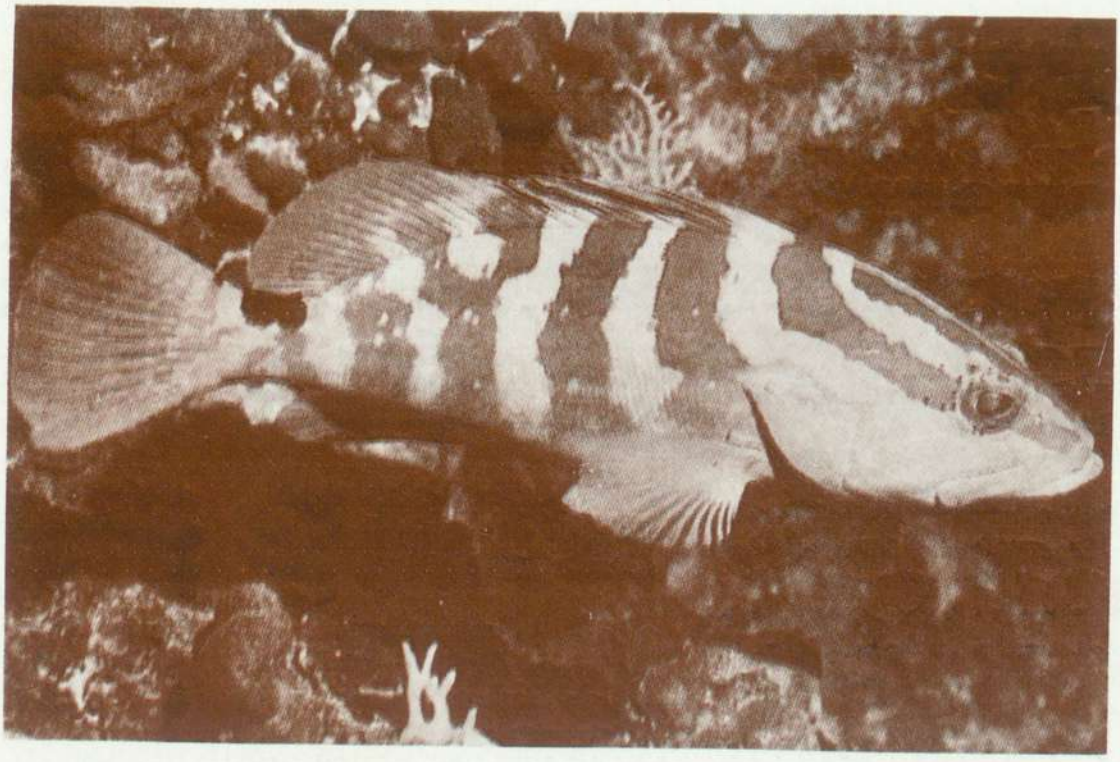
هل يمكن أن نفسر تحول الذكور لاناث في بعض أنواع الأسماك بنفس الطريقة ؟

لقد لوحظ بالفعل أن الاناث في هذه الانواع تكون أكبر حجماً ، فهذا يعطيها أفضلية في التناسل .

وهكذا فان أصغر الذكور يستطيع أن يرعى أكبر الاناث . وهكذا نجد أن الصغار تكون معظمها أو جميعها ذكوراً ، ثم يتحول بعضها الى إناث عندما يكبر حجما !

وعندما يلتزم كلا الجنسين بشريك واحد طوال الحياة ، فان انتاج البيض يكون أكبر

ذكور تتحول إلى إناث وإناث تتحول إلى ذكور عندما تتغير ظروف المعيشة !



عندما ندرس هذه الانواع من الاسماك ، سنكتشف انها قادرة على التنظيم الاجتماعي او العائلي الذي يؤدي الى التطـــورات الغريبة التي تحدث في عالمها

إذا كانت الانثى الاكبر حجماً ، ونجد هنا مثالا رائعاً على التحول الجنسي من ذكر لانثى في سمك شقائق النعمـــان البحريـــة Anemonefish ويسمى بهذا الاسم لأنه يعيش في ظل وحماية شقائق النعمان البحرية ولا يتاثر بلسعها ، ونجد في البيت الواحد فردين بالغين فقط : احدهما انثى والآخر ذكر ، وباقي العائلة اسماك غير ناضجة جنسياً . وتكون الانثى هي الاكبر حجماً ، ولكن إذا اختفت الانثى لأي سبب ، فان أموراً غريبة تحصل ، اذ ان الذكر يتحول الى انثى بينما ينضج اكبر الأفراد في الجوار ليتحول الى ذكر !

ويعتبر هذا النظام مثالا صارخاً على القدرة على التنظيم الاجتماعي او العائلي إذ تكون الظروف الاجتماعية حافزاً لحصول تطورات جنسية ، ويكفي أن ندرس النظام الاجتماعي في سمك « اللبروس الخادم » على الشواطىء الاسترالية . وقد سمي بالخادم ، لأنه يعيش في مجموعات ضمن مناطق مرجانية محددة ، ويقوم بتنظيف جلد الأسماك الكبيرة التي تزور « محطة التنظيف » الخاصة بها ، فينظفها من الطفيليات والمخاط !

وتكون المجموعة كلها من الاناث ، باستثناء اكبرها الذي يكون ذكراً يحمي مجموعته ويدافع عن منطقته ، واذا مات الذكر او ابعـــد عمداً (كما يحصل أثناء إجراء الدراسة عليها) فان اكبر الاناث تقوم بدوره ، من حماية للسكان والاناث ومغازلتها ولكنها لا تتحول الى ذكر إلا بعد بضعة ايام !

الفقاريات الأخرى

لماذا لا تحصل ظاهرة التحول الجنسي في حيوانات فقارية اخرى غير الاسماك ، خاصة وان بعض الطيور والثدييات تتميز بانماط تزاوج تظهر فيها افضلية الذكر الاكبر والاقوى ، فذكر الفقمة (من الثدييات) ينتظر عدة سنوات حتى يصل الى حد يمكنه من امتلاك الاناث ، فلماذا لايمضي هذه السنوات كانثى ؟

قد يكون السبب ان الفروق الجنسية بين الذكر والانثى تكون كبيرة جداً في الثدييات والحيوانات الارضية عامة ، فهي فروق في الحجم والشكل وايضاً في الصفات التناسلية الخارجية والمصممة لضمان عملية التلقيح ، وهذا امر لانلاحظه في الأسماك والتي يلقح بيضها خارجياً ، حيث تلقي الانثى عادة بيضها للماء ، ويقوم الذكر عندئذ بتلقيحه !

ولكن هناك استثناء واحداً على الاقل ، فقد عرف ان الدجاج قد يغير من جنسه احياناً ، ففي الطيور عامة يكون المبيض الايسر فقط فعالا (من اجل تخفيف وزن الطائر لتسهيل الطيران) ، والدجاج ليس استثناء عن هذه القاعدة ، ولكن إذا اصيب المبيض الايسر بالمرض ، او توقف عن افراز البيض لأي سبب ، فان المبيض الايمن قد يتحول وتظهر الدجاجة وتتصرف كانها ديك ، وفي أوربا في القرون الوسطى كانت الدجاجة من هذا النوع تعتبر من نسل الشيطان ، وانها فقست من بيضة ديك ، وكانت تحرق حية . ولحسن حظ الاسماك فان تغيير الجنس فيها لم يكتشف في ذلك الوقت ، وذلك حتى لا يسجل تاريخ القرون الوسطى حالات حرق الأسماك باعتبارها من نسل الشيطان !

حسام جميل مدانات
الأردن ـ عمان

الكتاب الخليجي في خطر
وهـــذه هي الأســـباب

بقلم : محمد المنصور الشقحاء

عندما تتم مطالبتي بالكتابة فمعنى ذلك انني مدعو للمشاركة في نقاش بناء الهدف منه الوصول الى نتائج افضل . لتكون بناء سليما خاليا من العيوب .

من هذا المنطلق ، وجدت ان حديث الاستاذ عبد القادر عقيل عن ازمة توزيع الكتاب الخليجي (الدوحة ـ عدد ٩٢) دعوة للمشاركة ، حيث ان الحـديث ذو شجون والموقف لا يحتاج الى قواعد او قوانين او تنظيرات .. لعلم حديث ، انما هناك من سبقنا الى حل اشكاليات توزيع الكتاب . وايجاد معابر يستطيع من خلالها ان يصل الى متناول كل فرد .

ومن واقع اشكاليات توزيع الكتاب السعودي اتحدث ، وقد جربت طبع المؤلفات الخاصة ، والمشاركة في طبع المؤلفات السعودية من خلال نادي الطائف الادبي . الذي اسهم اسهاما كبيراً في هذا المجال بعد ان كانت الساحة الأدبية تفتقر الى المؤلفات الابداعية والعلمية والادبية .

فلقد قام نادي الطائف الادبي بطبع مؤلفات عديدة ، وقف التوزيع امام انتشارها في مدن المملكة العربية السعودية وفي الوطن العربي . رغم ان اسعار هذه المؤلفات زهيدة وتتفق مع منسوب اسعار المؤلفات العربية الاخرى حيث روعي في ذلك بند وصول الكتاب للقارىء وبثمن غير مرهق .

انما دور التوزيع . كانت في واد . وهدف النادي في واد . واحساس المؤلفين بالانسحاق ـ الأمر الذى افشل كل التجارب . وانا اسميها تجارب ، لانها كانت من طرف واحد هو النادي ، بعد ان اوصدت دور التوزيع ابوابها امام هذا الكم الهائل من الانتاج ـ مكتوفة اليدين ، فالعقلية التجارية شلت كل اعصاب التفكير للوصول الى نتيجة .

إذن ما هو البديل ، وعالم التوزيع الآن هاجسه الوحيد ، ايجاد الربح الوفير ، بعيداً عن الحواجز التي قررت ان يكون لكل مؤلف جواز سفر ، يجب ان يحصل على تاشيرة دخول ، وبطاقة صفراء . الخ ؟ الامر إذن يحتاج الى مراجعـة .

وهذه المراجعـة تكـون في نظري كالتالي ، بالاضافـة الى حاجتنا الى دار نشر خليجيـة .

يجب ان يتم تكوين اتحاد بين دور النشر الخليجية اولا ، تلتزم فيه كل دار بتوزيع نسبة مئوية من كل اصدار تقوم الدار الاخرى بنشره ، بالاضافة الى ايجاد نسبة مئوية اخرى اقل لكل مؤلف يقوم صاحبه بطبعه على حسابه الخاص ، ومن ثم يتعاقد مع دار في وطنه لتوزيعه ، على شريطة الا تكون الدور المنضمة لهذا الاتحاد ، مجرد مكاتب فقط في احدى العمارات الفخمة شقة مكيفة وسكرتارية ، إذ يشترط ان يكون لكل دار بالاضافة الى المكتب الفخم ، مكتبة للتوزيع والبيع على الاقل . ومن هنا يستطيع القارىء العادي والاديب في المملكة العربية السعودية الحصول على الكتاب الكويتي . والقطري والبحريني .. الخ .

نحن بحاجـــة الى مثـــل هـذه المبادرات ، والخليج العـــربي يعيش نهضـــة ادبيـــة كبيرة من خـــلال الاصدارات الصحفية اليومية والشهرية والاسبوعية والدورية بالاضافة الى وجـود أدباء يشـــار لهم بالبنـــان لهم ممارسات ابداعية فكرية حية .

لقد ذهب وقت المتلقي . ورجال الفكر العربي ينزحون الينا ليكون هذا التلاحم الفكري لتكون إضاءة .

انما الهدف السامي يقف حائراً امام هذه المقاطعة غير المجدية التي تكونت بسبب افكار بالية عن واقع الخليج وانتماء ابنائه إذ أن الابداع الفكري ، ليس محدوداً على امة دون اخرى . فلكل وطن تراثه ولكل امة مبدعوها ، بغض النظر عن الفوارق الاجتماعيـــة ، والحضارية ، والعلمية .

قد اكون حصلت على بعض المؤلفات البحرينية ، او الكويتية ، بطريق الصدفة . ومن خلال البريد . ولكن ليس معنى ذلك انني استطيع رصد هذه الحركة الفكرية . ولقـــد حز في نفسي عندما قرات في مجلة فصول المصرية ، دراسة عن القصة القصيرة في الخليج ان الباحثة توقفت في كتابتها عن القصة السعودية الى ما قبل عشرين عام ... فاصبح البحث ناقصا . ومختلا رغم إدراكي بانها في امكانها الحصول على انتاج حديث من الاندية الادبية ، او الجامعات او الجمعية العربية الســـعودية للثقافة والفنـــون . وقد انتشرت عناوينهـــا في الصـــحف السعودية بشكل عام .

ومن هذا المنطلق . اجل (ستشعر حتما بالعجز . وستجيب ببساطة ، انا لم اقرا كتبهم حتى اعرفهم) وهذه المقولة يتم مسحها من الذاكرة بالتلاحم الذي يسمح بموجبه الى دخول الكتاب دون جواز سفر . ومن ثم وجـود الناشر الواعي الذي يدرك قوة ومكانة الدور الذي يلعبه . ومن هنا ندرك اننا لسنا بحاجة الى ان يتم طبع الكتاب في القاهرة او بيروت وان يتم توزيعه من هناك ، ويتم تصديره لبلد المؤلف . بالاضافة الى البلدان الاخرى اجل (التوزيع هو الانشوطة التي تلتف حول عنق الكتاب الخليجي . وهو سبب كل التباعد والغياب بين كتاب وأدباء الخليج) ..

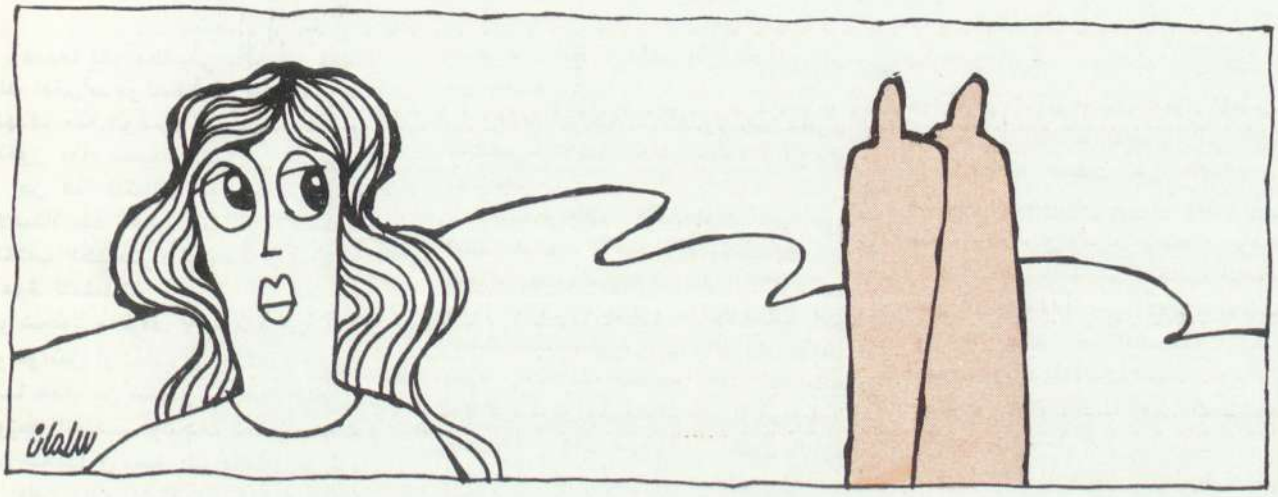
بهذه الكلمات التي غدت هاجسا يتعامل في داخلي حتى استطعت ان ارسمها حروفا . ليجد فيها المتلقي . فكرة جديدة للوصول الى الهدف السامي ، الذي يبحث عنه الغيورون من اجل كلمة حق هي نبراس وضاء يحدد معالم الطريق ، الذى التهمه الظـــلام الدامس ذات يوم . فعج في الافئدة كابوس اخذ يتناثر مبدداً ما أمامه من قيم ومقومات . وانفلت هارباً ، عندما حل النور ، فانزرعت في العيون علائم اندهاش للفوضى العارمة .

انها دعوة اخذ النسيم يعبث بجدائلها وقد ارتسمت على شفاهها بسمة صغيرة هي دعوة للحياة .

السعودية ـ الطائف

ثلاث نساء.. وبيت واحد

قصة بقلم : عبد الله عيسى



كاد الزوج ناصر الجعدان ان يوقظ زوجته حصة كعادته كل صباح لتعد له الافطار ولكنه تراجع ولم يفعل . اكتفى بالقاء نظرة حانية على وجهها المستسلم للنوم فى هدوء محتضنة ابنتها ليلى ، اوشك ان يقبلهما ولكنه انصرف الى ثيابه يرتديها .

ترك ناصر زوجته تنام مشفقاً عليها من الجهد الذى بذلته ليلة البارحة فى اعداد الوليمة التى اولمها اخوه راشد لزملائه ، قال لنفسه ان زوجته حصة زوجة دؤوب مخلصة ، فقد بذلت جهداً بالامس بدأ مع الفجر وقبل ان ترسل الشمس اول شعاع لها . راها فى ذلك الوقت المبكر تتراجع عن باب سلفتها زوجة اخيه راشد ، وترفض ان توقظها لمساعدتها فى اشغال البيت ، فقد فضلت ان تتركها لتاخذ حظها من النوم ..

ومع الفجر وقبل ان يستيقظ احد كانت حصة قد اعدت لزوجها إفطاره ثم شرعت تهيىء ما يلزم الوليمة من لحوم وخضر وبهارات .. الخ وراحت تغسل قدور الطبخ ، ونظفت صالة الجلوس وصالة الطعام .

فى الحقيقة كانت حصة تقوم بالعبء ، الاكبر من اعباء البيت بلا سام ولا تذمر ، ودائماً على لسانها كلمة «ان شاء الله» و « حاضره » .. تلبى جميع ما يطلب منها بنية صافية بيضاء كالحليب ، ولا تفارقها ابتسامتها العذبة الرقيقة ، ومنذ ان دخلت بيت الزوجية لم يرها احـد مقطبة ولم تغضب من احد .

وفى هذا الصباح حدثت اعجوبة من العجائب لم تكن كتلك الخوارق التي نسمع عنها فى الاذاعة او تنشر بالصحف ، اعجوبة وقعت فى بيت درويش الجعدان ، فلاول مرة تستيقظ « حنان » سلفة « حصة» فى السادسة صباحاً ، وهذا يعد حدثاً تاريخياً من احداث منزل درويش الجعدان ، فحنان نفسها لا تعرف لماذا استيقظت فى هذه الساعة المبكرة ، لعلها نامت مبكرة اكثر مما ينبغى ، هكذا قالت حنان لنفسها ، كان راشد زوجها مازال نائماً ، وحتى حصة نفسها مازالت تغط فى نوم عميق على غير عادتها ، وعندما دخلت حنان الى المطبخ لتعد لنفسها كوباً من الشاي . فوجئت بما راته واصابها بما يشبه الذهول . فحينما طافت عيناها فى انحاء المطبخ كانت الاطباق والاوانى مكدسة بعضها فوق بعض فيما يشبه التل ، ولم تصدق حنان ان كل هذه الاطباق والاوانى هى بقايا وليمة الامس وان سلفتها حصة هى التى اعدتها بمفردها . فكرت قليلا ، فتحرك طبعها الكسول وطال بها التفكير فترة اخرى ولكن عينيها لم تستطيعا ان تفارقا مشهد المطبخ ولا الاطباق والاوانى المكدسة وسالت نفسها وهى تهز رأسها هزات خفيفة اتغسلها ام لا ؟ ثم سرحت قليلا وهى تتناول كوب الشاي الذى اعدته لنفسها وتمتمت :

ـ نائمة مرتاحة .. تبغينى اغسل كل هذه الاوانى ؟ !

فرغت من شرب الشاي ، ثم شمرت عن ساعديها دون حماس او رغبة ، وشرعت فى صب الماء على الاوانى وابتدات بغسل الاطباق الصغيرة ، تحرك مزاجها العصبى الكسول فاحست بالضجر مما تفعل فافلتت من يديها ثلاثة اكواب وتحطمت وتطايرت شظاياها على الارض فلم تابه بها

ثم راحت بين الفينة والاخرى تدمدم بفظاظة قائلة :

ـ كاننى خادمة .. الغير ياخذ راحته فى النوم وانا وحدى اقوم بغسل كل هذه الاوانى !

لم تصبر حنان على مواصلة العمل فى المطبخ ، تركت ما بين يديها من اوان واقتربت من نافذة المطبخ التى تتدلى عليها أوراق شجر اللوز ثم القت نظرة طويلة على باب حجرة نوم حصة وقالت لنفسـها غاضبة :

ـ نومة أهل الكهف !

زفرت حنان فى عصبية وهمت بالخروج من المطبخ نافضة يديها من هذا العمل المضنى ، ولكنها تسمرت فى مكانها فقد رات حماتها شيخة مقبلة نحو المطبخ ، هذه

الحماة العزيزة التى تغدق عليها الحب وتدللها ، رأتها شيخة منغمسة فى غسل الصحون فسألتها مستغربة :

ـ أين حصة ؟

ردت حنان وقد أزالت سيماء العصبية من وجهها .

ـ مازالت نائمة !

قالت الحماة فى غيظ :

ـ نائمة .. البومة . سأذهب إليها لأعلمها كيف تنام !

اصطنعت حنان الاعتراض وهى تقول :

ـ دعيها تنام يايمه (يا أمى) !

ولكن شيخة لم تنصت لها ، واندفعت إلى حجرة حصة ، بينما وقفت حنان تنظر من نافذة المطبخ وتبتسم فى مكر ودهاء ، كانت الحماة تمقت كنتها (زوجة ولدها) حصة كمقتها لدم أسنانها ، فراحت تطرق الباب بعنف طرقات متتالية فزعت لها حصة وابنتها وسمعت حماتها تقول :

ـ قومى .. قومى الدنيا ظهر ..

أجابت حصة بصوت يغالبه النعاس :

ـ إن شاء الله ..

وكعادتها أدت حصة جميع الواجبات اليومية بصدر رحب ، وعندما رأت حنان تغسل الأطباق قالت لها برقة .

ـ دعى البقية لى .. اذهبى واستريحى !

تظاهرت حنان بالتردد ولكنها سرعان ما استسلمت وتركت كل شىء لحصة وانطلقت خارج المطبخ .

قبيل الضحى كل يوم ، وعندما تكون حصة منشغلة باعداد طعام الغذاء ، تنطلق الحماة وحنان الى الخارج حيث تبدءان بزيارة الجيران والأقارب ، تمضيان الوقت فى الهذر والنميمة ، وإذ هما تفعلان ذلك تكون حصة منشطرة إلى شطرين أحذهما مع ابنتها ليلى حيث تعد لها غذاءها وملابسها والثانى يتطلب السرعة بين الحين والحين الى قدور الطبخ ، وحصة لا تعقد أمور حياتها اليومية ولا تعسرها وتأخذ الأشياء ببساطة وطيبة نفس متناهية وما أن تحس بخروج حماتها وسلفتها حنان حتى تتسرب الى شفتيها ابتسامة لا تستطيع منعها !

ونادراً ما كانت حصة تخرج من البيت .. وهى أن خرجت فالى زيارة للجيران المقربين ، ووقت زيارتها المحبب هو وقت العصارى قبيل غروب الشمس ، وكثيراً ما ترفض حصة الخروج حتى للأعراس التى تشيع البهجة فى الحارة وترفض عادة الذهاب إليها وان كان بيت العروس قريباً ، فهى تفضل أن تبقى فى صالة البيت أمام جهاز التليفزيون تداعب ابنتها ليلى ، وهى ترفض الذهاب إلى هذه الأعراس لا كرها فيها ولا تعالياً على أهل الحارة ولكن لأنها لا تملك من الثياب ما يليق بهذه المناسبات وتفضل الاحتفاظ بما يليق من ثيابها لمناسبات أخرى !

وأيضاً لأنها فى الأساس تحب أن تظل فى خدمة رجال البيت ، زوجها ناصر وأخيه راشد ووالدهما درويش الجعدان ، وهؤلاء الرجال ليس لهم موعد ثابت يعودون فيه إلى بيتهم للعشاء فتارة يبكرون وأخرى يتأخرون وتارة يأتون سوياً وأخرى فرادى ، على هواهم ومتى شاء احدهم أن يعود وحصة دائماً على أتم استعداد ، بمفردها تقوم على خدمة الرجال الثلاثة دون تذمر أو كسل ، لا تتلكأ ، تعد وتهيىء وتلبى .. أما الرجال فيعرفون أين ذهبت شيخة وحنان ولكنهم لا يتساءلون ولا يتكلمون !

كان راشد ينظر إليها وهى تعد له العشاء سواء أكان بحجرته أم بصالة المنزل ، رائحة غادية دون كلل ، ويغبط أخاه على هذه الزوجة الصبور ، وكثيراً ما تمتم لنفسه :

ـ ليت زوجتى حنان تأخذ من طباعها شيئاً .. ولكن حناناً تريد خادمة !

وحموها درويش الجعدان أيضاً كان يحنو عليها ويرفق بها ويهمس لنفسه .

ـ يالها من كنة خدوم لولاها لنمت واستيقظت جائعاً .

ولكن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً ، فمازالت شيخة الحماة البدينة التى تشبه فرس البحر وكنتها حنان تتزينان كل يوم قرب الغروب وترتديان أبهى الثياب وتمضيان الى زياراتهما دونما اعتبار لشىء آخر .

● ●

تذهب الأيام وتمضي وتدق الطبول ذات مساء معلنة عن عرس بالحارة ، وتدعى حصة الى الحفل وتقرر الذهاب ، ففى هذا اليوم بالذات كانت قد أنهت أعمالها المنزلية مبكراً ومازال موعد العشاء بعيداً وليس بها هذا اليوم رغبة فى مشاهدة التليفزيون ، وهى لن تتأخر عن موعد الرجال . كى تكون فى خدمتهم عند العشاء .

كانت شيخة وحنان قد سبقتا إلى الحفل ولحقت بهما حصة ، جلست تحملق فى وجوه النسوة والفتيات والشابات الصغيرات اللاتى رحن يرقصن على دقات الدفوف ، ومن حين لآخر كان يتعالى صوت أحد قارعى الطبول قائلا :

هذا من نقوطه
نقوط مبارك بن خليفة
لا غير الله عليه فى شبابه
لا غير الله على أمه فيه
والسامع يصلى على النبى
كله بياض بيض الله وجهه

ثم تتعالى دقات الطبول مرة أخرى .

بعد فترة كانت حصة قد سئمت من الاستماع إلى هذا الضجيج ، فانزوت فى ركن لتهدهد ابنتها التى كان النعاس يغالبها ، وإذ هى كذلك ، اذا جاءها صوت اثنتين من النسوة يثرثرن قريباً منها .

ـ أليست تلك هى « شيخة » وزوجة ابنها « حنان » .

ـ نعم .. إنهما لا تنسيان مسرتهما رغم متاعبهما .. كان الله فى عونهما !

ـ أية متاعب يا أختاه ؟ !

ـ تحملان عبء البيت وحدهما ، ثلاثة رجال وكنة أخرى لا تفعل شيئاً .. لا أذكر اسمها أه حصة تسميها حماتها حصة البومة النؤومة .

ما إن سمعت حصة هذا الافتراء حتى سرت البرودة إلى جسدها للحظات وأوشكت أن تمسك بتلابيب المراتين وتنهرهما ، ولكنها تماسكت فى اللحظة المناسبة وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم ثم سكنت قليلا فى ركنها حتى استعادت هدوءها وحملت ابنتها النائمة على كتفها وجالت بعينيها الغاضبتين فى المكان حتى استقرت العينان على حماتها وسلفتها اللتين استغرقتا فى الثرثرة مع النساء والضحك ورمقتهما بغيظ كظيم ثم استدارت إلى الخارج !

انطلقت حصة إلى الطريق تحمل فى نفسها مشاعر جديدة .. مشاعر ثقيلة وبغيضة وتساءلت هل هذا جزاء الاحسان .. أنا « بومة نؤومة » يا فرس البحر .. عرفت حصه فى هذه الساعة انها لن تحمل لحماتها وسلفتها أية مشاعر طيبة بعد الآن وأن الأمور لن تعود كما كانت فى البيت مرة أخرى أبداً .

فى هذه الليلة عندما عاد الرجال إلى المنزل لم يجدوا عشاءهم جاهزاً ولا حتى حصة كانت مستيقظة فى انتظارهم كما تعودوا دائماً . فقد كانت تتقلب فى فراشها مدعية النوم !

عبد الله عيسى

هامش :

عبد الله عيسى من أدباء الشباب فى الخليج ويعمل فى إدارة الثقافة والفنون فى وزارة الاعلام بدولة قطر .



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة السادسة

عندما اتهموني بأن أخي يكتب شعري ويوقعه باسمي

كان هناك يوم بقيت صورته حية فى الذاكرة بكل تفاصيلها . استيقظت واخوتى على طرقات أحذية الجنود الثقيلة ، كانوا نفراً يقفون وسط الغرفة فى غبش الهزيع الأخير من الليل . هببنا بفزع من الأسرة ، وطلبوا الينا المغادرة فوراً . لم يسمح لنا بتغيير ملابسنا ، ولكنا خطفنا معاطفنا من الخزانة بسرعة ووضعنا أغطية رؤوسنا كما اتفق وخرجنا الى السوق مع بقية النساء والرجال والأطفال فى حينا - حي الياسمينة - وبحسب أوامر الجيش المداهم سار الرجال فى طريق وسارت النساء والأطفال فى طريق آخر . كان بين النساء نفساء فى يومها العاشر تسكن بجوارنا ، رأيتها وهى ترفع وجهها المحجب الى أعلى فيبدو عنقها الأبيض وبعض خصل سالفيها الحمراء ، وقالت وهم يتحسسون لفائف المولود الجديد : « ربى يكسر جاهكم ويرمل نسوانكم » ، قالتها بلهجة نابلسية أصيلة ، ناطقة الميم نونا كما فى اللهجة العامية. أما عمتى الشيخة فكانت تحت وطأة نزلة صدرية حادة ولا تقدر على السير ، فحملها جارنا « الدحدوح » بائع الخضار والفاكهة على ظهره ومشى فى موكب النسوة .

انتهت بنا المسيرة الى منطقة « راس العين » فى سفوح « جرزيم » وانتشرنا هناك فى العراء وقد بدأ الصبح يتنفس .

اطل فجأة من الجانب الآخر صف مزدوج طويل من رجال سكان الأحياء المطوقة . رأيت ابى بينهم مشتملا بعباءته فاحسست بالحزن فى قلبى والحنو يغمر نفسي . ان منظر الشيوخ والطاعنين فى السن فى مثل هذه المواقف يثير فى النفس من المشاعر المرة الحزينة ما لا يثيره الفتية والشبان . ورأيت فى صف الرجال المزدوج المغذ فى السير رجالا عرفوا بالشدة والنزق والعنجهية ، فشعرت بتناقض وجودهم فى المشهد الذليل .

عدنا الى بيوتنا فى الأصيل لنشاهد اثار أسوأ عمليات التفتيش والنهب وكان قلمى الزيتونى اللون ضمن المنهوبات ، وبقيت الى مدى طويل افتقده بشىء من الحسرة ، فقد كان أول قلم حبر أمتلكه ، وكان - وهذا السبب الجوهرى فى انزعاجى لفقده - هدية من ابراهيم كافانى بها على قصيدة رثيت بها الملك فيصل قبل ذلك بسنوات قريبة .

• •

كانت الثورة قد عمقت الدوافع العدائية الجماعية فى أفراد الجماهير الفلسطينية نحو الانكليز ، فوعد بلفور كان شيطاناً انكليزياً منذ البداية ، ولقد كانت ثورة (القسام) فى الأصل قائمة على مناهضة الانكليز ومقاومتهم ، فهم أصل الشر والبلاء وهم العاملون على تنفيذ المطامع الصهيونية الخطيرة .

• •



هدى هانم شعراوى



عبد الكريم الكرمى « ابو سلمى »



احمد حسن الزيات



اسعاف النشاشيبى

« جاءت العباية ! .. جاءت العباية .. ! »

كانت هذه كلمة السر فى شوارع نابلس وازقتها . فحين تقع المدينة فى مازق او خطر ياتيها من الخارج ، يقوم هناك حب « جماعى » بين النابلسيين يربط الناس بعضهم بالبعض الآخر ، وهذا نزوع طبيعى لدى الجماعة الواحدة ، حيث تنمو فى كل نفوس الافراد مشاعر مشتركة تلقائيا نحو العدو المشترك .

« جاءت العباية » .. « جاءت العباية » ! وتتردد كلمة السر فى الاسواق والازقة ، ويعرف الناس معها ان قوة عسكرية مداهمة فى الطريق اليهم ، فيختفى من يختفى ويحتاط من يحتاط ..

واصبح اصطلاح « جاءت العباية » فيما بعد من ضمن تراث الثورة الشعبى فى نابلس .

كانت نابلس ، كالخليل . من معاقل المقاومة الصعبة ، ولقد جاء يوم اضطرت فيه السلطات الى نفض يدها من الحكم داخل هاتين المدينتين . ولقد بلغ من عنف المقاومة ان الغيت المحاكم فى نابلس ونقلت ملفاتها الى الثكنة العسكرية خارج المدينة (١) .

● ●

الحكايات البطولية ، اخبار العنف والموت والاعتقالات والنفى والخيانات .. كل هذه كانت تخترق جدران الدار وتصل الى سمعى عن طريق الآخرين : اخوتى ، الجرائد ، النسوة الزائرات ، صبي اللحام والبقال واللبان وسواهم . وحين كانت اصوات المتظاهرين تاتينا من بعيد ثم تقترب شيئا فشيئا ، كنت اهبط الدرج ملتفعة الراس بغطاء كبير يغطي وجهى والقسم الاكبر من جسمى ، واركض الى الصفة الحجرية فى الديوان فاطل من احد شبابيكها على السوق ، وتكون الصفة قد غصت بالنسوة من القاطنين بجوارنا او المستاجرين . وحين ارى الجماهير الغفيرة الهائجة كانت تغرورق عيناى او يسيل الدمع على خدى . وقد ظللت فيما تلا من ايام حياتى ابكى واحس بالتاثر العميق ازاء مشهد الجماهير المتراصة ولعل الدمعة التى كانت تسيل من عينى فى مثل هذه المواقف انما كانت بسبب عجزى عن الاندماج فى الآخرين والمشاركة الفعلية فى الالتحاق بهم ، فما عرفت طعم هذا الاندماج ولا تعرفت على زخمه وحلاوة مذاقه الا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . فالاحتلال الاسرائيلى ارجع الى الاحساس بنفسي ككائن اجتماعي ، وفى ظل الاحتلال فقط ، حين رحت التقى بالجماهير فى قراءاتي الشعرية ، عرفت القيمة والمعنى الحقيقى للشعر الذى يتعتق ويتخمر فى دنان الشعب .

● ●

ايقظتنا فى منتصف الليل طرقات الجنود البريطانيين باعقاب بنادقهم على باب دارنا وحين قام أبي اليهم كانت قلوبنا تضطرب وانفاسنا معلقة على حبل التوقع المتارجح فى الهواء : ماذا بعد ؟

وكنا فى اعماقنا نعرف ماذا ياتي بعد ، فحين كانت الأبواب تطرق فى مثل تلك الساعة من الليل كان يفهم المرء ان هناك عملية اعتقال .

ولم يرجع أبي .

وفى الصباح كان فى طريقه الى سجن « عكا » مع الدكتور مصطفى بشناق وفائق العنبتاوى مقيدى الايدى بالاغلال ، ليلتقوا هناك بالمئات من ضحايا القمع الجماعي .

ظلت علاقتى الشعورية بابي تتارجح بين الحيادية أيام السلام والعافية والحنو البنوى الغامر أيام السجن او المرض .

● ●

مرت أيام ، أسابيع ، شهور ، والاحداث في عنفوانها المتقد . جاءتنا انباء عن مرض ابي في السجن ، وكان رقيق البنية بطبيعته . استيقظت في سكون الليل . كان فراشي دافئاً ، وبرد الشتاء حاداً في الخارج « يقطع المسمار » كما يقولون في نابلس وقراها . مرت صورة ابي في خاطري مطروحاً ، مريضاً ، مؤرقاً بين جدران السجن الجليدية ، واكتسحتني موجة من الحنو العميق . وكان احساسي القديم بالضغط والكبت بسبب حضوره في البيت قد تلاشى تماماً ليترك مكاناً للوحشة والحنان والشجن .

كانت قطرات الماء في الخارج تتساقط من أوراق الشجر بايقاع منتظم كدقات الساعة وكانت لحظة غريبة ، لحظة سايكولوجية في ذلك السكون الشامل ، رأيت فيها بعين الخيال قصيدتي التي لم اكن قد كتبتها بعد منشورة في احـــدى صـــفحات مجلة « الرسالة » ، ورأيت ، بعين الخيـــال عنوانها بالخط الأسود : (الى أبي » ! وهربت اللحظة ..

لكن الصورة المتخيلة لم تهرب ، بل ظلت تسكن عيني على مدى أيام ، الى أن أصبحت صورة حقيقية تنهض على صفحة الشعر في مجلة « الرسالة » ، تلك المجلة التي طالما حلمت بالوصول اليها ، ولم تكن الطريق اليها سهلة المنال .

كانت تجربتي الشعرية في قصيدتي « الى أبي » حصيلة كل ما تجمع في نفسي وتراكم من انفعالات منذ اشتعال الثورة عام ١٩٣٦ . ما أقل القصائد التي كتبتها بعد الهزة الانفعالية مباشرة . لقد ظللت أعجز دائماً عن نظم الشعر وانا في حالة الفوران العاطفي . لقد أصبت بالبكم مدة شهرين كاملين بعد حرب حزيران ، وأصيبت مقدرتي على كتابة الشعر بالشلل مدة شهور بعد أحداث أيلول . بعد هدوء العواصف تعود اليّ القدرة على النظم ، فهنا تبدأ القصيدة كالجنين الهلامي ، ولا أعرف في هذه المرحلة ماذا أريد أن أقول ثم ، وتدريجياً تجد الافكار طريقها الى التبلور ، وبصورة غامضة جداً أجد نفسي أكتب أول سطر ثم الثاني ، بعدها يأتي الجهد الشخصي .

● ●

كان صاحب مجلة « الرسالة » ، أحمد حسن الزيات ، يرحمه الله يفتح صدر مجلته للكتاب والشعراء العرب البارزين الى جانب الكتاب المصريين ..

● وعرفت القيمة والمعنى الحقيقي للشعر

● المجتمع النسائي يجرح شعوري ويواجهني بمشاعر سلبية

● كيف أنظم الشعر السياسي وأنا حبيسة الجدران ، لا أشارك في معمعة الحياة ؟!

فوجيء ابراهيم بالقصيدة وكان يشغل آنذاك منصب مدير القسم العربي في اذاعة فلسطين بالقدس . بعث الي برسالة بريدية قصيرة بدأها بقوله « يا أم التمام » .. ثم هناني على القصيدة « الجيدة » ، وقال ان الاستاذ اسعاف النشاشيبي والاســـتاذ خليل السكاكيني وآخرين قد حدثوه بشانها وكلهم يثني عليها أطيب الثناء ! .

وبكيت فرحاً ! ! .

● ●

اشتد مرض أبي فنقل الى مستشفى السجن في عكا ، وبدأ أخي أحمد ، الذي كان قد عاد من عمان الى منصبه في دائرة المعارف بالقدس ، بدأ يسعى للافراج عن أبي . وقيل له إن امكانية الافراج مشروطة بتقديم مبلغ معين الى واحد من المسؤولين الانكليز آنذاك .

حين ذهب أحمد لتقديم الرشوة وجد ان المسؤول المرتشي كان زميلا له أيام الدراسة في جامعة اكسفورد بانكلترا ، ولكن هذه المفاجأة لم تغير من الأمر شيئاً ، فقد تناول الموظف الانكليزي المبلغ المعين وتبادل الاثنان كلمة الشكر الانكليزية « الشهيرة » بل « المشهرة » .. وانتهى الأمر .

خرج أبي بعد أيام من مستشفى السجن منفياً الى مصر دون السماح له بزيارتنا في نابلس قبل الرحيل .

● ●

ظهرت على امتداد الثلاثينات وجوه عديدة جديدة لشعراء فلسطينيين شبان راحوا يعطون نتاجهم الشعري الهادف ، المعبر عن وعي قومي واحساس بالمسؤولية الوطنية . وقد عمل الشعر ، بنوعيه ، المكتوب منه بالفصحى والمكتوب باللهجة العامية ، عمل جنباً الى جنب مع الصحافة وأنواع الانتاج الادبي الاخرى على ايقاظ الوعي الوطني والسياسي لدى الجماهير في المدن والقرى على السواء ، مما فجر الثورة الفلسطينية الفذة عام ١٩٣٦ . كان وعد بلفور والهجرة اليهودية وتمجيد البذل والفداء من أجل الحفاظ على الأرض ، كل هذه وسواها كانت المحور الذي تدور عليه قصائد شعراء الثلاثينات بغض النظر عن التفاوت في مستوياتها الفنية واصالتها الشعرية . لقد كانت هناك دائماً رابطة قوية بين الشاعر الفلسطيني وحركة النضال ، وما كان الشاعر الفلسطيني الا نتاج واقع نضالي وفاعلا مؤثراً في ذلك النضال في الوقت ذاته .

من سوء حظي انني خلقت ، أو ربيت ، على المبالاة بما يقوله الآخرون عني . وهكذا ظللت حريصة بين الجماعة على أن أعبر عن نفسي بغير ضجيج أو ادعاء . ولقد بلغ من شدة حساسيتي ان اتخذت لي دائماً قناعاً يخفي عن الآخرين ما تضطرب به روحي . وكان هذا القناع سلاحاً ضد الفضول الجارح سابر الأغوار .

للنـــابلسيين قوانينهم الاجتماعيـــة الخاصة ، ولكي يرضي عنك الناس يجب عليك المحافظة على تلك القوانين ، وكان أهمها الا تتخذ بين الجماعة الموقف الذي يظهرك أكثر معرفة،والا فانت المغرور المدعي البغيض الى النفوس . ان الانتقاد التهكمي اللاذع صفة عامة للنابلسيين . لذلك لم أسمح لنفسي أن تفرض نفسها على الآخرين بالحديث عن موضوعات بعيدة عن اهتمامهم ، وفقدت الرغبة في الجدال والأخذ والرد . وفي أكثر الحالات كان تواصلي مع الناس مجاملة دون أن اقترب منهم اقتراباً قلبياً .

في الفترة ما بين الثلاثينـــــات والاربعينات لم يكن يسمح لي بالخروج من المنزل الا بصحبة بعض أهلي ـ أمي مثلا أو عمتي واخواتي وبنات عمي . ولم يكن هناك من متنفس غير الزيارات . ولم يكن هذا الجو يستهويني على الاطلاق ، ولكني كنت اضطر لمصاحبتهن احياناً رغبة في الخروج من ضغط الجدران العالية ولو لساعتين من الزمن ، وعلى أية حال لم يكن يسمح لأمي ولنساء العائلة الاخريات بالخروج من البيت أكثر من مرة أو مرتين في الشهر .

كانت الصفة العامة للنساء فى ذلك الحين هي أمية العقل، ولم يكن تحصيل من يعرفن القراءة والكتابة ليتجاوز مرحلة التعليم الأولى . كانت هناك قلة قليلة ممن أكملن دراستهن فى (دار المعلمـــات) الحكومية فى القدس وكان أعلى مستوى فى دار المعلمات هو الصف الثاني الثانوى .

هذه الفئة ، فئة معلمات المدارس فى نابلس وغيرها من مدن فلسطين كان لهـا قيمتها الاجتماعية واحترامها فى عيون سكان البلد . فكانت المعلمة تمتاز دائماً بالثقة بالنفس والاعتداد بالذات . ولقد شكلت المعلمات فى نابلس فئة اجتماعية معينة ، وأصبح الانتماء الى هذه الفئة قيمة تتطلع اليها كل فتاة طموحة . لقد عرفت الفتاة المعلمة لأول مرة شيئاً من الاستقلال الاقتصادى وأصبحت تشارك أباها أو اخوتها فى القيام بتكاليف معيشة الأسرة . وكفاها انها لم تعد عالة على أهلها بغض النظر عن كونها أصبحت عنصراً اقتصادياً مساعداً فى البيت .

على أن ذلك لا يعني انها تحررت من المفاهيم الاجتماعية المختلفة والسائدة ، فقد ظلت ترضخ لمجتمع التحفظ والتقاليد والتبعية للرجل لأن درجة تعليمها كانت محدودة جداً فلم تبلغ مبلغـــاً يغير شخصيتها الى حد الاستقلال النفسي والثقة بطاقاتها وامكانياتها . لقد ظلت فى جو حماية الرجل والاتكال عليه ، حتى شريك الحياة لم يكن لها الحق فى اختياره كما انها ظلت تحت رحمة الأخ حتى لو كان عاطلا ولا خير يرجى منه لنفسه أو للعائلة أو للمجتمع .

ولكن على أية حال ظل وضع المعلمة أفضل بكثير من وضع سواها مما أوجد فى نفسها احساساً بالتفوق فى المجتمـــع النسائي الذى يحيط بها ، وكان هـــذا الاحساس يؤثر على سلوكها الاجتماعي ويلونه بالوان الغطرسة والغرور والتخايل بالشخصية .

فى ذلك العهد لم تكن للمعلمات صلة ودية مع الكتب خارج نطاق المدرسة . ولم يكن يعنيهن تثقيف انفسهن بالمطالعة الجادة ، بل كان اهتمامهن مصبوباً على الملابس الأنيقة وتجميل المظهر الخارجي ، فقد كن من ناحية اقتصادية قادرات على اشباع حاجتهن المادية .

وهناك ، بالتأكيد ، استثناء يشذ عن القاعدة دائماً ، ولكنه لا يغير من الحقيقة والواقع بصورة عامة .

هذه الفئة من المعلمات غير القارئات كانت تلقاني بروح غير ودية ، واحياناً بروح عدائية ، ما عدا واحدة من اللواتى خرجن عن الصورة العامة ، وتفردن بطلب المعرفة وتثقيف الذات وكانت (ست فخرية الحجاوى) معلمتي السابقة فى مدرسة العائشية والتى كانت دائماً تخصني باهتمامها ورعايتها لي في المدرســـة وخارجها .

كانت (الست فخرية) تفرح بما تقرأ لي فى الصحف ، وبالذات فى مجلة «الرسالة» المصرية ، وكانت تملأ نفسي وتفعم شعورى وهي تشجعني وتثني على تقدمى فى مسيرتي الشعرية . كنت حين التقي بها لا اجفل من التحدث اليها عن كتاب قرأته أو قصيدة نظمتها ، اذ كنت أجد عندها تجاوباً واصغاء مرهفاً يبعث فى نفسي وهجاً لطيفاً وغبطة عميقة .

وباستثناء (الست فخرية) كان ذلك المجتمع النسوى المميز ، مجتمع المعلمات يجرح شعورى ويواجهني بمشاعر سلبية تعلن عن نفسها باللقاء غير الودى والمتغطرس الذى كنت القاه منهن .

كانت الالسنة الحادة تقول دائماً : اخوها ابراهيم يكتب لها الشعر ويذيله باسمها .

حتى بعد وفاة ابراهيم ظلت تلك المشاعر السلبية قائمة تجاهي . وكان ذلك الجـو العدائي يؤلمني أشد الايلام ، ولم أكن ادرك يومها ان كل نجاح يحققه المرء لابد من دفع ثمن له ، حتى بين الأهل والعشيرة .

زمار البلد لا يطرب .. وهذه حقيقة نفسية عرفتها فيما بعد ، واحنيت لها رأسي وغضضت الطرف .

تلك هى صورة المجتمع النسائي الذى كان يحيط بى فى بلدتي خلال الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن . مجتمـــع برجوازى غير قارىء ، كنت أبدو فى نظره مخلوقة شاذة ، غير اجتماعية .

واتسعت الفجوة بيني وبين المجتمع النسوى ، فلم يكن بمستطاعه أن يعطيني شيئاً أو أن يأخذ مني شيئاً ، كان مجتمعنا لاذع اللسان يثرثر كثيراً جداً . والثرثرة رمز التخلف فى المجتمعات التى لا تقرأ ، وكان علي ان أدرك ان الدنيا كانت على عادتها قبل ان اكتشف عالم الكتاب الجميل الخصيب ، ولكن لم أدرك ذلك فى تلك الأيام ولو أدركته لضاقت الفجوة بيني وبين ذلك المجتمع النسائي البائس .

ودعت آفاق القدس الفسيحة لادخل من جديد (قمقم الحريم) فى نابلس ، حيث تعيش الاناث وجودها الهزيل القاتم . كنت اتلفت حولي فلا أرى الا ضحايا بلا شخصية ، بلا كيان مستقل يقبعن فى بيت يتعجل فيه الرجل شيخوخة اخواته وبنات عمه ، متخذاً من القهر وسيلة لذلك التعجيل . بنات عمي لم اعرفهن الا عجائز عجزت الواحدة منهن منذ الخامسة والعشرين من عمرها . لم اعرفهن الا فى ثياب التبتل والرهبنة ، يغطي شعرهن منديل أبيض ، فيما هن قعيدات الجدران المحيطة . ليس لهن صديقات ، ليس لهن حياة خاصة . صبايا بشعر شائب ووجوه جعدها الكبت قبل الاوان بكثير .

كانت وحدتي النفسية قاسية ضمن هذا الواقع . كما كان وجودى داخل ضجيج الأصوات والجلبة التى لا تهدأ شيئاً غير محتمل ، فمنذ الطفولة ظلت الضوضاء عملية تعذيب لي . لم أملك فى تلك الأيام حياتي الخاصة ، ولقد مضى وقت طويل قبل أن استقل بغرفة خاصة بي لم تنجني مع ذلك من البقاء فى قلب الضجيج ، حيث إيوان الجلوس المشترك ، والساحة السماوية المشتركة ، والمطبخ المشترك ، ومنقل النار المشترك . كان جوعي الى الهدوء والصمت والعزلة جوعاً دائمـــاً لا ينتهي . وحين كان يتاح لي سرقة مشوار الى المروج وكروم الزيتون على طـــريق (رفيديا) كنت أجلس فى ظل زيتونة ، وأعب من الصمت والهدوء ، وأحلم بامتلاك كوخ خشبي صغير ، يقوم فى أحد تلك الكروم واستقل فيه بحياتي .

كذلك أصبح من احلامي الثابتة السفر والدوران حول الأرض . يقولون أن أكثر الذين عشقوا الدوران والأسفار حول العالم كانوا قد عانوا عيشة الحيوانات وراء قضبان الاقفاص الحديدية . لقد كنت اتابع ببصرى العصافير وهى تنطلق من عب الأشجار فى صحن الدار وتمضي الى وراء الجدران سارحة فى الفضاء ، حرة من الخوف والحرمان ، كنت اتابعها ببصرى واشتهى واحلم بامتلاك جناحين طليقين . ولكن صفعات الواقع كانت تهوى علي وتردني مستلبة الاحلام والامنيات .

لم يكن بمستطاعي التفاعل مع الحياة بالصورة القوية التي يجب على الشاعر أن يتفاعل بها . كان عالمى الوحيد فى ذلك الواقع الرهيب بخوائه العاطفي هو عالم الكتب . كنت أعيش مع الافكار المزروعة فى الكتب ، معزولة عن عالم الناس ، بينما انوثتي تئن كالحيوان الجريح فى قفصه ، لا تجد لها متنفساً مهما كان نوعه .

وأنا فى تلك الحال من الحصر النفسي والضيق والاغتراب ، كان أبي يأتي الي طالباً مني كتابة الشعر السياسي . كان يريدني أن آخذ المكان الذى تركه ابراهيم ،

فكلما برزت مناسبة وطنية او سياسية اقبل علي يسالني الكتابة فى الموضوع . وكان ذلك يتعسني ويشعرني بالعجز . وكان صوت فى داخلي يرتفع بالاحتجاج الصامت : كيف وباى حق او منطق يطلب مني والدى نظم الشعر السياسي وانا حبيسة الجدران ، لا احضر مجالس الرجال ولا اسمع النقاشات الجادة ولا اشارك فى معمعة الحيّاة ؟ حتى وطني لم اكن قد تعرفت على وجهه بعد ، فقد كان السفر محرماً علي ، وباستثناء القدس التى عرفتها بفضل احتضان ابراهيم لي حين كان يعمل فى الاذاعة الفلسطينية ، لم اكن اعرف مدينة اخرى غير نابلس .

من قوانين الطبيعة التي لا تقهر ان المخلوقات من نبات وحيوان لا يمكن لها ان تعيش وتنمو خارج شروط بيئية حياتية محددة . وبالنسبة لي لم تكن البيئة البيتية التي نشات فيها ملائمة لخلق روح الاهتمام بالعالم الخارجي وما يدور فيه من صراع.

كان ابي يطالبني بالكتابة في موضوع بعيد عن اهتماماتي كل البعد وليس له اية علاقة بالحركة النفسية في داخلي . وكان يطغى علي شعور بالعجز ، وحين اوي الى فراشي اسلم عيني للبكاء .

ان بلوغنا مركزاً يتطلب منا اشياء تفوق الكفاية الطبيعية فينا كثيراً ما يسيء الينا سيكولوجياً ، وذلك من جراء الصدمة والصعوبات التي نعانيها . كان ابي يظن ان بمستطاعي النظم في اي موضوع . حقاً كنت قد رسخت قدمي في ارض الشعر ولكن تيار الحركة النفسية عندي كان مغايراً ومختلفاً تماماً عن التيار الذي اراد ابي ان يحملني على الانسياق معه . ان على الشاعر ان يعرف الحياة والعالم من حوله قبل ان يعالجها في شعره ، فمن اين آتي بالمادة الأولية الاساسية المناسبة ؟ من اين يتوفر لي الجو الفكري والنفسي لاكتب مثل ذلك الشعر ؟ هل استمده من قراءة الجريدة التي كان يحملها ابي في ظهيرة كل يوم حين يعود الى البيت لتناول الغداء ؟ ان قراءة الصحف ، على اهميتها ، لم تكن كافية لانبعاث جذوة الشعر السياسي في اعماقي . لقد كنت معزولة عزلة تامة عن الحياة الخارجية ، وكانت تلك العزلة مفروضة علي فرضاً ولم اخترها بارادتي . فالعالم الخارجي كان (تابو) محرماً على نساء العائلة ، فلا نشاطات اجتماعية ولا اهتمامات سياسية . كانت امي واحدة من اعضاء جمعية خيرية نسائية ولكن هذا لا

● حتى وطني لم أكن قد تعرفت على وجهه فقد كان السفر محرّمًا عليّ

● عندما ازداد هزالي ولم تكن آلام الرأس تفارقني إلا نادرًا

يغير من الصورة شيئاً ، فقلما كانت تشترك في اجتماعات الجمعية ، ولم يسمح لها في اي مرة بالسفر لحضور المؤتمرات النسائية كغيرها من اعضاء الجمعية ، ولم يسمح لها قط بالمشاركة في السير في مظاهرة نسائية ، فتقاليد العائلة لم تسمح بهذا مطلقاً .

كانت قد تاسست في نابلس جمعية نسائية منذ عام ١٩٢١ برئاسة المرحومة مريم هاشم (توفيت عام ١٩٤٧) وكانت الجمعية ذات طابع خيري ، ثم انضمت عام ١٩٢٩ الى الاتحاد النسائي العربي العام الذي اسسته في مصر المرحومة هدى شعراوي ، هنا اصبح الاتحاد النسائي الفلسطيني يقوم بتنظيم النضال السياسي للمراة الفلسطينية في معظم المدن الفلسطينية واحياناً في قراها . ولئن كان اشتراك المراة في المدينة مقتصراً على المظاهرات وبرقيات الاحتجـــاج وعقد المؤتمرات من خلال الهيئات النسائية ، تلك الهيئات التي افرزتها البورجوازية الوطنية آنذاك ، فان المراة القروية كانت تملك حرية الحركة بشكل افضل واكثر فعالية بفضل سفورها ، فكانت تقوم بنقل السلاح والطعام الى الثوار القابعين في الجبال .

ومع ذلك الوضع المعزول كلياً والمفروض على النساء في البيت لا غرابة في ان يخلو جو الدار النسوي من اي وعي سياسي او اجتماعي . كانت الدار اشبه بحظيرة كبيرة تملؤها الطيور الداجنة يلقى لها بالعلف فتزدرده دون نقاش ، راضية قانعة به ، وكان ذلك غاية الغايات ونهاية النهايات . وكانت رسالة تلك الطيور الداجنة تقتصر على تفقيس الفراخ الصغيرة واستنفاد ايام العمر بين حلل الطبخ النحاسية الكبيرة وبين حطب الموقد الدائم الاشتعال شتاء وصيفاً .

وكما يحصل في المجتمعات المتخلفة حيث تكون السخافات هي حصيلة حياة المراة ، فان الجو النسائي في البيت لم يشذ عن هذه القاعدة ، التي كانت هي الصفة السائدة في كل الاسر والبيوت . وهكذا لم يكن بمستطاع الجو العائلي ان يعطيني شيئاً ، بل كان يزيدني رهقاً على رهق .

واصبت بمرض بغض السياسة . ففي هذه المرحلة بالذات عانيت صراعاً نفسياً وفكرياً حاداً . كنت احاول الاستجابة الى رغبة ابي لكي ارضيه واكسب محبته ، ولكن اعماقي كانت تحتج وترفض وتتمرد ، اذا لم اكن متحررة اجتماعياً فكيف استطيع ان اكافح بقلمي من اجل التحرر السياسي او العقائدي او الوطني ؟ وظل يعوزني الاختمار السياسي كما كنت افتقر الى البعد الاجتماعي . ولم يكن لدي سوى البعد الادبي وكان بعداً ناقصاً .

كنت اعي ذاتي ، وكنت على وعي بان هذه الذات لا تتكامل الا في الجماعة . وكانت الجماعة هناك ، وراء الجدران التي تحاصرني ، وبينها وبيني مسافة قرون طويلة من عالم « الحريم » ؟ .

وراح يطغى علي الشعور بالعجز . لقد تعطلت لدي القدرة على كتابة الشعر ، فتوقفت حتى عن نظم الشعر الذاتي . وهكذا غطى الجدب الشعري كل تلك المرحلة الصعبة . وكان وعيي الشديد لما انا فيه من كبت وضغط يؤثر على كياني الروحي والجسدي معاً ، فازداد هزالي ولم تكن آلام الراس تفارقني الا نادراً ، وكان التعب النفسي رابضاً بكل ثقله على اعضاء جسدي ، وفي الليل كان يغرقني العرق .

ولم يعد للحياة معنى او طعم ، وانما كنت استبطن همومي الخاصة ومشاعري الذاتية وكان عطبا اصابني في داخلي ، كانت التعاسة تضخم شعوري بنفسي وبكياني ،ورحت انزف على حدي سكين تلك المقولة القديمة : (ان لم اكن لنفسي فمن يكون لي ؟ وان اكن لنفسي فمن انا ؟) . لقد ظل ضعف الارتباط بالواقع والحاجة للاتصال بالعالم الخارجي مصدراً لصراع نفسي عانيت منه طويلا ، وكان ابي اول من زرع بذرة هذا الصراع الذي رافقني فيما تلا من مراحل حياتي الشعرية ولكن بصورة مختلفة ساتناولها عند الحديث عن تجربتي الشعرية .

بقيـــة المذكـــرات

العـــدد القـــادم

هوامش :

(١) حول الحركة العربية الحديثة ـ عزت دروزة الجزء الثالث ص ٢٠١ .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● ذكريات مدرسية ●● شكسبير العاشق

ذكريات مدرسية



بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني

ساقتصر فى هذا الفصل على طائفة من الذكريات تخيرتها من عهدين ـ عهد كنت فيه تلميذاً وعهد تال كنت فيه مدرساً وساكتفى بالمعالم الكبرى والخطوط الرئيسية التى تغنى عن التفاصيل ، ولست أرمى غاية من هذا التصوير سوى ما يمكن أن يستفاد من مقابلة عهد بعهد ومواجهة ماض بحاضر . فمثلا يمكن بسهولة أن تتصوروا حال التعليم الابتدائى إذا قلت إن تلميذاً كان معنا فى المدرسة نال الشهادة الابتدائية فعين فى السنة التالية مدرساً لنا فى السنة الرابعة التى تعد لنيل الشهادة الابتدائية . وأبلغ من هذا فى الدلالة أنه كان يدرس لنا ما كان يسمى « الأشياء » وهى عبارة عن معارف عامة وكان تدريسها يومئذ باللغة الانجليزية . وأرسم خطاً آخر تتم به الصورة فاقول إن ناظرنا كان يقول عن نفسه إنه جاهل جاهل ولكنه إدارى إدارى ، وكان حديث عهد برتبة البيكوية فكانت عبارة « يا سعادة البك » تغفر كل ذنب وتمحو كل خطيئة !

ذكريات مدرسية

وليس أقدر من الصغار على التفطن إلى مواطن الضعف فى الكبار ، وليس أعرف بالمعلم من تلاميذه . وحسبه كشفاً لستره أن مئات من العيون تفحصه كلما بدا لها ، وان مئات من الألسنة الثرثارة لا تنفك تلغط بما ادركته رؤوس اصحابها الصغيرة . واذكر انى كنت الاعب تلميذاً فشتمنى فضربته بسلسلة مفاتيح فقطعت جلد وجهه فذهب يعدو إلى الناظر والدم يسيل من جرحه وقال له وهو يبكى : « يا افندى ابن عبد القادر ضربنى » فاسرها الناظر وبعث يطلبنى وسالنى لماذا فعلت ذلك ؟ فقلت : « ياسعادة البك إنه شتم ابى » وانكر المضروب وقال : « لا والله يا افندى » وتكرر من المضروب نعت الناظر بالافندى وتلقيبي له بسعادة البك ، فضاق صدر الناظر جداً واهوى على المضروب بخيزرانته وهو يقول « افندى فى عينك قليل الحيا » ولا احتاج ان اقول إنى نجوت مما كنت استحقه من العقاب وإن الفضل فى نجاتى إنما كان لكونى لم انس « يا سعادة البك » وان خصمى نسيها .

واوفدنى إليه التلاميذ يوماً لارجو منه ان يسمح لنا بزيارة حديقة الحيوانات مجانا فدخلت عليه وسلمت ومهدت بيا سعادة البك ورفعت إليه رجاء الفرقة فدق صدره بكفه وقال : « حوانات حوانات إيه يا ابنى ... اسد فك السلاسل نهش عيل منكم نبقى نقول يا مين ؟ » .

فلم نزر حديقة الحيوانات كما لم يزرها ناظرنا الذى كان يتوهم ان الأسود فيها تربط بالسلاسل .

ودخل علينا مرة ونحن نتلقى درساً فى الحساب فوجد المدرس يملى علينا مسالة خلاصتها ان فلانا اقرض فلانا مبلغاً من المال بفائدة كذا فى المائة ، فاستوقفه الناظر وقال لنا إن المسالة غلط ، وطلب منا ان نبين موضع الغلط فيها ، ويظهر ان المعلم كان اعرف منا بالناظر فقد اكتفى بالابتسام ورحنا نجيب بما يخطر لنا والناظر يرفض كل جواب . واخيراً التفت إلى المدرس وقال له : « يا فلان افندى المسالة كذب فى كذب فارجو الا تعلم الاولاد الكذب مرة اخرى » وخرج .

وكان فى كل مدرسة فرقة للعب الكرة ولكن اعضاء هذه الفرقة لم يكونوا جميعاً من التلاميذ ، فانى اذكر ان المدرسة جمعت من كل تلميذ منا خمسة قروش لتدفع للوزارة المصروفات المدرسية لرجل ضخم عملاق حليق اللحية والشاربين احمر الوجه ليلعب مع الفرقة فى المباريات مع المدارس الحكومية الاخرى ، وكان هذا العملاق المخيف يجىء إلى المدرسة وقت الظهر ويخرج منها بعد الغداء ، وكانت مائدته تزدان بانواع من المخلل يؤتى له بها خاصة . وكان إذا احب ان يبقى فى المدرسة نصف ساعة او ساعة لا يجلس إلا فى غرفة المدرسين وهناك تقدم له القهوة والسجاير فيشكر ذلك بهزة من راسه ، والساق على الساق والسيجارة فى فمه انتظاراً لمن ينهض إليه ليشعلها له من المدرسين . وكنا نحن نتزاحم على الباب والنوافذ لنفوز برؤية هذا المنظر .

اظن هذه الخطوط كافية لرسم صورة واضحة لمدرستنا الابتدائية الحكومية فى ذلك العهد . والآن انتقل إلى طائفة اخرى من الصور للمدارس الثانوية .

كان التعليم الثانوى انتقالا بادق المعانى فقد صار كل ما فى المدرسة إنجليزياً - الناظر والمدرسون والتعليم - ما عدا اللغة العربية . وانا إلى هذه اللحظة لا اعرف كيف كنت انجح فى الامتحانات ، واكبر ظنى انهم كانوا يترفقون بنا ويعطفون علينا ويتساهلون معنا ويتركوننا ننجح على سبيل الاستثناء . وادع غيرى واقصر على نفسى فانى اعرف بها ، فاقول إنى ما استطعت قط ان افهم علوم الرياضة او ان اقدر فيها على شىء ، ومع ذلك كنت انتقل من سنة إلى اخرى بلا عائق . وكان الاساتذة يختلفون فمنهم الفظ ومنهم الرقيق ،واذكر ان احدهم كان يذكرنى درسه بالكتاب الذى حفظت فيه القرآن الكريم ، فقد كان يملى درس الجغرافية ، فاذا كان الدرس التالى طالبنا به محفوظاً عن ظهر قلب ، وكان يقف امامه التلميذان والثلاثة دفعة واحدة وعلى مكتبه الكراسة والتلاميذ يتلون وهو يسمع ، ثم يضع فى كل ركن واحداً من الحافظين ليمتحن زملاءه وكنت لا استطيع ان احفظ شيئاً عن ظهر قلب فكنت احبس بعد كل درس فى الجغرافيا حتى كرهتها وكرهت حياتى كلها بسببها .

وكان لنا مدرس آخر من اظرف خلق الله وارقهم حاشية واعفهم لفظاً ، فكان إذا ساءه من احدنا امر واراد ان يوبخه قال له : تهج كلمة بليد مثلا او مجنون او غير ذلك كراهة منه لاسناد الوصف إلى التلميذ مباشرة . ولم يكن تدريس اللغة العربية خيراً من تدريسها فى الوقت الحاضر ولكنا كنا اقوى فيها من تلاميذ هذا الزمان - لا ادرى لماذا .

وكان المفتش الأول للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، وكان من اعلم خلق الله بها وبالصرف على الخصوص ، وكان رجلا طيباً ووقوراً مهيباً ، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرس إليه فيقبل يده فيدعو له الشيخ ، ولا نستغرب نحن شيئاً من ذلك بل نراه امراً طبيعياً جداً . واعتقد ان منظر اساتذتنا وهم يقبلون يد الشيخ حمزة كان من اهم ما غرس فى نفوسنا حب معلمينا وتوقيرهم ، فانى ارانى إلى هذه الساعة اشعر بحنين إلى هؤلاء المعلمين ولا يسعنى إلا إكبارهم حين التقى بواحد منهم وإن كنت لم استفد منهم شيئاً يستحق الذكر . ومن لطائف الشيخ حمزة انه كان يقول ملاحظاته على المعلم على مسمع منا ، ولكنه كان لا يكتب فى تقريره إلى الوزارة إلا خيراً .

وقد اتفق لى بعد ان تخرجت فى مدرسة المعلمين وعينت مدرساً فى المدرسة السعيدية الثانوية ان جاء الشيخ حمزة للتفتيش فاغتنمت هذه الفرصة وقلت : « يا استاذ ، ما هو الاسم العربى الصحيح لهذا الدخان الذى نسميه الدخان تارة والتبغ تارة اخرى » . فقال : « انظرني يا سيدى حتى انظر فى الكناشة » . واخرج مما يلى صدره تحت القفطان كراسة ضخمة لا ادرى كيف كانت مختبئة غير بادية وقلب فيها ثم انشد هذا البيت :

كانما حثحثوا حصا قوادمه
او ام خشف بذى شت وطباق

ومضى عنى . وفكرت انا فى كلمة الطباق التى جاءنى بها الشيخ . فاستحسنتها ورايت انها على العموم خير من كلمة التبغ

التى نعرب بها اللفظ الانجليزى او الفرنسى « توباك او تاباكو » .

ومن حوادث الشيخ حمزة معى انى كنت اؤدي الامتحان الشفوى فى الشهادة الثانوية وكان هو رئيسا للجان اللغة العربية ، فلما جاء دورى اتفق انه كان موجوداً ، فلما انتهت المطالعة وجاء دور المحفوظات وكان لها مقرر مخصوص سالنى ماذا احفظ . وكنت فى صباح ذلك اليوم قد قرات خطبة قصيرة للنبي صلى الله عليه وسلم فعلقت بذهنى والهمنى الله ان اقول إنى احفظ خطبة للنبي ، ففرح الشيخ جداً وخلع حذاءه وصاح « قل يا شاطر . قل يا شاطر فتح الله عليك » وسترنى الله فلم اخطيء ، فاكتفى الشيخ بهذا واعفانى من النحو والصرف والاعراب .

ولكنه فى مرة اخرى كاد يضيع على سنة . وكنت طالباً فى مدرسة المعلمين وكانت لجنة الامتحان فى اللغة العربية برياسته فقال احد إخوانى بعد خروجه من الامتحان :إن الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف ويطلب من الطالب ان يتلو الفصل الذى يقع عليه الاختيار . ولم نكن ندرس لا نحواً ولا صرفاً فى المدرسة لان الدراسة كانت مقصورة على الادب ، فايقنا بالفشل . وجاء دورى فدخلت وانا واثق من الرسوب وجلست امامه فناولنى كتاب مقدمة ابن خلدون فقرات . ولا ازال اذكر فاتحة الكلام وهى « اعلم ان العدوان على الناس فى اموالهم ذاهب بامالهم فى تحصيلها » الخ . فقال : ضع الكتاب . فوضعته ، فسالنى عن العدوان والفعلين عدا واعتدي وانتقلنا إلى الصيغ المختلفة التى يكون عليهـــا « الفعل » و « اعتدى » مثل « اعتديا » للماضى المثنى و « اعتديا » للامر ، فسالنى لماذا كان الماضى بالفتح والامر بالكسر فلم اعرف لهذا سببا وقلت إنه لا سبب هناك سوى ان العرب نطقوا بهما هكذا . فدهش لهذا الجواب وقال : ولكن لهذا سببا ، قلت : إن اللغة سبقت النحو والصرف ، وكل هذه القواعد موضوعة بعدها ، وما دمت انطق كما كان العرب يفعلون فان هـــذا يكفى ولا داعى للبحث عن سبب مختلق . فغضب وظهر هذا على وجهه فلم ابال بغضبه ، وحدثت نفسى انه خير لى واكرم ان اسقط بخناقة من ان تكون علة سقوطي الجهل واصررت على رايى وكاد يحدث مالا يحمد ، لولا ان المرحوم الشيخ شاويش – وكان عضواً فى اللجنة – تدارك الامر ، فقد نظر فى ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمـــزة وقال : « العصر وجب يا مولانا » فنهض الشيخ وهو يقول « اى نعم » وذهب للصلاة ونسينى فكان فى هذا نجاتى . وقد حفظت هذا الجميل للشيخ شاويش ، وكانت هذه الحادثة بداية علاقتى به

ولم تكن المواد كثيرة او طويلة فى مدرسة المعلمين ، ويكفى ان اقول إنه كانت لنا فى الاسبوع ثمانى ساعات لا نتلقى فيها اى درس ، فترك هذا التخفيف وقتا كافيا للمطالعة الخاصة ، وكان اساتذتنا وناظرنا يشجعوننا عليها بكل وسيلة ولا يفوتهم مع التشجيع والحث ان يوجهونا وينظموا لنا الامر ، واحسب ان هذا نفعنا جداً .

وقد صرت معلماً بعد ذلك وظللت اشتغل بالتعليم عشر سنين ، خمس منها فى الوزارة وخمس فى المدارس الحرة ، وفى هذه السنوات العشر لم احتج ان اعاقب تلميذاً او اوبخه او اقول له كلمة نابية ، ولم يقصر التلاميذ فى محاولة المعاكســـة ولكنى كنت حديث عهد بالتلمذة وبشقاوة التلاميذ . فكنت اعرف كيف اقمع هذه الرغبة الطبيعية فى الشقاوة وكانت طريقتي ان اتجاوز نفسي والتلاميذ ، مثال ذلك ان يحتاج التلميذ إلى قلم او نشافة فيطلبها من جاره ويكلمه فى ذلك فلا اعد هذا من الكلام الذى لا يباح ، ولا اقيم ضجة من اجله .

وقد حدث يوما وانا مدرس فى المدرسة الخديوية ان دخلت فرقة فالقيت على مكتبى كل ادوات الرياضة مرصوصة على نحو لاشك انه متعمد ، وكان تلاميـــذى لا يجهلون كرهى للرياضة ، وكنت انـــا لا اكتمهم اني اعد نفسى جاهلا بها حماراً فى علومها ، وكان غرضهم من رص هذه الادوات ان يعابثونى عسى ان اثير الضجة التى يشتهونها ولا يفوزون منى بها . ولكنى لم افعل بل اكتفيت بان دعوت الفراش فحمل هذه الادوات ووضعها فى مكانها ثم بدا الدرس .

واتفق يوما آخر ان دخلت الفصل فاذا رائحة كريهة لا تطاق ، وكان الوقت صيفا والجو حاراً جداً فضاعف الحر شعورى بالتنغيص من هذه الرائحة الثقيلة . وادركت انها هى المادة التى كنا ونحن تلاميذ نضعها فى الدواة مع الحبر فتكون لها هذه الرائحة المزعجة . فقلت لنفسى إنهم ثلاثون او اربعون وانا واحد ، وإذا كانت الرائحة القبيحة تغثى نفسى فانها تغثي نفوسهم معى ايضا ، فحالهم ليس خيراً من حالى ، والاحساس المتعب الذى اعانيه ليس قاصراً علىّ ولا انا منفرد به ، وانهم لاغبياء لانهم اشركوا انفسهم معى وقد ارادوا ان يفردونى بهذه المحنة . والفوز فى هذه الحالة خليق ان يكون لمن هو اقدر على الصبر والاحتمال ، فتجاهلت الامر وصرت اغلق النوافذ واحدة بعد اخرى لازيد شعورهم بالضيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك ، وقد كان .

تصبرت وتشددت ودعوت الله فى سرى ان يقوينى على الاحتمال ، ومضيت فى الدرس بنشاط وهمة لاشغل نفسى عما اعانى من كـرب هذه الرائحة الملعونة . وكنت ارى فى وجوههم امارات الجهد الذى يكابدونه من التجلد مثلى فاسر واغتبط وازداد نشاطا فى الدرس وإغضاء عمن يرفعون اصابعهم ليستاذنوا فى الكلام فقد كنت عارفا انهم إنما يريدون ان يستاذنوا فى فتح النوافذ عسى ان تخف الرائحة ويلطف وقعها . وظللنا على هذا الحال نصف ساعة كادت ارواحنا فيها تزهق ، ورايت ان الطاقة الانسانية لا يسعها اكثر من ذلك ، وان التلاميذ خليقون ان يتمردوا إذا اصررت على عنادى المكتوم ، واغتنمت فرصة إصبع مرفوعة وسالت صاحبها عما يريد ، فقال إنه يريد ان يفتح النافذة لان الحر شديد . قلت افتحها ، وفتحت النوافذ كلها . وتشهدنا جميعا واستانفنا الدرس ولكن بفتور لشدة ما قاسينا من رياضة النفس على احتمال مالا يطاق . وانتهى الدرس وخرجت فخرج ورائى ثلاثة او اربعة من التلاميذ ولحقوا بى ، وقال لى واحد منهم إنهم ياسفون لما حصل وإن الامر كان مقصوداً به غيرى ، وإنهم يطلبون الصفح ، فسررت ولكنى تجاهلت وسالتهم عما يعنون . قالوا : الرائحة الكريهة التى كانت فى الفصل . قلت : رائحة ... اى رائحة ؟ إننى مزكوم ولهذا لم اشم شيئا فلا محل لاعتذاركم . ومضيت عنهم ، وكان هذا درساً نافعاً ولو انى عاقبت احداً لما اثمر

ذكريات مدرسية

العقاب إلا رضاهم عن نفوسهم لانهم استطاعوا ان ينغصوا على ، وان ينجح معى عبثهم الطبيعى فى مثل سنهم .

وفى آخر سنة من اشتغالي بالتدريس توليت امر مدرسة ثانوية فقلت للاساتذة : إنى الغيت العقوبات جميعاً فلا حبس ولا عيش حاف ولا شيء مما اعتاد المعلمون ان يعاقبوا به التلاميذ . ونظريتى هى ان المدرس الذى يحتاج إلى معاقبة تلميذه لا يصلح لهذه المهنة وخير له ان يشتغل بغيرها ، وان العلاقة بين المعلم وتلميذه ينبغى ان تقوم على المودة والاحترام ، وان يكون اكبر واقوى عامل فيها هو شعور التلميذ بان المدرس والد له يبغى له الخير ويخدمه ويفتح له نفسه ويقوى مداركه وينمى استعداده ، وانه لا يلزمه بدرس ولا يفرض عليه شيئاً بل يرغبه فى الدرس ويحبب إليه التحصيل . وعلى هذا فليس لأحد من المعلمين ان ينتظر منى اى معونة على ضبط النظام ، وقد كان . قضينا فى هذه المدرسة سنة كاملة لم يشعر فيها التلاميذ بسلطان او سطوة ، وإنما شعروا انهم ابناء لنا واننا إخوان كبار لهم واصدقاء نافعون .

ولم اكتف بهذا بل الغيت « الجرس » الذى يدق إيذاناً بابتداء الدرس او انتهائه لانى لم ار حاجة إليه بعد ان اصبح التلاميذ يحرصون على الحضور والمواظبة من تلقاء انفسهم وبدافع من حبهم للمدرسة ورغبتهم فى الوجود بها مع اخوانهم المدرسين حتى لقد كان الواحد منهم يمرض فيحضر ، وبهذا استغنيت ايضاً عن الدفاتر الكثيرة التى تستعمل فى المدارس والتى تحتاج إلى موظفين كثيرين لا داعى لهم .

وقد كنت احب ان اظل فى هذه المدرسة لارى نتيجة التجربة ، ولكن الحركة الوطنية بدات فى صيف ذلك العام وجرفنا جميعاً تيارها الزاخر فهجرت التعليم إلى الصحافة . ولو عدت إليه الآن لكان من المحقق ان اخفق فقد اختلف الحال جداً وانقلبت الاوضاع .

ابراهيم عبد القادر المازنى
١٩٣٨

شكسبير العاشق

بقلم : يوسف روشا

كان جون شكسبير ، والد الشاعر ، فلاحاً . ويقول بعض الرواة إنه كان جزاراً . وليس ببعيد ان يكون الرجل قد اتخذ هاتين الحرفتين فى آن واحد فقد كان جم النشاط سريع الانسجام لا يحجم عن المغامرة فيما يعرض له من الشئون ، فتحسنت حاله بسرعة إذ نراه فى سنة ١٥٥٦ ـ ولم يمض على وفادته على « ستراتفورد » سوى خمس سنوات ـ قد ابتاع دارين انيقتين وانتخب نائباً عن هذه البلدة ، ثم قام بعد هذا بقليل باكبر صفقة فى حياته وذلك بزواجه من « مارى أردن » ابنة المزارع الغنى ، فاستقامت حاله وارتفع فى مدة وجيزة من مزارع بسيط إلى مصاف اعيان البلدة .

ولد وليم شكسبير فى سنة ١٥٦٤ ولا يزال اليوم الذى ولد فيه موضوع اخذ ورد ، فمنهم من يقول إنه ٢٢ ابريل ، ومنهم من يزعم انه ٢٣ ابريل ، فليس فى هذا ما يهم ، إنما الذى يعنينا انه ولد فى ١٥٦٤ وكان الصبى الاول والطفل الثالث لجون ومارى شكسبير .

لم يرسل جون ابنه وليم إلى المدرسه إلا عند بلوغه السابعة من عمره . وليس من شك فى ان وليم ، وما عرف عنه من توقد فى الذهن ونفاذ فى البصيرة ، كان قد التهم بسهولة ويسر كل ما تلقاه فى مدرسته ، وليس هذا الذى تلقاه مما يغنى ، ذلك انه لم يكن يتعدى النحو وشيئاً قليلا جداً من اليونانية واللاتينية اللتين لم يتقدم فيهما تقدماً ملموساً ، حتى ان « جونسن » ، وقد كان معاصراً للشاعر ، قال عنه مرة إن معرفة شكسبير باللاتينية قليلة واقل منها معرفته باليونانية .

على ان حال الاب المالية اخذت فى التدهور حتى اضطر آخر الامر إلى إخراج كافة ابنائه من المدرسة .

لا نعرف شيئاً عما كان يفعله الشاعر من الثالثة عشرة إلى الثامنة عشرة من عمره ، واغلب الظن انه كان يساعد اباه فى مهنته كجزار ، إلا ان سوء الحظ لازم جو شكسبير ، فاخذ ينحدر رويداً رويداً إلى هاوية الافلاس والفقر المدقع ، فساءت اخلاق وليم وانضم إلى جماعة من الأشرا يسرقون الغزلان من حدائق الاغنياء !

ولكن اقتحام الحدائق واختطاف الغزلا لا يعدان شيئاً بجانب ما كان يقوم به ول شكسبير من غزواته الغرامية ، فقد وج سهامه ، وهو لا يزال فى الثامنة عشرة م عمره إلى فؤاد « آن هاتوى » ابنة فلاح فصادها !

كان وليم مشبوب العاطفة ، كما تد عليه اشعاره وخاصة قصيدته « فينوس وادونيس » . ومن المؤكد انه لم يكن يقص من مغازلة « آن » سوى العبث وإشبا الشهوة ، ذلك انه لم يكن يحبها ، كما تبي فيما بعد ، ولكن المسالة تطورت وارغم آخ الامر على ان يتزوجها .

كانت « آن » تكبره بثمانى سنوات وبعد ستة اشهر من زواجها وضعت صبية اسماها « سوزان » ولا ريب ان ه هو السبب الذى من اجله ارغم وليم عل الزواج .

على أن هذا الزواج كان نكبة على الشاعر ونعمة على الأدب الانكليزى خاصة والأدب العالمى عامة .

ذلك انه لو لم يتزوج « آن » هذه لما نزح إلى لندن ولما عرف تلك الفتاة ذات الشعر الناعم والحاجبين الاسودين التى جرعته الصاب والعلقم ، والتى من اجلها اخذ يخرج تلك الروائع الخالدات ، ينفث فيها سمه ، وينفس بها عن كربه .

لقد كان وليم ، كما اسلفنا لا يكف عن رمى شباكه هنا وهناك لاصطياد الكواعب ، وكانت « آن » زوجته شديدة الغيرة ، شكسة الطبع ، فكان الخلاف بينهما يتسع والحالة تزداد سوءاً يوماً بعد يوم .

إن غلمته العارمة ورعونته الهوجاء هما اللتان ورطتاه وقيدتاه بهذه الانشوطة فلا مناص له الآن إلا أن يقطع الحبل . لقد كان عليه أن يختار احد امرين ، إما ان يكون مخلصاً لطبيعته وفنه ، وإما ان يذعن لعرف المجتمع وواجبه ، فاختار الاول وفر إلى لندن ، ولقد عاد هذا الاختيار على العالم باكبر فائدة .

ولقد حاول الشاعر أن يعتذر عن هذه الزلة بهذا البيت :

« الحب طفل غرير ليس يدرى ما الضمير » .

لا نريد أن نقف طويلا لنتبع خطوات شكسبير فى لندن مخافة أن يطول بنا الكلام فيلهينا عما نحن بصدده . يقول الرواة إن اول عمل قام به الشاعر عند هبوطه على لندن هو إمساك الجياد عند ابواب المسرح مقابل جُعل ، ثم تدرج قليلا إلى أن اصبح ممثلا ومؤلفاً للمسرح .

يذهب « فرانك هارس » ، الناقد الانكليزى الشهير إلى أن حياة شكسبير فى لندن حتى سنة ١٥٩٧ ـ السنة التى تعرف فيها إلى « مارى فتون » ـ كانت سعيدة إلى حد ما على الرغم من هذه السحابة القاتمة المتغلغلة فى نفسه . لقد كان ، وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره اعظم شاعر ومؤلف للمسرح انجبه التاريخ ، وكانت أواصر الصداقة تربطه مع « الايرل اوف ساوثمتن » واللورد هربرت « بمبروك » ، وهما شابان ارستقراطيان عريقان فى المجد وهذان قرباه إلى القصر .

ومن طريف ما يذكر أن الملكة «اليزابيث» شاهدت مرة رواية « الملك هنرى الرابع » فاعجبت « بفلستاف » ، تلك الشخصية الجذابة المرحة ، فاوعزت إلى شكسبير رغبتها فى أن ترى « فولستاف » عاشقاً قد تيمه الحب . فنزولا على رغبتها اخرج شكسبير فى مدة لا تتجاوز الاسبوع مسرحيته « زوجات وندسور المرحات » فكان نصيبها الفشل ، ذلك لان الفن العالى لا يخضع للمؤثرات الخارجية ولا يصدر إلا من منبع واجد هو وحى الفنان !

والآن من هذه السيدة « مارى فتون » التى سيطرت على فؤاد الشاعر واضرمت فيه نار الحب ؟ إنها وصيفة الملكة « اليزابيث » ، فى التاسعة عشرة من عمرها ومن عائلة عريقة فى المجد . لقد وصفها شكسبير بانها امراة لا كالنساء ، فارعة القوام ، شاحبة اللون ، عيناها وحاجباها سوداوان ، غجرية الطبع ، متغطرسة ، متمردة ، خليعة ، من اروعة عريقة فى المجد وصاحبة مركز رفيع .

هذه هى المراة التى جن بها الشاعر ، فما هى صفات شكسبير ومؤهلاته حينذاك ؟

لقد كان فى الرابعة والثلاثين من عمره ، ضعيف البنية ، محطم الاعصاب ، خجولا ، فقيراً ، شاعراً . ولكن اغلبية الشعب فى ذلك العصر ، عصر البطولة الجسمية ، لم تكن تحفل بالشعر والشعراء ، وكانت تفضل مصارعة الديكة على اية تحفة فى الفن والادب .

لذلك لم يجد شكسبير من نفسه الشجاعة لبث هواه اللاعج لحبيبته بنفسه فرجا صديقه « اللورد هربرت » ان يقوم عنه بهذه المهمة فقبل ، ولكن « مارى فتون » تشبثت باللورد الشاب الوسيم وبادلها هو ايضاً الحب وخلفا الشاعر يندب الصداقة والوفاء .

على أن شكسبير لم تخمد جذوته بل زاد وجده ضراماً على مر الايام ، فما انفك يصب جام غضبه على العاشقين فى مسرحياته وقصائده ، يصرح حيناً ويلمح احياناً . ففى مسرحيته « جعجعة ولا طِحْن » يذكر الحادثة بصورة جلية على لسان « كلوديو » ناصحاً للعشاق ومحذراً لهم من الوقوع فيما وقع هو فيه إذ يقول : « حقاً إن الامير يبثها غرامه ويستهويها لنفسه . إن دعائم الصداقة تكون ثابتة متينة فى كل شىء ما عدا أمور الحب ، فنصيحتى للمحبين الا يتخذوا وسيطاً بينهم وبين من يحبون ، بل ليبثوا غرامهم بانفسهم ، ذلك لأن الجمال نوع من السحر لاتلبث الامانة أن تذوب امامه وتتلاشى » .

ولقد تشتد بالشاعر الازمة ويضيق « بمارى » ذرعه فيرعد ويزبد مهدداً إياها بانه سيهجوها اقذع الهجاء واقساه ، ولكن فاته أن امراة « كمارى فتون » ، التى كانت تلد نغلا بعد نغل دون ما حياء او خجل ، لا يهمها ما يكتب عنها بعد ما ذاع امرها بين الملا ، واغلب الظن انها كانت تقابل التهديد بشىء غير قليل من السخرية والاستخفاف .

إذا اردت أن تعرف راى شكسبير فى « مارى فتون » هذه فما عليك إلا ان تقرا مسرحيته « انطونيو وكليوباترة » فما « انطونيو » سوى « شكسبير » وما « كليوباترة » سوى « مارى » وإليك البيان .

« انطونيو » إن مكرها لا يكاد يتصوره عقل إنسان .

« انوبربس » : مهلا سيدى لا تقل هذا . إن عواطفها لمن انبل العواطف وإن حبها لصاف نقي لا تشوبه اية شائبة .

« انطونيو » : لكم وددت انى لم ارها قط .

« انوبربس » : ولكن تكون فى تلك الحالة يا سيدى قد فاتتك قطعة من الفن مدهشة ، وتصبح رحلتك بدونها جافة عقيمة .

بهذه الاسطر الوجيزة عبر لنا شكسبير عن رأيه فى « مارى فتون » . إنها شر لابد منه .

ثم يصيح على لسان « انطونيو » والحسرة تكاد تمزق احشاءه « إلى اين قادتنى مصر ؟ » .

إلى الهاوية ولا ريب .

كان ذلك فى ١٦٠٨ وكان قد مضى على تعرفه « بمارى فتون » إحدى عشرة سنة ، ذاق فى اثنائها الامرين ، فانطوى على نفسه ، واخذ يخرج تلك المآسى الرائعة ، حتى وهن جسمه ، وانهدمت اعصابه ، ونال منه الاعياء فانسحب إلى « ستراتفورد » ، مسقط راسه ، ليقضى ما تبقى من حياته القصيرة تحت عناية ابنته ورعايتها .

(بغداد) .

يوسف روشا
١٩٤٦

العلم هو المستقبل

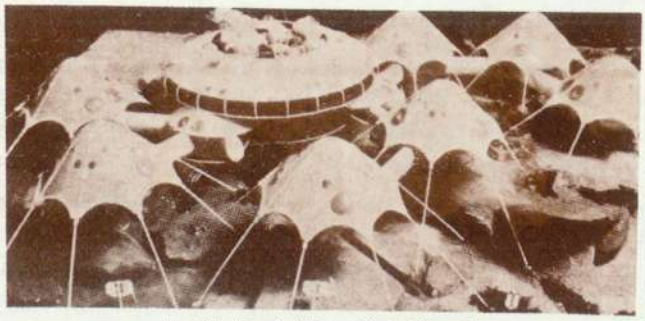
تقديم : لبنى الريدي

خياشيم اصطناعية

تستعد احدى الشركات الامريكية لانتاج خياشيم اصطناعية تتيح للانسان الحياة فى قاع البحار والمحيطات كما يحلو له ، فمهما طالت مدة بقائه هناك فلن يحتاج الى الصعود الى سطح الماء للتنفس .

فلقد استطاع احد الباحثين الامريكيين الحصول على نوع خاص من الاسفنج له خواص مدهشة ، فهو يتكون من خليط من الدم وبعض المركبات الكيمائية الاخرى ، وبفضل جزيئات الهيموجلوبين تستطيع هذه المادة الاسفنجية امتصاص الاكسجين من الوسط المحيط بها سواء كان هواء أو ماء كما يحدث خلال جدار الحويصلات الهوائية الرقيقة فى الانسان او خلال الخياشيم فى الاسماك .

ومن المتوقع أن يتم تصنيع اول نموذج



ماكيت للقرية التى ستقام فى قاع المحيط

من هذه المادة مع نهاية عام ١٩٨٤ ، ويتكون هذا النموذج من خزان مثل المستخدم حاليا فى الغوص ولكن الاسطوانات تحتوى فى هذه الحالة المادة البلاستيكية المحتوية على الهيموجلوبين والتى ستقوم بامتصاص الاكسجين من مياه المحيط بشكل مستمر ، بحيث يكفى خزان سعته ثلاثة امتار مكعبة لتغذية ١٥٠ شخصا اذا فكروا فى العيش فى مدينة فى قاع البحر ، وفى حالة نجاح جميع التجارب فسوف يتم تسويق هذا الجهاز خلال عام ١٩٨٥ .

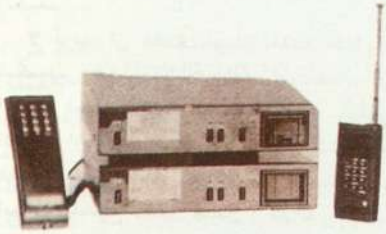
الألياف الضوئية وخلايا الكبد

تقدم الألياف الضوئية خدمة جديدة فى مجال الطب تضاف الى خدماتها السابقة ، فلقد ابتكر احد الأطباء جهازاً يقوم بتحليل حالة الأنسجة المختلفة فى جسم الانسان .

ويتكون هذا الجهاز من زوج من الألياف الضوئية متصلة معا من احد اطرافها بحيث تدخل الى الجسم من خلال فتحة متناهية الصغر لتصل الى النسيج المطلوب فحصه ، وعندئذ يحمل فرع من الألياف الضوئية اشعة فوق بنفسجية الى هذا النسيج فتثير خلاياه ويتولد ضوء فلورى ينقله الفرع الآخر من الألياف الضوئية الى جهاز خارجى لقياس شدة الضوء ، وتتوقف شدة الضوء على مدى كفاءة عمليات الهدم والبناء داخل الخلايا .

واتاحت التجارب الأولى التى اجريت على هذا الجهاز دراسة التلف الذى تحدثه الكحول لخلايا الكبد ، ولأول مرة يتم مثل هذا الفحص الدقيق لجميع خلايا الكبد ، ولقد اوضح هذا الجهاز أن درجة التلف ليست متساوية بالنسبة لجميع هذه الخلايا .

هاتف لاسلكي غير تقليدى





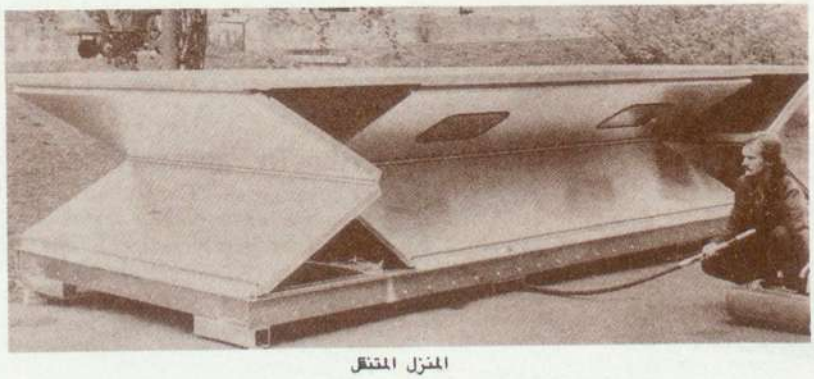
يمكن بواسطة هذا النوع الخاص من الهاتف اللاسلكى استقبال المكالمات الموجهة الى المنزل او المكتب فى السيارة ، إذ يثبت هوائى على سطح البناية الواقع فيها المنزل او المكتب بحيث يقوم باستقبال المكالمات الموجهة الى جهاز الهاتف المنزلى ويرسلها مرة اخرى فى اتجاه جهاز الاستقبال الموجود فى السيارة .

وعند إجراء اتصال هاتفى من السيارة فان الأرقام التى يتم تكوينها تنقل على الفور الى الهاتف المنزلى الذى يقوم بتنفيذ المكالمة وذلك لان جهاز الارسال الموجود فى السيارة متصل بازرار الهاتف .

ويستطيع هذا الجهاز العمل فى دائرة قطرها ٨٠ كيلومترا من موقع المنزل أو المكتب ، وهو يتميز عن الهاتف اللاسلكى التقليدى بانه اقتصادى فالمشترك لا يدفع رسوما على المكالمات التى يتلقاها كما يحدث بالنسبة للهاتف اللاسلكى التقليدى كما أن الاتصال بين المنزل والسيارة يتم مجانا لانه يمثل توصيله لنفس الرقم .

ويمكن توصيل الهاتف اللاسلكى بجهاز صغير يتيح للمشترك استقبال وارسال المكالمات من خارج السيارة فى دائرة قطرها ٦٠٠ متر ، ولذلك فان ثمن هذا الهاتف غير التقليدى ثمانية اضعاف ثمن الهاتف اللاسلكى العادى .

احمل منزلك فوق ظهرك



المنزل المتنقل

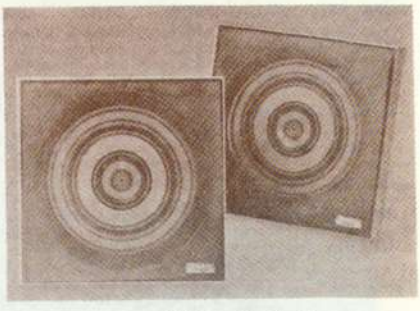
إن هذا البيت المتنقل الذى يمكن حمله الى اى مكان قابل للطى والفرد واقامته لا تستغرق سوى دقائق معدودات ، فهو يقوم بعمل الخيمة ولكنها خيمة من الالومنيوم .

ويبلغ ارتفاع جدرانه سبعة اقدام ونصف وهى معلقة بمفاصل بحيث تطوى الى الداخل ـ كما تبين الصورة ـ وعندئذ يتلامس سطح البناء مع ارضيته ويصبح مسطحاً تقريباً بحيث يسهل حمله او تخزينه .

ولاقامة هذا المنزل السويدى الصنع يتم نفخ اكياس الهواء المزود بهـا وذلك باستخدام مضخة هواء عادية ، وعندما تنتفخ الاكياس ترتفع الجدران تدريجيا حتى تصل الى نقطة معينة تقوم المفاصل عندها بتثبيتها فى الوضع الراسى .

وصنعت جدران هذا المنزل المتنقل من الواح الالومنيوم المعزول بحيث يناسب المناخ الحار والبارد على حد سواء ، وهو يصلح لاقامة معسكرات للعاملين فى مناطق العمل النائية فى قلب الصحراء او المخيمات فى حالات الطوارىء .. الخ .

مكبرات الصوت المزدوجة



مكبرات الصوت المزدوجة

توضع مكبرات الصوت الستريو عادة داخل خزائن اشبه بالصندوق لاعطاء النغمات الموسيقية العمق والانعكاس المطلوب،وهى سمات هامة خاصة بالنسبة للأنغام الخفيضة العميقة .

ولكن بعض مكبرات الصوت المتطورة تكون اقل سمكا بحيث تبدو وكانها مسطحة ولقد امكن تحقيق ذلك بفضل مجموعات من الدوائر الالكترونية التى تعمل كبديل للرنين الفضائى الذى يوفره الحيز الموجود فى المكبرات العادية .

ويقدم اليابانيون مكبرات صوت جديدة لا سمك لها بحيث يمكن تعليقها على الجدار ، ويرجع صغر حجم هذه المكبرات ورفعها الى تصميم جديد متحد المحور يجعل مخروط مكبر الترددات العالية فى منتصف الغشاء الخاص بمكبر الترددات المنخفضة .

ويحيط بهذا المكبر المزدوج هوائي مرسل غير فعال يعمل فقط على توجيه الصوت فى اتجاه واحد بحيث يمكن تعليق مكبر الصوت على الجدار دون أن يؤثر ذلك فى درجة نقاء الصوت .

جهاز إلكتروني لاكتشاف تسوس الأسنان

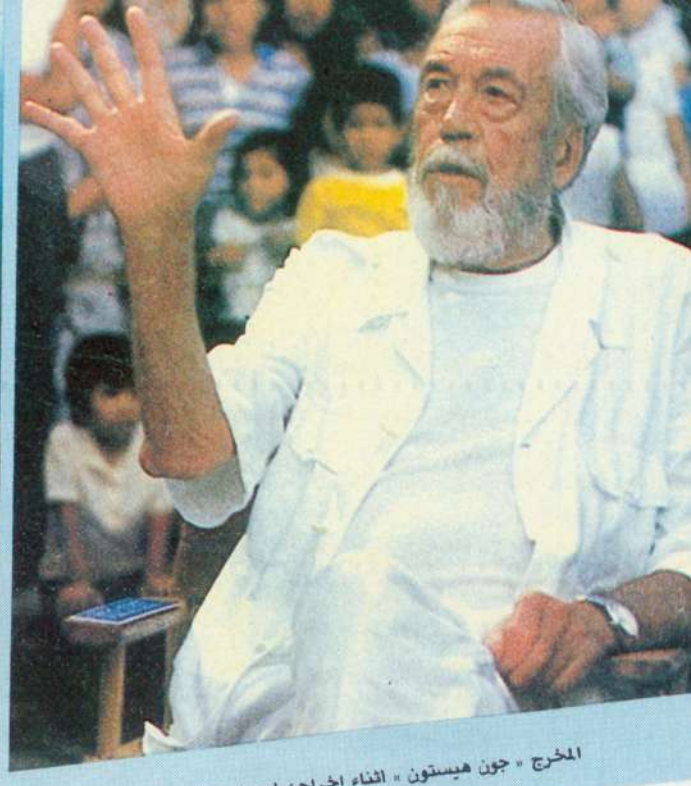


سوف يتمكن طبيب الاسنان من اكتشاف التسوس فى مراحله الاولى قبل ان تحدث البكتريا اى تخريب للسن حتى يمكن علاجها دون اللجوء الى حفر الاسـنان وحشوها ، ولتحقيق ذلك صمم الباحثون الامريكيون جهاز رصد الكترونى يستطيع اكتشاف اى ضعف مهما كان بسيطا فى طبقة المينا التى تحمى الاسنان .

ويشبه هـذا الجهـاز الاداة التى يستخدمها الطبيب عادة لفحص مينا الاسنان بحثا عن اى مظاهر للتسوس إذ أن الجهاز الجديد يقوم بتوليد تيار كهربى ضعيف عند وضع طرفه على سطح الأسنان فاذا كانت الاسنان سليمة فان طبقة المينا تعمل كطبقة عازلة وتقاوم مرور التيار،اما اذا كانت تعانى من اى درجة من درجات التحلل او الضعف فسوف تسمح للتيار بالمرور وفي هذه الحالة فان قيمة فرق الجهد ستظهر على شاشة صغيرة متصلة بالجهاز .

وتتميز هذه الطريقة عن غيرها بانهـا تستطيع اكتشاف تسوس الاسنان قبل حدوثه فعلياً،وذلك فى مرحلة ضعف طبقة المينا،وهى بمثابة المرحلة الاولية التى تؤدى الى حدوث التسوس ، ومن ثم يمكن اتخاذ تدابير وقائية لحماية الاسنان قبل استخدام الفلوريدات او طبقة واقيه تساعد المينا على استعادة صلابتهـا بـدلا من الاضطرار الى اللجوء الى الحفر لازالة منطقة التسوس،ثم حشو الجزء المحفور بعد ذلك .

ويعتبر هذا الجهاز الذى لا يسبب اى الم حلا سعيداً لمن يخشى الذهاب الى طبيب الاسنان خاصة من الاطفال .



المخرج « جون هيستون » اثناء اخراجه احدث افلامه فى المكسيك



الطفلة التى اختارها جون هيستون لتلعب بطولة فيلم «انى» ولتصبح حديث العالم

سينما

بقلم رءوف توفيق

عمره ٧٨ عامًا.. ومازال يصنع الأفلام

العجوز.. والسينما

بالتاكيد .. إنه لشيء مثير للدهشة والتامل .. عندما ترى رجلا يقترب من عامه الثامن والسبعين ، يقود كتيبة من الفنانين والفنيين ، ليصنع عالما من الحركة والانفعالات والالوان ويقدم لنا فيلما ..

انه المخرج الامريكى « جون هيستون » ، الذى يعرفه تاريخ السينما ، واحداً من جيل العباقرة فى الفن .. كاتباً وممثلا ومخرجاً .. ممتلئاً بالحيوية والتمرد .. عرف اقصى درجات النجاح ، وايضاً اقصى درجات الفشل .. ولكنه دائماً كحصان منطلق .. لا يعترف بتقدم العمر ، فالسكون بالنسبة له هو الموت ! .







.. الأولى لأطفال الملجىء الذين ملأوا الشاشة بالحيوية والمرح والرقص والغناء .. والثانية للممثلة « جاكلين بيسيه » أثناء تصوير فيلم « تحت البركان » .. والثالثة للممثل « البرت فيني » وقد حلق شعره ليجسد الدور فى فيلم « انى »

ومن فرط شخصيته الأسطورية ، انشغل به عدد كبير من الكتاب والنقاد لاصدار الكتب عنه ، حتى انه كان مع كل فيلم يخرجه ، يظهر كتاب عن اسلوبه فى اخراج ذلك الفيلم وكيفية تعامله مع الممثلين !

ولم تنضب القصص والروايات عنه ، لانه دائما متجدد ، مثير للجدل .. يملك قدراً هائلا من السخرية والتحدى والتناقضات .. عمل معه فى افلامه عدد كبير من المع نجوم السينما الامريكية .. وتنوعت افلامه من المغامرات ، إلى الأفلام الاجتماعية ، الى الأفلام التاريخية ، وحتى الأفلام الاستعراضية !

فمنذ ثلاثة اعوام ، فاجا السينما بفيلمه الاستعراضى « انى » التى لعبت بطولته طفلة عمرها عشرة اعوام .. طفلة مجهولة اختارها من بين مئات الأطفال ، لتصبح بعد هذا الفيلم حديث العالم كله ، تلاحقها عدسات المصورين وشبكات التليفزيون فى اوربا وامريكا والشرق الاقصى ..

اما هو – المخرج جون هيستون – فقد انتهى من ذلك الفيلم .. وبدا يفكر فى مشروعه التالى ، فهو دائما عنده مشروعات للمستقبل ، غير معترف بسنوات الكهولة التى يخوض فيها !

تحت البركان

ومنذ اسابيع قليلة ، انتهى هذا المخرج العجوز من تصوير احدث افلامه « تحت البركان » .. وتم التصوير فى المكسيك ، ذلك المكان الذى يعشقه ويحمل له العديد من الذكريات الحلوة منذ كان شابا فى العشرينات من عمره ..

ها هو الآن يقترب من الثامنة والسبعين ويعود الى نفس الأرض ، ويختار رواية ماخوذة عن اسطورة مكسيكية للروائى « مالكولم لورى » .

ويقول المخرج « جون هيستون » عن هذه الرواية ، « لست انا الذى لاحقت رواية « تحت البركان » ، بل هى التى لاحقتنى لعدة سنوات .. فقد قرات الرواية وتاثرت بها جداً .. فانا اعرف الكثير عن المكسيك وعن شعبها .. وظلت هذه الرواية تطاردنى كلما فكرت فى فيلم جديد .. وتلقيت عدة سيناريوهات تعالج هذه الرواية ، ولكن لم ينجح احد منها فى اعطائى الانطباع الذى خرجت به من قراءتى للرواية .. واخيراً عثرت على سيناريو كتبه شاب فى الثامنة والعشرين من عمره .. وكانت هذه اول مرة يكتب فيها للسينما .. وقد كتب هذا السيناريو كنوع من التدريب العملى لدراسة السينما فى جامعة « يل » الامريكية .. وامسكت بهذا السيناريو وقررت ان احوله الى فيلم » .

وربما هذا الموقف للمخرج « جون هيوستون » يوضح لنا احد معالم شخصيته الباحثة دائما عن الجديد والغريب ، فهو رغم عمره الفنى الطويل ، واحتكاكه الهائل بعدد من كبار الروائيين وكتاب السيناريو (من بين الذين كتبوا سيناريوهات افلامه : ارثر ميللر – ترومان كابوت – راى برادبورى – رومان جارى) .

رغم هذا الرصيد والخبرة ، فانه يلجا الى شاب حديث التخرج « جيى جالو . ليكتب له اخر افلامه ، وكانه يجدد شبابه الفنى ، ويدفع مزيداً من الحيوية الى افكاره ورؤيته السينمائية . !



الأب والابن يهنىء احدهما الآخر بجائزة الاوسكار عام ١٩٤٩



لقطة من فيلم كوكب القرود ، حيث ظهر جون هيستون متنكرا فى وجه قرد عجوز

سينما

العجوز.. والسينما

تلك الفوضى اللذيذة

ورواية « تحت البركان » تغطى احداثها نهار يوم كامل بين المقابر المكسيكية .. وتحكى عن الفشل فى الحب ..

ويلعب بطولة الفيلم « البرت فينى » و « جاكلين بيسيه » التى كان قد اكتشفها وعمرها ١٨ عاماً .. وها هى الآن بعد رحلتها فى العديد من الأفلام تقول : « ان بدايتى الحقيقية ستكون مع هـذا الفيلم .. ومع هذا المخرج العملاق .. وبالرغم من ان دورى لا يتعدى دقائق معـــدودة من الفيلم » !

اما الممثل « البرت فينى » فهو يعود ليمثل من جديد أمام المخرج « جـــون هيستون » بعد ان قدمه بنجاح فى فيلم « أنى » .. يلعب شخصية المليونير الامريكى الاصلع الذى يعيش فى قصر فاخر فسيح ، يتحرك كل شىء فيه بنظام جاف ، حتى تدخل حياته هـــذه الطفلة الصغيرة « أنى » مع كلبها الابيض .. لينقلب كل شىء على عقب .. وتخلق الطفلة جواً من المرح والسعادة والفوضى اللذيذة .. ويرن صوتها الطفولى داخل الجدران الباردة ، فيشع الدفء .. ويكتشف المليونير الامريكى المتحجر الوجه ، انه لم يعد يطيق الحياة بدونها ..

القصة تقليدية .. ولكن المخرج « جون هيستون » استطاع ان يملأ الشاشـــــة العريضة .. بالحركة والاستعراضـــات التى قام الأطفال بالجانب الأكبر منها ..

اقتحام الخوف

وقد كان غريباً ان يسيطر المخرج العجوز على مجموعة من الأطفال ليستخرج منهم كل هذا التدفق والانسجام والجمال ، ولكنه كان كمن يريد ان يعوض فترة طفولته القاسية المحرومة من الحب والحنان ..

فقد حدث الطلاق بين والديه عندما كان فى الثالثة من عمره .. وعاش الطفل مشرداً بينهما .. الأب ممثل مسرحى جذبه الفن ليتخلى عن وظيفته كمهندس مسئول عن الطاقة والكهرباء .. ويحاول ان يجد له دوراً على المسرح ممثلا أو مغنياً .

اما الأم فقد كانت ثرية .. وصحفية ..

وعن هذه الفترة يحكى «جون هيستون» قائلا :

« سافرت كثيراً مع كل من والدى .. تنقلت بين قضاء الليل داخل اكياس مليئـــة بالحشرات مع أبى ، الى الفنادق الفخمة مع والدتى .. » !

وفى سن الثانية عشرة ، اثناء اقامته فى مدرسة خاصة ، اصيب بمرض خطير ، وشخص المرض بانه تضخم فى القلب ، وفشل فى الكلى ، ووضعته امه داخل مصحة خاصة .

وروى جون هيستون لمجلة « لايف » ، ان هذه الفترة شهدت نقطة تحول فى حياته ، فقد تحول فى المصحة الى طفل خجول خائف..وفى احدى الليالى اراد ان يختبر خوفه .. وحينما استغرق الجميع فى النوم .. ترك فراشه .. وخلع ملابسه وهرع الى مجرى مياه كان يمر فى منطقة المصحة .. وبلا أى تردد قفز فى المياه وترك نفسه للتيار يجرفه الى مسقط مائى حجرى منحدر انحداراً شديداً .. وحينما خرج من الماء وتبين انه مازال حياً .. كرر القفزة الى الماء وفوق المسقط !

يقول هيســتون عن هذه التجربة « لقد ايقنت بالغريزة أن الخوف هو العدو الذى يجب أن اقهره » !

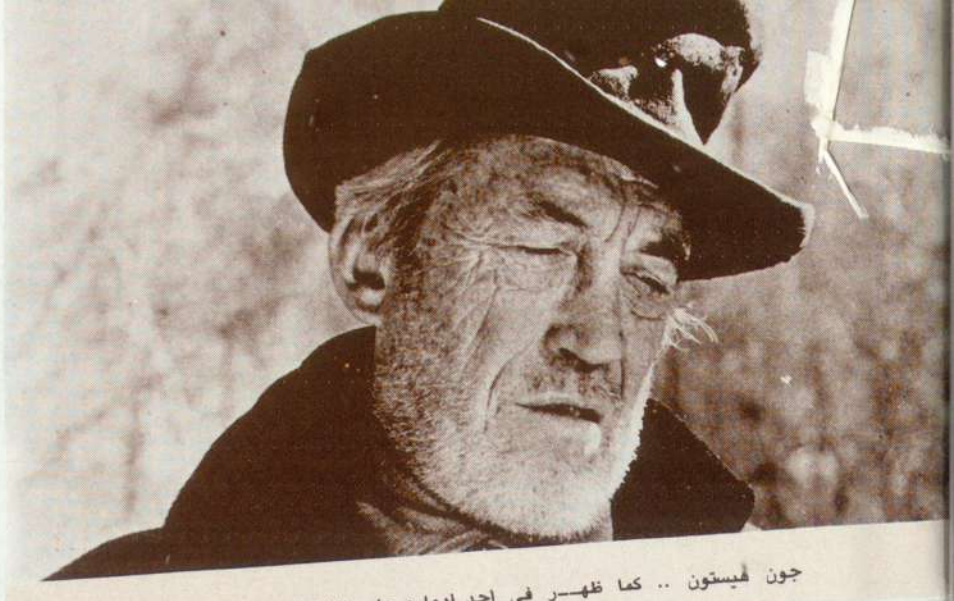
واكتشفت ادارة المصحة ، ما يفعله الصبى كل ليلة بالقفز فى الماء ، واعادوا فحصه طبياً من جديد ، وقرروا انه لم يعد مريضاً .

ويعلق محرر مجلة « لايف » على هذه الحادثة بقوله : « إن الملامح التى تكشف عنها هذه الواقعة ، تعتبر من الملامح الأساسية والدائمة فى شخصية جـــون هيستون .. ان المغامرة ـ التى قد تصـــل الى التهور ـ هى ردود فعل حقيقية فيه .. والحركة واستخدام الحاضر الملموس باكبر قدر من الحيوية .. كانا طريقه الى خلاص الروح .. وبقيا عنده عادة دائمة » !

ساحر السينما

ومن اجمل وامتع الكتب التى صدرت عن حياة هذا المخرج .. ذلك الكتاب الذى اختاره الناقد المصرى المعروف « فوزى سليمان » وترجمه الى العربية بعنـوان « جون هيستون .. ساحر السينما » .. والكتاب من تاليف « ستيورات كامينسكى » الاستاذ المساعد لمادة السينما بجامعـــة « ايفا نستون » بولاية « الينوى » الامريكية والذى قدم دراسة شاملة لحياة هذا المخرج واهم افلامه ، واحتفظت الترجمة العربية (التى صدرت عن مطبوعـــات كتابى القاهرية) بجاذبية المادة وسلاستها .. ومما اعطى للترجمة هذه الروح ، انها جاءت من عاشق للسينما ، يعيش اغلب ايامه بين الأفلام متنقلا بين المهرجانات العالمية .. يرى ويقرأ ويحلل ..

واعترف اننى عشت ساعات ممتعة مع هذا الكتاب الذى يقع فى اكثر من ثلاثمائة صفحة .. ليس فقط متتبعاً لعالم هذا المخرج العبقرى الغريب الأطـوار .. ولكن نقلنى الكتاب الى الكواليس الخفية لصناعة السينما بكل ما فيها من سحر وفن وحياة .. وتجارة ونقود .. ونجاح وفشل ..



جون هيستون .. كما ظهـر في احد ادواره علي الشاشـة

تجربة أول اخراج

ويفسر الكتاب شخصية هذا المخرج ، باته جمع بين التمثيل - مهنة والده - والكتـابة - مهنـة والدتـه - ليجد نجاحه الاكبر فى مهنة تجمع بين الاثنين وهى الاخراج ..

وفى عام ١٩٤١ اصبح جون هيستون مخرجاً سينمائياً معترفاً به من خلال فيلم « الصقر المالطى » الذى اشترك ايضا فى كتابة السيناريو له ، عن رواية للكاتب البوليسى « داشيل هاميت » .. ولعب بطولة الفيلم « همفرى بوجارت » .. وحقق الفيلم نجاحاً ساحقا ورشح لجائزة اوسكار احسن فيلم .. وبهذا النجاح الاول بدات شهرة « جون هيستون » كمخرج ، بعد ان خاض لثلاث سنوات سابقة تجربـة كتـابة السيناريو لافلام مخرجين غيره ..

وعن تجربة أول اخراج يتذكر جـون هيستون فيقول : « لقد قمت بعمل رسوم عن كل مشهد فى الفيلم .. اردت ان اكون واثقا من نفسى واننى لن اتخبط بين آليات الفيلم » .

وكتبت الممثلة مارى أستور فى كتابها « حياة فى فيلم » انها عندما اشتركت فى فيلم « الصقر المالطى » فوجئت بالمخرج جون هيستون يخطط لكل لقطة بدقة .. ويقوم بتدريب الممثلين على المشهد ثم يصوره فى أقل عدد من مرات التصوير .

أما الممثل « همفرى بوجارت » فقد اطلق على « جون هيستون » لقب « الوحش » وعلق بقوله : « لقد احببت العمل مع جون .. إن الوحش يدفعنى للعمل . فعقله يختلف عن العقل التقليدى وغير متقوقع على ذاته .. إنه ذكى .. ولا يمكن التنبؤ بما سيفعله .. ولهذا فعندما اعمل معه فاننى لا افكر فى اننى ممثل » ..

وقد عمل همفرى بوجارت مع جـون هيستون بعد ذلك فى ست افلام .. ورشح لعدة مرات لجوائز اوسكار عن احسن ممثل فى هذه الافلام .. ولكنه فى عام ١٩٥٢ فاز بالجائزة عن دوره فى فيلم « الملكة الافريقية » الذى اخرجه هيستون .

هو .. والممثلون

ومن ابرز النجوم الذين عملوا مـع هيستون .. نجد كلارك جيبل - كاترين هيبورن - مارلين مونرو - بول نيومان - ريتشارد بيرتون - ديبورا كير - آفا جاردنر - مونتجمرى كليفت - جون واين - بيتى دافيز - بيرت لانكستر ..

قائمة طويلة من المع نجوم السينما الامريكية .. ينضم إليهم والده الممثل والتر هيستون الذى عمل معه فى عدة افلام ليجلب الحظ لابنه على حد قوله .. بينما علق الابن « جون هيستون » قائلا : « اعتقد اننى الوحيد فى تاريخ السينما الذى قـام بالاخراج لنفسه ولوالده ولابنته » !

ونجح الاب فى التمثيل ، بل فاز بجائزة اوسكار كاحسن ممثل مساعد فى فيـلم « كنز سييرا مادرى » الذى اخرجه ابنه وفاز عنه باوسكار احسن مخرج عام ١٩٤٩ .

ولم تنجح الابنة فى التمثيل ، بينما فاقت شهرة جون هيستون كممثل ، شهرته كمخرج ..

وقد ظهر « جون هيستون » كممثل فى فيلم « الكاردينال » للمخرج « اوتو بريمنجر » - عام ٦٢ - وبعدها انطلق فى عالم التمثيل سواء فى افلام اخرجها هو او مخرجون غيره .. وتميز بقامته الطويلة وقدرته على التنكر .. فهو الممثل القادر على تقمص الشخصيات المتميزة ، بملامحه المعبرة ، وصوته العميق .

وهو يقول عن تجربته كممثل : « من المفيد لنفسية المخرج ان يكون بين فترة واخرى على الجانب الآخر من الكاميرا » !

فى الأماكن الطبيعية

ومن اهم صفات « جون هيسـتون » كمخرج انه يترك الحرية للممثل لكى يتصرف كما يريد فى حدود الشخصية التى يلعبها .. وان كان يؤمن بان الممثل لابد وان يتقمص الشخصية تماما ، ويخوض مثلها كل التجارب والصعاب ، حتى يبدو منطقيا امام المتفرجين .

ولهذا اصبح معروفا عنه كمخرج ، ان ما من ممثل اشترك معه فى فيلم الا واصيب بجراح وكدمات وكسور فى ضلوعه .. ! .. فهو يصور افلامه فى الاماكن الطبيعية بين الجبال والغابات والمحيطات .. وتنقـل بممثليه من افريقيا الى اوربا وآسيا وامريكا اللاتينية ..

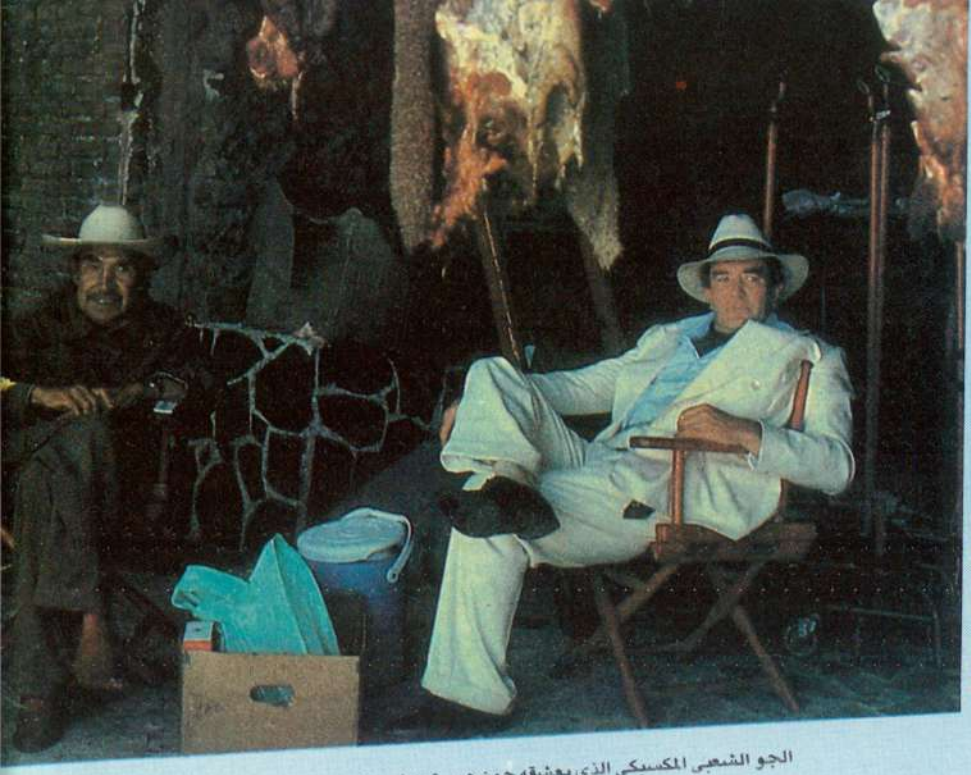
وتحكى فصول كتاب « ساحر السينما » عن اغرب الحوادث التى تعرض لها الممثلون اثناء تصوير افلامه ، ففى فيلم الملكة الافريقية الذى تم تصويره فى الكونغو واوغندا .. اختار المخرج مكانا بين الاحراش البدائية .. ودفـع بممثـله « همفرى بوجارت » ان يخوض فى مياه بحيرة راكدة ، ليخرج وقد غطته الديدان الماصة وهو يرتجف بشدة .. وقد ادى بوجارت هذا المشهد كما هو مطلوب منه بالضبط .. وكان احد الاسباب التى ساعدت لان يفوز باوسكار احسن ممثل عن دوره هذا ..

وفى نفس الفيلم ، لقي فريق الفنيين فى الفيلم متاعب كثيرة سواء بالمرض او من هجوم النمل ، او من السقوط فى النهر المليء بالديدان والتماسيح .. ورغم طول فترة التصوير وزيادة النفقات وتوالى حالات المرض بين الممثلين والفنيين ، اصر « جون هيستون » على رايه الذى اعلنه « ان الهدف من تصوير الفيلم فى موقع الاحداث .. ان الممثلين اذا عاشوا وسط محيط معين فانهم سوف يتاثرون به .. وسينعكس هذا على ادائهم لادوارهم » .

وكرر المخرج « هيستون » نفس التجربة فى فيلم « موبى ديك » - عام ٥٦ - والذى لعب بطولته جريجورى بيك .. واورسون ويلز .. وتم تصوير الفيلم فى مدينـة ايرلندية صغيرة تقع على البحر .. واعيد تصميم واجهة المدينة باكملها حتى تبدو مثل ميناء « نيو بدفورد » فى عـام ١٨٤٠ حيث تقع احداث الفيلم .. وقد ازال المخرج



« جاكلين بيسيه » و « البرت فيني » في لقطة من فيلم « تحت البركان »



الجو الشعبي المكسيكي الذي يعشقه جون هيستون في آخر لقطات فيلمه الجديد

سينما

العجوز.. والسينما

أسلاك التليفون .. وقام بالتصوير على ظهر سفينة قديمة .. وتسببت مخاطر التصوير في البحر في تعطل العمل عدة مرات عندما اصيب الممثل ريتشارد بيسمارت بثلاثة كسور في عظام قدمه اثناء قفزه الى احد قوارب صيد الحيتان .. كما اصيب جريجوري بيك في ركبته بسبب الكوبرى المبنى لتثبيت ساقه الخشبية .. واصيب ممثل آخر بانزلاق غضروفي والتهاب رئوى بسبب برودة الجو .

ويتذكر « هيستون » هذه التجربة فيقول : « كدنا نفقد السفينة ثلاث مرات .. وبالتاكيد كان في امكاننا ان نصور في الاستوديو ، ولكن ليس من الممكن مقارنة شيء بثورة عاصفة حقيقية في البحر .. » !

وفي فيلم « جذور السماء » عن رواية « رومان جاري » .. عاد المخرج جون هيستون ليصور احداث فيلمه على ارض افريقيا عام ٥٨ .. واختار افريقيا الاستوائية (حتى تبدو الالوان حقيقية على الشاشة .. وتاثير الجو الحار الرطب على الشخصيات) .. وتوالت حوادث المرض بين الممثلين والفنيين .. حتى بلغت في مجموعها تسعمائة حالة بعد انتهاء التصوير !! .. وطبقاً لما ذكره منتج الفيلم « زانوك » في كتاب « لا تقل نعم حتى انتهى من الكلام » !

« كان وجه الممثل تريفور هوارد يتحول بصفة دائمة الى حمرة البنجر بسبب الحرارة ، ولذلك كانت تجرى له عمليات (الماكياج) كثيراً حتى يبدو وجهه طبيعياً .. ولاجل خدمة المرض قامت طائرات برحلات منتظمة بين الموقع وباريس » .

هو .. والخيول

اما عن سر ارتباط المخرج « هيستون » بالمكسيك .. فيشرحه كتاب «ساحر السينما» بان « هيستون » في شبابه بدأ يهوى ركوب الخيل .. ولما اكتشف ان هذه الهواية تكلفه كثيراً .. قرر ان يلتحق بالجيش المكسيكي .. ليركب الخيول مجانا .. وبعد عامين من التحاقه كان قد تعلم الاسبانية واصبح فارساً متمرساً .. وزاد حبه للمكسيك ..

وتوالت الخيول في افلامه .. ولعل اشهرها فيلم « غير المتكيفين مع المجتمع» الذي كتب له السيناريو « ارثر ميللر » ولعب بطولته مارلين مونرو وكلارك جيبل ومونتجمري كليفت وايلي والاش » ويتعرض موضوع الفيلم لرجال مهمتهم اصطياد الخيول البرية لبيع لحومها لاطعام الكلاب ..

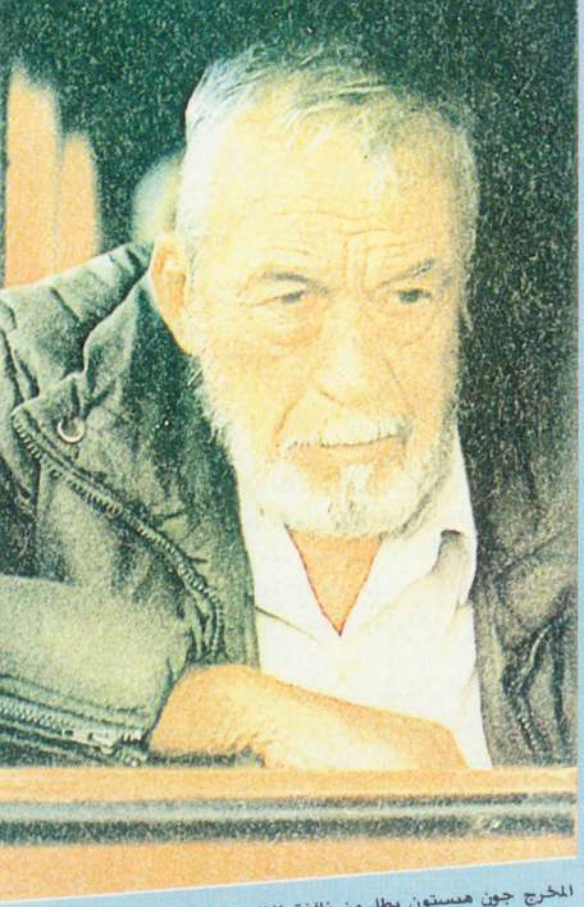
وقد بدأ تصوير هذا الفيلم عام ٦٠ وبميزانية قدرها اربعة ملايين دولار .. وقد تم تصوير الفيلم بالابيض والاسود لاعطاء الاحساس بقتامة الموضوع وجفافه ، وابدى المخرج « هيستون » حماسه الشديد للفيلم بقوله : « انه عن ناس يبيعون عملهم ولكنهم لا يبيعون انفسهم .. انه فيلم عن عالم متغير .. فقد كان هناك معنى لحياتنا قبل الحرب العالمية الثانية .. ولكننا فقدنا المعنى الآن ، واصبح المجتمع يطعم الكلاب لحوم الخيل » !

الماضي الجميل

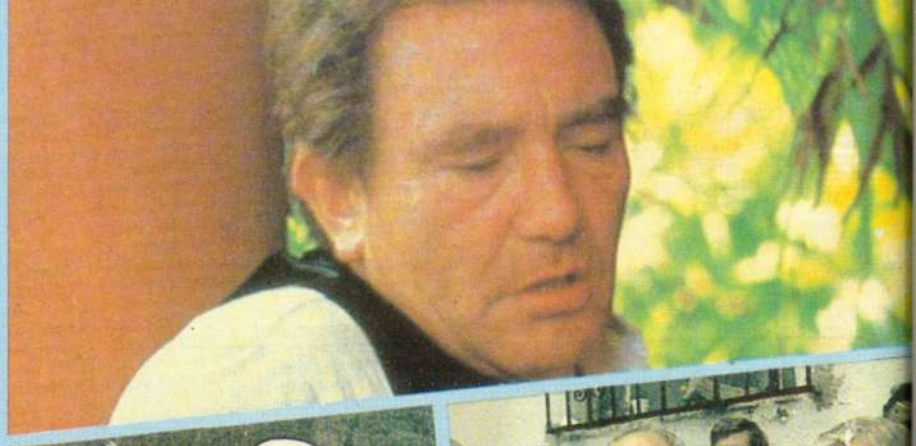
ورغم طبيعة المخرج « هيستون » المتدفقة بالحيوية ، إلا ان افلامه ترتبط بالماضي اكثر مما ترتبط بالحاضر او المستقبل ، وهناك موضوع يتكرر في اغلب افلامه ، عن مجموعة من البشر في رحلة او مهمة ويواجهون الفشل او الموت ..

وعندما اخرج « هيستون » فيلم « الطاحونة الحمراء » ـ عام ٥٣ ـ عن قصة حياة الرسام الفرنسي لوتريك ، قال الكثير من النقاد ان هناك تشابهاً واضحاً بين حياة هيستون وحياة لوتريك .

وعندما تحمس بشدة لاخراج فيلم عن السنوات الاخيرة من حياة « فرويد » .. ولعب مونتجمري كليفت آخر ادواره على الشاشة في هذا الفيلم .. لم ينجح الفيلم



المخرج جون هيستون يطل من نافذة اثناء اخراجه احـــدث افلامه في للكسيك ، وكأنه يطل على رحلة عمر استمرت ٧٨ عاما







الممثل «البرت فيني» في اخر ادواره امام المخرج «جون هيستون» في فيلم تحت البركان .. ثم لقطتان اثناء تصوير الفيلم في للكسيك

تجاريا .. وعلق هيستون بحزن « ان فرويد كان سابقا لعصره .. ويبدو اني عندي موهبة اخراج افلام إما سابقة او متاخرة عن عصرها .. وكل منها اسوأ من الآخر » !

التناقض وشهية المؤلفين

وفي عام ١٩٦٤ اعطى له المنتج الايطالي « دي لورنتس » فرصة ذهبية باخراج الفيلم الضخم « الانجيل » .. وحقق الفيلم نجاحـــاً تجاريا وفنيـــاً .. ولكن « هيستون » ارتضى بعدها ان يخرج ويمثل ربع فيلم عن جيمس بوند « كازينو رويال » .

منتهي التناقض .. ولكنها الرغبة في ان يظل على قيد الحياة .. ومواصلة العمل .. واعتبار النجاح او الفشل دافعا للاستمرار .. والتنوع !

ولهذا توقف امامه الكثيرون من الكتاب والنقاد يحاولون رصد اتجاهاته .. وتنوعت الكتب عنه .. واستوحى بعضهم تحليل شخصيته في اعمال روائية .. فظهرت مثلا رواية بعنوان « صياد ابيض ذو قلب اسود» يعكس مؤلفها « بيتر فيرتل » رؤية لهيستون اثناء اخراجه فيلم « الملكة الافريقية » .

وظهرت رواية بعنوان « القتل المجنون » اثناء اخراجه لفيلم « موبى ديك » .. وعن نفس الفيلم ظهر كتـاب آخر عنه بعنوان « يعيش وكانه لورد » !

الفيلم الممنوع

ولكن اهم مفاجات ذلك المخرج العبقري .. هذا الفيلم التسجيلي الذي اخرجه عام ١٩٤٥ ومنع من العرض بامر من وزارة الدفاع الأمريكية حتى تم الافراج عن الفيلم عام ١٩٨١

وقد اتيحت لي فرصة مشاهدة العرض الأول للفيلم من خلال مهرجان كان ١٩٨١ وكانت الدهشة بالغة من المستوى الفني المتقدم الذي حققه هذا المخرج منذ ستة وثلاثين عاما .. وبدا الفيلم وكانه احدث انتاج سينمائي ..

فقد استخدم المخرج « هيستون » الكاميرات الدقيقة السرية ليسجل رحلة الجنود الأمريكيين اثناء الحرب العالمية الثانية ، داخل أحد المستشفيات الأمريكية العسكرية .. ليتم اختبارهم وعلاجهم من صدمات الحرب .. منهم من فقد السمع والبصر .. ومنهم من اصابتهم الارتعاشة الدائمة او عدم القدرة على الحركة .. او النوم .. واحساسهم الدائم بالفزع .

عنوان الفيلم « ليكن هناك ضوء » .. والضوء الحقيقي الذي يقدمه هذا الفيلم التسجيلي .. هو عودة هؤلاء الجنود الى حالاتهم الطبيعية بعد علاجهم الطويل والشاق ..

وقد كان واضحا ان وزارة الدفاع الأمريكية قد منعت هذا الفيلم طوال تلك السنين ، حتى لا يوثر الفيلم على نفسية الجنود في الجيش الامريكي .. الى هذه الدرجة كان الفيلم صادقا وقاسيا .

الذي يهزم الرجال ؟

لقد سالوا مرة المخرج هيستون عن فلسفته في الحياة .. فهز راسه وقال بصوته العميق القوي « انني لا اعرف اني عندي فلسفة معينة ، ولكني لا اقوم ابدا بعمل اي شيء لا يدخل المتعة الى نفسي ، فما الذي يهزم معظم الرجال في الحياة ؟ .. من المحتمل ان يكون السبب هو انهم يصنعون تماثيل مزيفة لانفسهم ، ويحاولون الحصول على اشياء ليست لها قيمة » .

وهكذا يواصل هذا المخرج حياته .. ويقترب من الثامنة والسبعين وهو ما زال يعمل .. ويفكر لمشاريع للمستقبل !!

رءوف توفيق

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

أزمة كتابة .. أم أزمة أخلاق ؟!

لقد طالعت ما نشر في باب « رسائل الى المحرر » بالعدد ٩٧ من الدوحة تحت عنوان « اتهام » ، والذى يتضمن اتهاما ضدي صدر من الدكتور عبد الرحمن العيسوي - رئيس قسم التربية وعلم النفس بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - وادعى فيه بانني انقل من بحوثه ومؤلفاته وانشرها فى الصحف والمجلات باسمى !!

وارجو أن تاذنوا لي بالتامل فيما ينطوي عليه هذا الاتهام من ماساة اخلاقية ، ولاطرح عليكم بعض الحقائق ، واترك للمجلة وللقراء اصدار الاحكام ، « واثقا بالله وبضمائركم الحية وبانكم لن تخذلوا الحق ولن ترضوا بغيره بديلا مهما اختلفت مراكز الأفراد » :

اولا : الاستاذ الدكتور عبد الرحمن عيسوي هو شقيقى الاكبر ، وهناك خلاف عائلى حاد بيننا . وقد دفعه سخطه الشخصى الى مطاردتى بسيل جارف من الشكاوى الباطلة ، والادعاءات الكيدية فى كافة الجهات ، ومن بينها بعض المجلات العربية .. وهو يهدف من وراء ذلك كله الى تشويه سمعتي والنيل من مكانتي . ولان كل تلك الادعاءات باطلة وكاذبة فاني اتركه لله تعالى حيث قال جل شانه : « ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا » .

ثانيا : ان المتامل فى كتاباتي واتجاهى يدرك لاول وهلة ان هناك فرقا شاسعا بين اسلوبى واسلوبه ، فانا اكتب مدعما العلم بالطابع الاسلامى ، ومعظم مقالاتى لا تخلو من الشواهد الدينية بينما تخلو مقالاته من كل ذلك . فمنهجه هو المنهج الفلسفي البحت .

ثالثا : لنفترض جدلا باننى اخذت مقالاته ونشرتها باسمى ، فلماذا لم يرسل لكم النصوص المنقول عنها حتى تكون دليلا ماديا يثبت وقوع الاتهام ضدي ، وهذا ما اتحداه ان يفعله ! !

رابعا : لقد سبق ان ارسلت لكم صورة من ردي على رسالة مجلة « منار الاسلام » وبها نماذج من مقالاتى ومقالات سيادته من اجل مقارنة الاسلوب ، وهذا دليل متواضع على صدق نواياي ، ولتلمسوا بانفسكم مدى الظلم الذى وقع علىّ .

خامسا : انني شقيقه الاصغر سنا وعلما ، وكان الجدير به أن يتقي الله فى صلة رحمه ، وان يترفع عن ايذائي وظلمي ، وليتذكر قول الله تعالى : « وعنت الوجوه للحي القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما » .

سادسا : كما ان هناك ميثاق شرف لامانة القلم ، فلابد أن يكون هناك ايضا ميثاق لامانة الاتهام ، وما دام هذا الميثاق غير معترف به من لدن الدكتور عبد الرحمن عيسوي فانني اخشى ان يلجا لاثارة حملات اخرى ضدي بعد ان فشلت حملته الحالية . لكننى واثق من تاييد الله لي . قال تعالى : « وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين » .. وقال سبحانه « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

سابعا : حسبي الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم .

محمد محمد عيسوي الفيومي
مصر - المحلة الكبرى

- من حق الدكتور عبد الرحمن عيسوي أن يرد على هذه الاتهامات التى لا ندرى مدى صحتها ، وبعد الرد المنتظر ليس امامنا إلا ان نغلق هذا الموضوع وندعو الله بالهداية للجميع وحسن المعاملة بينهم والخروج من هذه الدوائر الضيقة التى تضر بالثقافة والقارىء .

كتب إسلامية إلى غانا

تلقينا من الاخ علي الحسن بابا مدير جمعية الشباب الاسلامية للمنظمة الطلابية بمدينة اكرا عاصمة غانا الرسالة التالية :

نحن نتابع من هنا صدور مجلة الدوحة التى تحتوى على مواضيع جيدة تخدم جميع المهتمين بالقضايا الفكرية ، وبهذه المناسبة فاننا نرجو منكم تزويد الجمعية الاسلامية ببعض الكتب الدينية المتوفرة لديكم من اجل خدمة اخوانكم المسلمين الذين يتحرقون شوقا لمعرفة كافة الامور المتعلقة بديننا الاسلامى الحنيف ، حيث اننا نواجه صعوبات كثيرة فى الحصول عليها .

وفقكم الله وسدد خطاكم .

- ناسف لعدم تمكننا من تلبية طلبكم بصورة مباشرة ، ولكن يمكنكم الحصول على طلباتكم بالكتابة مباشرة الى : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية وعنوانها : ص . ب ٢٣٢ الدوحة دولة قطر وكذلك الى : ادارة إحياء التراث الاسلامى وعنوانها : ص . ب ٤٢٢ الدوحة دولة قطر .

ولكم اطيب تحياتنا .

لست مسحورًا بفن بيكاسو



عزيزى المحرر
تحية طيبة وبعد

اكتب هذه الكلمات من عمان التى جئتها فى زيارة قصيرة . لقيت هنا البارحة عدد الدوحة الاخير ، وهو فى العادة لا يصل إلى سورية الا متاخرا ووجدت فيه مقالى الاخير . منفذ الحروف سامحه الله حذف حرفا واحدا فعكس المعنى الذى قصدته . « قلت : للمسحورين بفن بيكاسو الذى ما سحرنى فى يوم من الايام » فحذف ما ، وجعلنى بذلك مسحورا بفن بيكاسو ! سامحه الله مرة اخرى .

للجميع تحياتى واطيب تمنياتى .

د . عبد السلام العجيلي

حول مقالات الشربجي !

سيان عندي انسان يسرق المال، وآخر يختلس نتاج غيره، كلاهما يستحقان العقاب، الأول لحماية المجتمع من الفساد، والثاني للحفاظ على أعمال المبدعين، ومجهوداتهم. ومجلة الدوحة التي تضم مختلف المقالات والمواضيع، غفلت عن أحد ادعياء الكتابة والبحث، والذي لا يتورع عن تلخيص قسم من كتاب، أو جمع فقرات من هنا وهناك وينسبها اليه دون ذكر المرجع.

وفي العدد رقم ٩٦ المؤرخ في ديسمبر ١٩٨٣ نشرت «الدوحة» مقالا بعنوان «ثروة نادرة من المخطوطات الاسلامية في ايطاليا» للمدعي وجيه الشربجي، والموضوع ماخوذ بتشويه من كتاب مخطوطات مكتبة الامبروزيانا بميلانو. وكان السيد الشوربجي قد نقل مقالة عن المخطوطات البلغارية من كتاب الدكتور عدنان درويش ومقالة عن قلعة دمشق من كتاب الدكتور عبد القادر الريحاوي، وهكذا المواضيع السابقة التي نشرتها الدوحة له.

نحن نامل من الدوحة ان تتحرى مصداقية ماينشر بها من مقالات حفاظا على مستواها، واحتراما لقرائها.

الدكتور علي المخلوف
اللاذقية ـ سوريا

ـ لقد تعددت رسائل الاتهام الموجهة ضد السيد وجيه الشربجي، وكنا قد طلبنا منه في شهر يناير الماضي ضمن باب «رسائل الى المحرر» ان يدفع الاتهامات عن نفسه، ولكنه لم يفعل ومازلنا ننتظر رده حتى يمكن حسم هذا الموضوع، وتحية للذين نبهونا الى هذه القضية وبخاصة الدكاترة الاجلاء: اسماعيل الحسن، سميح درويش، علي المخلوف، ونشكرهم علي اهتمامهم بالموضوع، وايضاحهم للحقيقة، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم.

كتب وصلتنا

تلقت المجلة مجموعة الكتب التالية من كرام قرائها:

● العرب وافريقيا.

ـ بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي. (٨٢٣ صفحة من الحجم الكبير).

اشتمل الكتاب على ستة عشر فصلا، وخمسة اقسام رئيسية هي: الخلفية التاريخية ـ التفاعل بين الاقطار العربية والدول الافريقية ـ افريقيا والصراع الاسرائيلي ـ ابعاد التعارف العربي الافريقي ـ مستقبل العلاقات العربية الافريقية.

تحية تقدير وثناء لمركز دراسات الوحدة العربية ومنتدى الفكر العربي .. ولكل الذين ساهموا في ابراز هذا الانجاز الفكري الهام.

● ماذا ناخذ بالمفاوضات ؟
تاليف وترجمة: ناهض منير الريس.
الناشر: الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين.

● دوائر في دفتر الزمن.
تاليف: سباعي احمد عثمان.
الناشر: نادي القصة السعودي

ملاحظة



نشرت مجلة «سيدتي» حديثا شيقا للاستاذ علي بن احمد الانصاري وزير العمل والشئون الاجتماعية في دولة قطر، اجراه معه الكاتب السعودي الكبير عبد الله الجفري .. وقد ورد في احد الابيات الشعرية «مراسم الكون تاثيث». والصواب (تاسيس) وكذلك في بيت شعري آخر يقول: في ذمة الحب لا في ذمة القدر .. والصواب: في ذمة الحب لا في ذمة اللاهي .. و «اللاهي» بمعنى الذي يلهو». وإننا إذ نشير إلى الخطاين ـ من واقع ملاحظة الأستاذ علي بن احمد الانصاري ـ فان ذلك لا يقلل من قيمة الحديث ومدى ما تركه في نفوس الكثيرين من عشاق الفكر والادب وتحياتنا للزميلة العزيزة «سيدتي» والكاتب الكبير عبد الله الجفري ..

«الدوحة»

عدلي فخري في حصار بيروت

قرات لاحد الكتاب بمجلة الدوحة ما يفهم منه الهجوم والاستهزاء بالفنان عدلي فخري.

لقد كنت احد المقاتلين الذين حالفهم الحظ، وسعدوا بوجود الاخ الفنان عدلي فخري بينهم ايام حصار بيروت. فغنوا معه، وتحمسوا معه، ونسوا ـ للحظات ـ انهم يواجهون وحدهم «عدوا مصمما على ابادتهم، لا هزيمتهم فقط» بينما كان الكثيرون من العرب يتفرجون على مباريات كاس العالم لكرة القدم !

ولمزيد من الايضاح لتساؤلات الكاتب اقول: لقد حضرت حفلتين لعدلي فخري، وكانتا في الضاحية الجنوبية من بيروت المحاصرة، الأولى بملجا مدرسة في الرويس على بعد حوالي ٣٠٠ م من مواقع الاسرائيليين، حيث غنى عدلي للمقاتلين الجرحى بالمستشفى الميداني المؤقت

والمرة الثانية التي سمعته فيها كانت في ملجا آخر بحارة حريك، قبالة بناية الجزيرة وكان الملجا مكونا من طابقين تحت الأرض، فلم نخف، ولم يخف المغني من «ثقوب الرصاص».

كلمة اخيرة نهمس بها في اذن ذلك الكاتب: ان المقاتلين الذين كانوا يدافعون عن الامة العربية في بيروت لم يموتوا كلهم ـ كما يتمنى لهم الحاقدون ـ فمازالت الاكثرية منهم تاكل وتنام وتناقش، وتقرا، وتتدرب، وتستعد لمواصلة النضال. وسوف تنتصر على اعدائها باذن الله تعالى.

الحر
مقاتل عربي ـ عدن



دوحة القراء



حاول أن تعرف

الصورة الأولى : كان شاعراً وفيلسوفاً وعالماً فلكياً ، ولكن أهم أعماله كلها اهتمامه بالطيران ، وقد غطى جسمه بالريش فى القرن التاسع الميلادى ، ومد له جناحين طار بهما فى الجو لمسافة بعيدة ثم سقط وأصيب فى ظهره .. من هو ؟



●●●●

الصورة الثانية : هذه الرقصة الشعبية القديمة من تراث دولة تقع فى جنوب شرق آسيا ، وتبلغ مساحتها ١٩٨٤٠٠ ميل مربع وعدد سكانها حوالى ٣٥ مليون نسمة .. هل يمكنك التعرف على اسم الدولة ؟

؟؟ مسابقة الدوحة ؟؟

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٧



الصورة الأولى : برج لندن
الفائز : متوسل المصطفى ـ المغرب
الفائز : سيف عبيد سيف ـ الامارات



الصورة الثانية : ابن البيطار
الفائز : السيد بدير ابراهيم ـ مصر
الفائز : محمود حسن محمد ـ الأردن

أشهر المساجد في العالم

● الجامع الأزهر فى مصر بنى عام ٩٧٠ م .
● الجامع الأموى فى دمشق بنى عام ٧٠٨ م .
● جامع الزيتونه فى تونس بنى عام ٧٣٢ م .
● جامع قرطبه فى الأندلس بنى عام ٧٨٥ م .
● جامع السلطان أحمد الأول فى استانبول بنى عام ١٦٠٩ م .
● جامع القرويين فى المغرب بنى عام ٨٥٩ م .
● جامع عمرو بن العاص فى مصر بنى عام ٦٤٢ م .

محمد أمين عيسوى ـ مصر

الأخ الحق



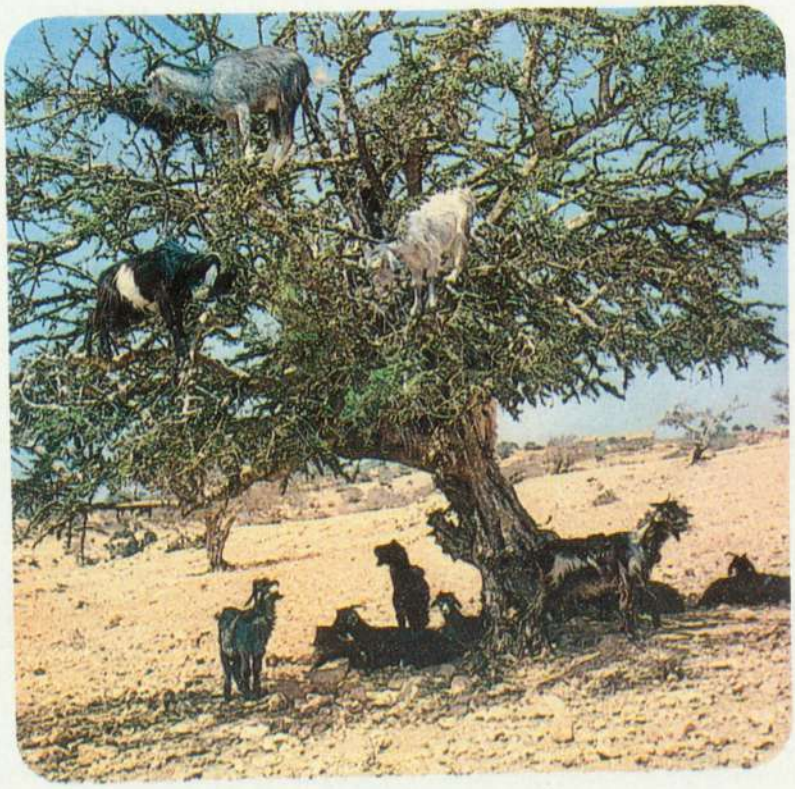
قيل لابن السماك : أي الأخوان أحق ببقاء المودة ؟ قال : الوافر دينه ، الوافي عقله الذى لا يملك على القرب ، ولا ينساك على البعد ، ان دنوت منه داناك ، وان بعدت عنه راعاك . وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك ، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله .

وأنشد فى هذا المعني :

ان أخاك الحق من يسعى معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت فيه شمله ليجمعك

هشام محمد الزميلي
عمان / الأردن

لقطة الشهر



للضرورة أحكام

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى
القارىء : الدرعى امنة ـ المغرب

عين الصقر



بما أن العين هي أول مصدر نطل به على العلم والمعرفة ، فالأمر كذلك عند الصقر ، فعيون الصقور أثارت جدلا علمياً كبيراً ، فلم يكن في استطاعة أحد تفسير قدرة الصقور على القنص والرؤية على مسافات بعيدة وارتفاعات شاهقة وتمييز فرائسها بدقة غير عادية أثناء الطيران وأثناء ثبات فرائسها في أماكنها وسط بيئة مضللة للرؤية الى حد بعيد ..!

وقد تمكن عالمان هما أ. و. سفايدر والدكتور و. هـ . ميللر من تشريح عين الصقر بأسلوب حديث تماماً ، فاكتشفا أن العين تملك عدسة خلفية مكبرة تقوم بالخطوة الأولى في ابصار الصقر للأشياء البعيدة قبل أن تسلم صورة ما تراه للعدسة الأمامية المتصلة بالمخ ، وبالتالي تتركز صورة الشيء في داخل عين الصقر المساوية تقريباً لحجم عين الانسان رغم ضآلة حجم رأس الطائر وضآلة مخه بالمقارنة الى رأس الانسان ومخه !

عبد الناصر عبد الفضيل ـ مصر



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

ترسل الاجابات على العنوان التالى :

مجلة الدوحة

ص . ب : ٢٣٢٤

الدوحة ـ قطر

مَن ؟

من اشهر الزعماء الوطنيين العرب ، ادرك الاستعمار خطورته الشديدة على استمرار احتلاله لذلك البلد العربى فقام بنفيه إلى احدى الجزر النائية .

يتكون اسمه من شقين ومن ثمانية حروف :

٣ ، ٥ ، ٨ مجموعة من الشجيرات الكثيفة .

٢ ، ٦ ، ٧ بمعنى اعتمد على

١ ، ٣ بمعنى قفل .

٤ ، ٦ بمعنى اخطا

أين ؟

ينتمى هذا الزعيم ، إلى واحد من اهم الاقطار العربية ، اشتهر بحضارات عريقه قامت فوق أرضه ، يتكون اسم ذلك القطر الكامل من سبعة عشر حرفاً .

الاحرف ١ ، ٥ ، ١٣ ، ١٧ مقدار من الماء يؤخذ بالفم .

١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٣ ، ١١

٧ ـ الذين يتولون العناية ببعض الحيوانات .

١١ ، ١٢ ، ٢ ، ١٤ ، ٤ ، ٥

أحد اقسام الشرطة المهمة

ما ؟

اشتهر ذلك القطر بانتاج وتصدير واحد من اهم المحصولات الزراعية التى تساهم فى صناعة كبرى ، ويتكون اسمه من خمسة احرف .

٥ ، ١ ، ٢ ـ تحصل على

٥ ، ٣ ، ٢ ـ حول

٣ ، ٤ ـ هرة

الإجابة الصحيحة

١ ـ من هو القائد العربى الذى بنى اول جامع فى مصر ؟

عمرو بن العاص ـ سعد بن ابي وقاص ـ عبد الله بن ابى السرج .

٢ ـ اى هذه الكواكب اكثر شبها بالارض ؟

عطارد ـ الزهرة ـ المريخ .

٣ ـ كلمة طماطم اصلها :

فارسى من كلمة « بنج ضولما » ـ اميركى وتعنى فى لغة الهنود الحمر « القمر الاحمر » ـ إيطالى وتعنى « التفاحة الذهبية » .

٤ ـ اكبر مصدر للمياه العذبة فى العالم هو :

الينابيع ـ الجبال الجليدية ـ الانهار والبحيرات .

٥ ـ معركة القادسية بين المسلمين والفرس كانت فى عام :

٦٣٤ هـ ـ ٦٣٧ هـ ـ ٦٤٠ هـ .

٦ ـ المصابيح الكهربائية « الفلورسنت او النيون » تتلون انوارها بسبب :

نوع الغاز داخل انبوب المصباح ـ دهان زيتى يرش داخل انبوب المصباح ـ اختلاف قوة التيار الكهربائى .

٧ ـ اكبر دولة افريقية مساحة

هى : السودان ـ نيجيريا ـ الجزائر .

٨ ـ صحيح ام خطا ان السمك لا يسمع ؟

٩ ـ حفرت اول بئر للنفط فى العالم فى عام ١٨٦٠ وكان ذلك فى :

جمهورية اذربيجان السوفيتية ـ رومانيا ـ بنسلفانيا الامريكية .

١٠ ـ نبئت ان رسول الله اوعدنى .....

اكمل البيت واذكر قائله .

حل مسابقة العدد ٩٧

من : ارثر جيمس بلفور .

اين : فلسطين .

ما : خلافات .

الأجوبة الصحيحة

١ ـ الازرق والاصفر .

٢ ـ الريان ، الراية ، العهد

٣ ـ جبران خليل جبران .

٤ ـ جلود الخنازير .

٥ ـ سيدنا عيسى عليه السلام

٦ ـ البرمائية .

٧ ـ ١٠٣٨ بعد وفاة ابن سيناء بعامين

٨ ـ جبل الانديز

٩ ـ اخى جلوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدى قائله الشاعر علي محمود طه

١٠ ـ صحيحة .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة : الحل : شعر الرجل الايمن ـ اسنانه ـ عيونه ـ الفار ـ زجاجة المياه الغازية ـ شارب الرجل الايسر ـ الطربوش .

١) الفائزة : نادية عبد احمد ـ مصر .

٢) الفائز : نضال عبد الله ـ البحرين .

٢ ـ لاقوياء الملاحظة : الحل ـ تفاحة ـ كرة ـ دبوس ـ زهرة ـ قلم ـ جرس .

١) الفائز : مامون خميس ـ عمان .

٢) الفائز : محمد عفيفي ـ الامارات

٣ ـ يخلق من الشبه اربعين : الحل رقم ٦

١) الفائز : يحيى عبد الرحمن ـ اليمن

٢) الفائز : زياد اغا هجرس ـ سوريا .

٤ ـ هات اجمل تعليق .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى .
القارىء علي ابراهيم علي ـ السودان .
فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى .
القارئة : صفا مصدق محمد سيد ـ مصر .
فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى .
القارىء : أسامه محمد باجرش ـ اليمن الديمقراطى .
وفاز بجائزة قدرها ٥٠ ريالا كل من القراء :

١ ـ أحمد صالح فارس ـ قطر
٢ ـ أحمد قدرى الريدى ـ السعودية
٣ ـ صالح الحمش ـ سوريا

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ محمد معن مروان	الكويت
٢ ـ نزار منصور	المغرب
٣ ـ سالم خليفه الشروقى	البحرين
٤ ـ ليلي ابراهيم زاهر	ليبيا

استراحة الدوحة العدد ٩٧

١) «اقول ما قولش .. انا خايف اقول .. بلاش اقولك حالى يدلك » الفائزة : عزة شهاب ـ السعودية .
٢) « ده اللى بيسموه تاثير التليفزيون على المشاهد » الفائز : محمد عباس محمد ـ مصر .
٥ ـ لعبة الظلال : الحل رقم ٢
١) الفائز : عبد القادر دراجى ـ الجزائر
٢) الفائز : السر إدريس محمد عمران ـ السودان .
٦ ـ دورى الكاريكاتير : الحل : رقم ٨
١) الفائز : مشهور محمد يونس ـ الأردن .
٢) الفائز : كريم عز الدين ـ مصر

كذب المنجّمون ولو صدقوا !



دخل أحد المنجمين على ملك فوجد عنده المجلس مزدحماً برجال الدولة ، ورأى المنجم طفلا صغيراً يلعب أمام الملك فقال المنجم للملك : « ان ابنك الصغير يا مولاي نجمه نجم سعيد وصاحب هذا النجم له شأن عظيم ، وتشير ملامح وجهه أنه سيقود الجيوش من نصر الى نصر وسوف يخضع ملوك الدول المجاورة ، وسوف يتزوج بامرأة عظيمة ينجب منها عشراً أولاد ، سيصبحون قواداً عظاماً »

سكت الملك قليلا ، فظن المنجم أن الملك يفكر في مكافأة له ، ولكنه فوجيء بالملك يقول له :

« هذا الطفل الذي أمامي ليس ولداً ، وليس ابني » !

عندئذ اصفر وجه المنجم من الخجل وخرج يتعثر في خطاه .

سيد طه هندي ـ مصر

أمثال وحكم



● لأن تضيء شمعة صغيرة خير من أن تلعن الظلام
كونفشيوس

● فكر فيما سوف يكون عليه شعورك في الغد ، فالأمس انقضى ، واليوم يوشك على الانقضاء
بلزاك

● لا سعادة تعادل راحة الضمير
سينكا

● أن تكون خير من ان لا تكون ، ولو أن الحياة تبدو مأساة
سبنسر

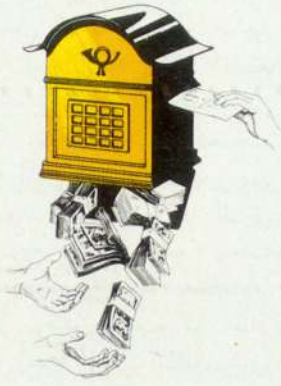
● كلمة واحدة رقيقة أسمعها وأنا حي ، خير عندي من صفحة كاملة في جريدة كبرى حينما أكون قد مت ودفنت
فولتير

● لو ان كل رجل أصيب بدوار البحر وارتعدت فرائصه وهو يرى المركب يهتز أمام الأعاصير فقرر أن يعود بها من حيث جاء لبقى الهنود الحمر يمتلكون أمريكا حتى اليوم
أدوين ستيوار

● لم تقم أمبراطوريتنا على المبادىء المثالية التي تزدحم بها الكتب ، انها قامت على مبادىء عملية عرفنا كيف نطبقها ونفهمها على ضوء مصالحنا
لويد جورج

بو مسهولي ابراهيم ـ المغرب

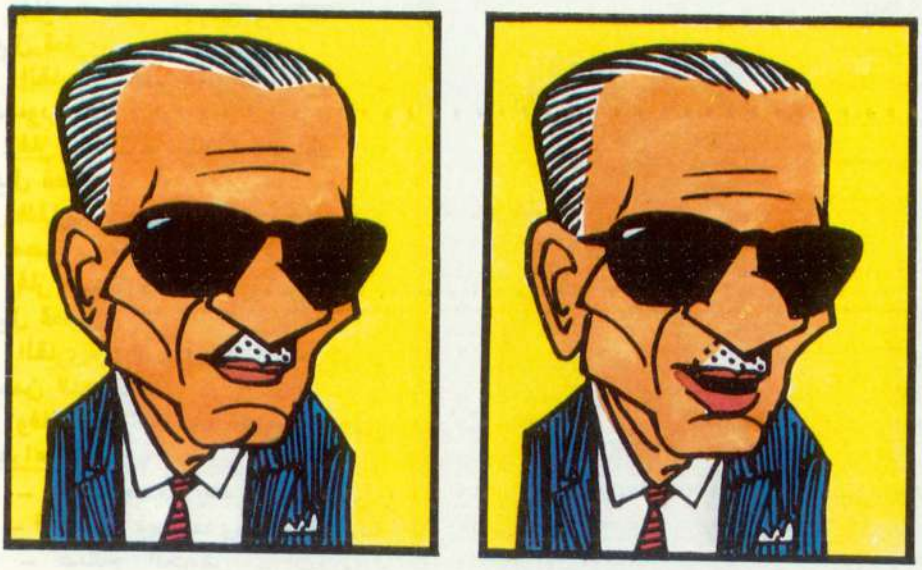
استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة: ووو

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة



قبل أن تتعرف على الاختلافات بين أصل وصورة الدكتور طه حسين وتحصل على جائزة ، نود أن نقول لك أن البحث الذى نال به درجة الدكتوراه من السربون كان عنوانه : ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية .

لوحة لم تتم!



هذه اللوحة لفنان عربى مازالت اغانيه يرددها الكثير من عشاق فنه رغم رحيله عنا منذ سنوات .. مشكلة اللوحة انها لم تتم .. هل يمكنك التعرف على صاحبها ؟

المثل يقول



كل امثالنا الشعبية متقاربة اللفظ ومتماثلة المعنى والاختلاف بينها فى اية دولة عربية يقع ـ فقط ـ فى اللهجة .. ولهذا يمكنك ان تقول لنا عن المثل الشعبى الذى يعبر عنه هذا الرسم الكاريكاتيرى ، لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الأديب عباس محمود العقاد الذى قدم لنا ٧٩ مؤلفا ضخما خلال حياته الأدبية « ٧٦ عاما » .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها ؟

هات أجمل تعليق :



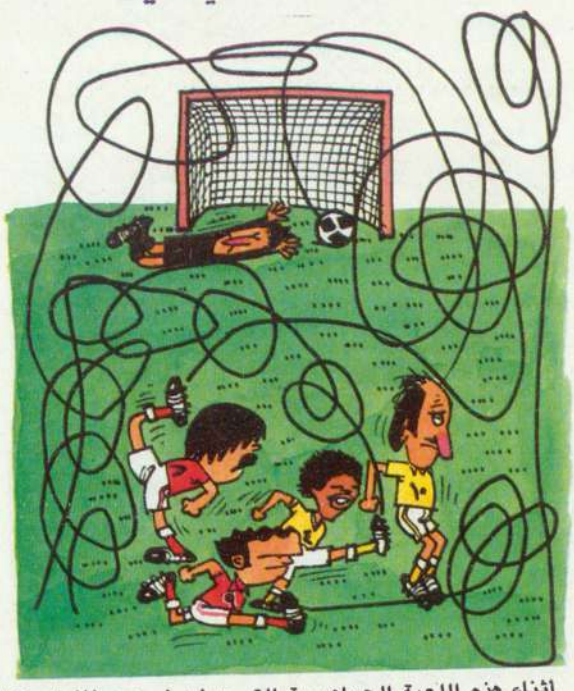
هل تستطيع أن تساهم فى ايجاد تعليق خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .. إذا استطعت ارسل لنا التعليق لتحصل على جائزة ..

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي .. حاول لتجد فى انتظارك جائزة ..

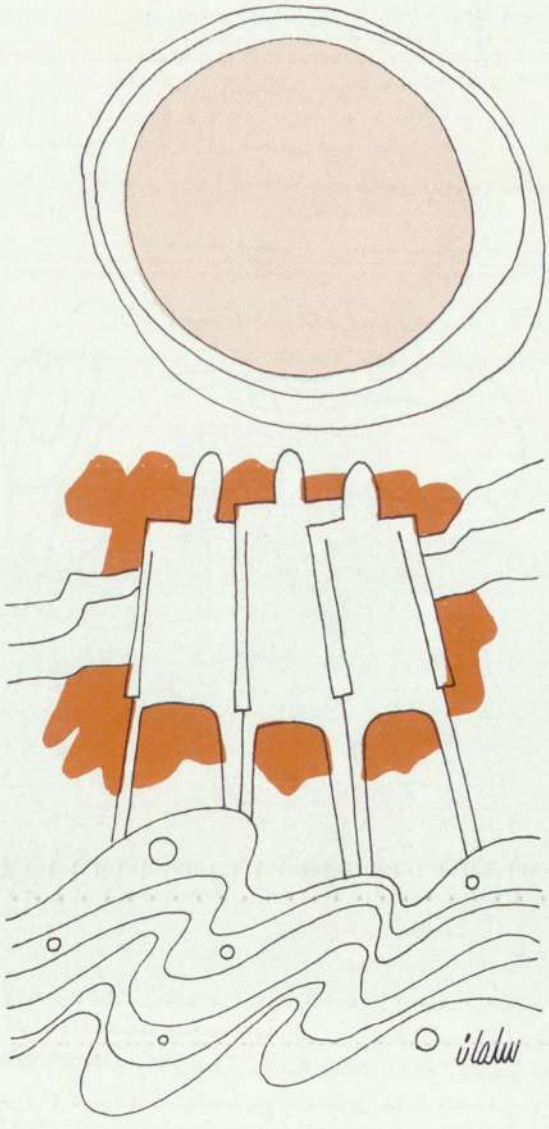
دوري الكاريكاتير



أثناء هذه اللعبة الجماهيرية التى بدأت فى بريطانيا ومنها انتقلت إلى القارة الأوربية وجميع انحاء العالم ، اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

قالت .. وقلت

شعر: هـــارون هاشـم رشـــيد



قالت : حقائبك استجارتْ
من تنقلكَ الكثيـــــــــر
قلت : الريـــاحُ شـــديدةٌ
وأنـــا نذرت لهـــا مصيري
قالت : سنين العمـــر تمضي
في الترحُّـــلِ ، والمسيـــــر
قلت : اختزنتُ هنـا بصدري
جمرة الأملِ الكبيـــــــر
قالت : وموعدنـــــا الذي
بعثرتـــه بين السطـــور
قلت : الطـريقُ اليـــه
محـــفوف بنيران السَّعيـــر
قالت : وتمضي ؟ قلـــت :
حتى نبضـــة النفس الأخير
قالت : تَعبتُ من الحـــرائق
والصـــواعقِ والنفيـــر
قلت : الزلازلُ في عـــروقي
فاسمعي صـــوت الزئيـــر
قالت : وبعـــد ، أمَّـــا لهذا
الهـــول من يوم مُجيـــر
قلت : اسمعي في الريـــح
صـــوت تقدم الشبل الصغير
هو إن تعبنـــا خلفنـــــا
في الدرب كالسَّهْم المغيـــر
يَمْضي لموعدنـــا ، فقـــومي
تابعي الخطـــوات سيري

شاني

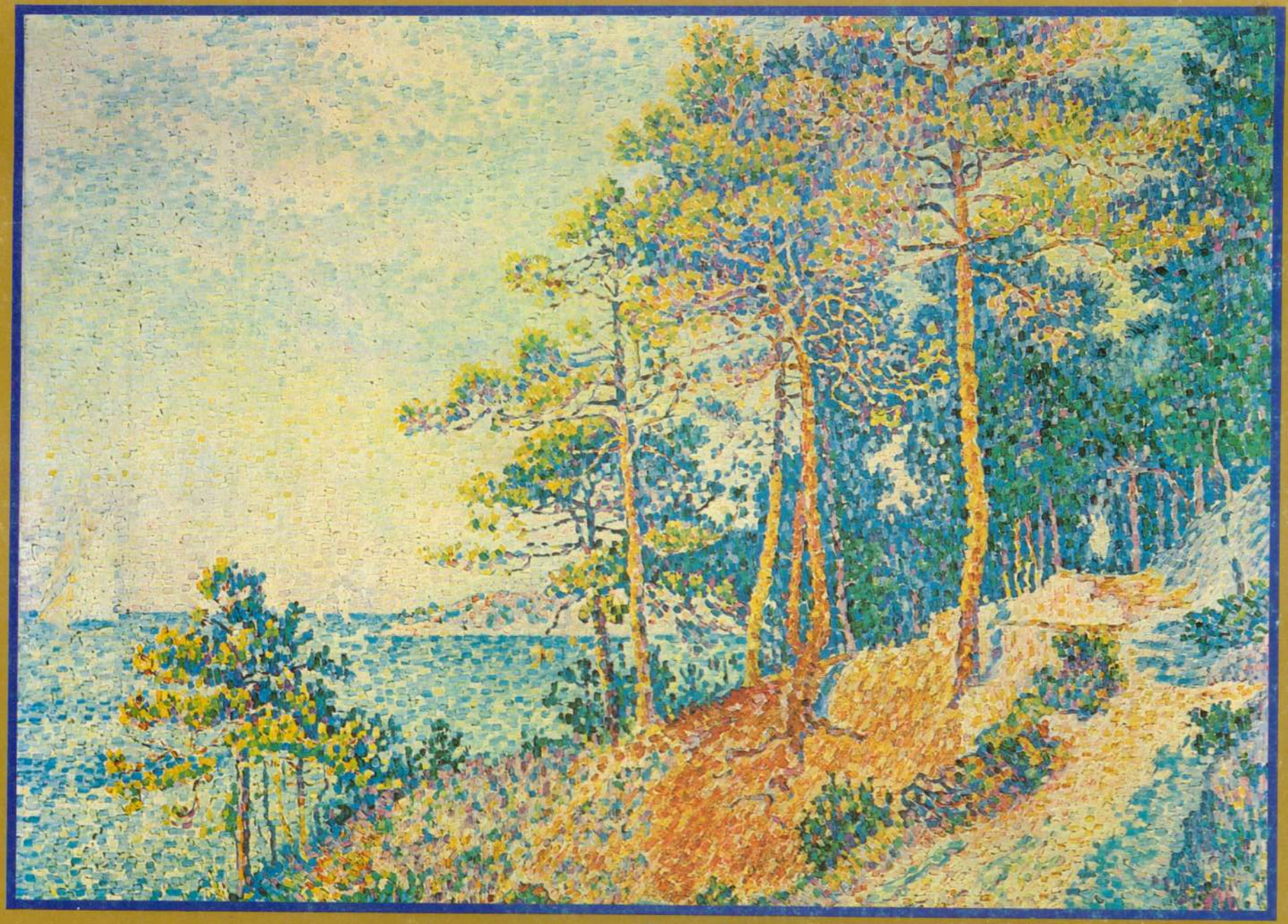
ماركة تجارية



ميرندا

ماركة مسجلة





منظر طبيعي يعبر عن فرحة الحياة .. إحدى روائع الفن الفرنسي